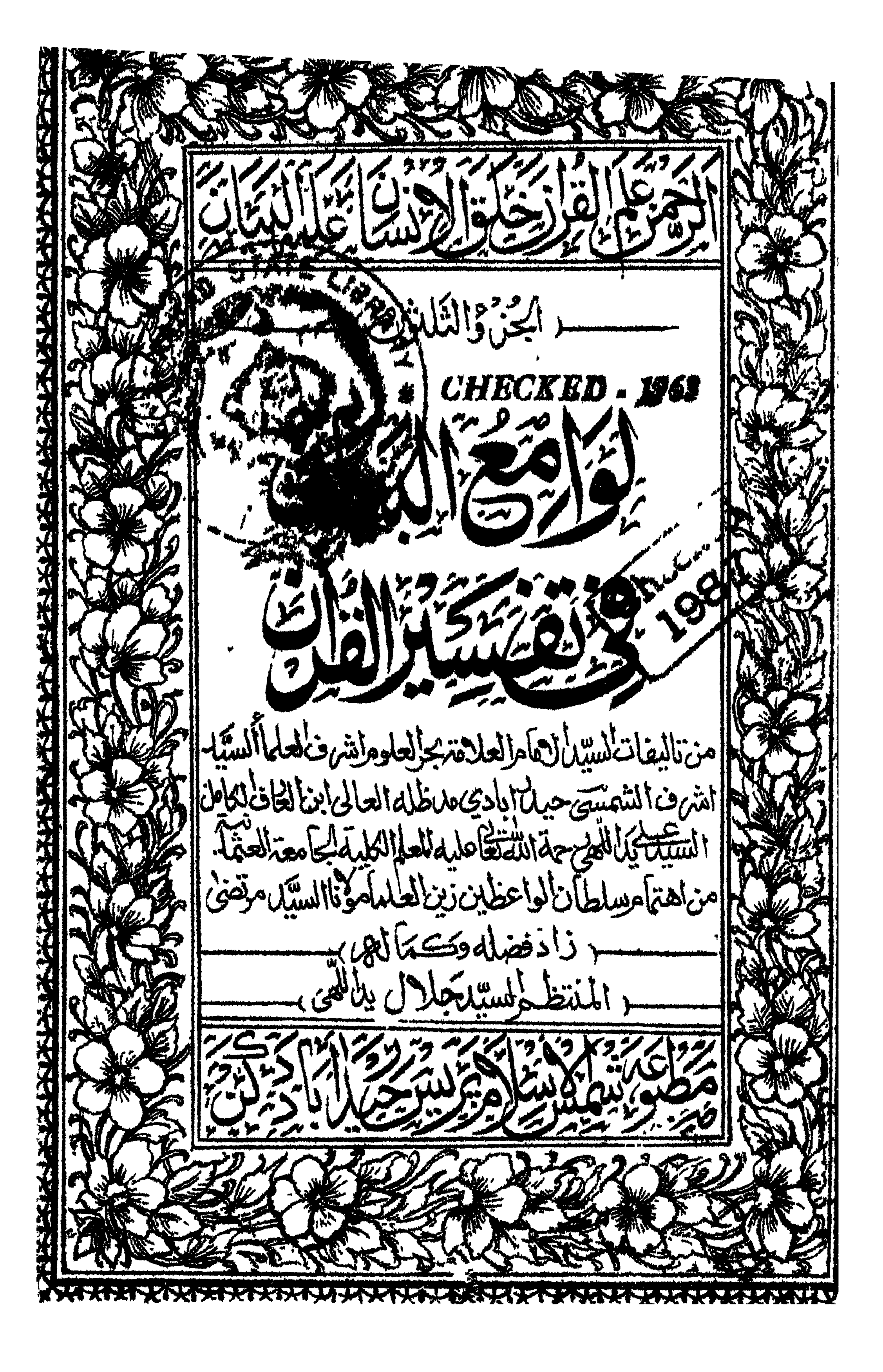


الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان

الجزء الثلثون

لوامع التنزيل
في تفسير القرآن

من تاليفات السيد الهمام العلامة بحر العلوم اشرف العلماء السيد
اشرف الشمسي حيدرآبادي مدظله العالي ابن العارف الكامل
السيد علي يد اللهي رحمة الله تعالى عليه معلم الكلية للجامعة العثمانية
من اهتمام سلطان الواعظين زين العلماء مولانا السيد مرتضى
زاد فضله وكماله

المنتظم السيد جلال يداللهي

مطبوعة شمس الاسلام پريس حيدرآباد دكن



الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان

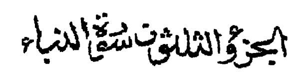
الجزء الثلثون من

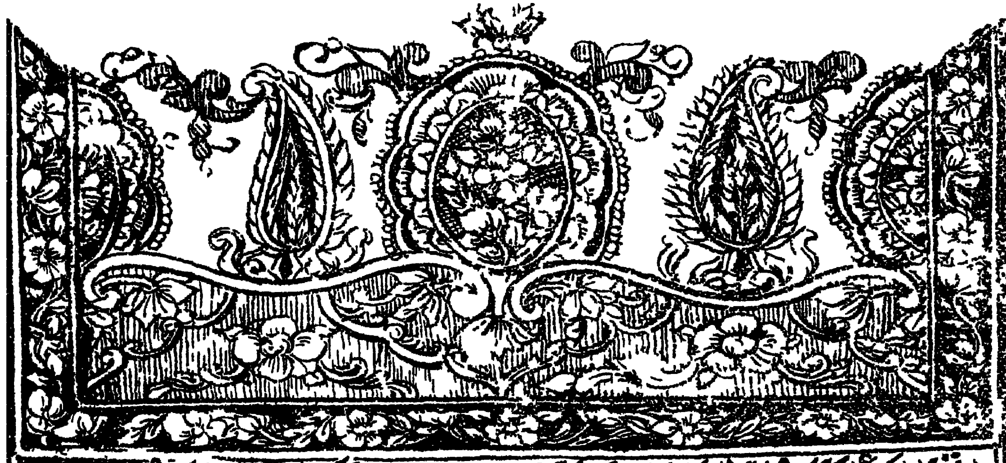
لوامع البيان في تفسير القرآن

من تاليفات السيد الامام العلامة بحر العلوم اشرف العلماء السيد
اشرف الشمسي الحيدرآبادي بن ظله العالي ابن العارف الكامل
السيد علي يد اللهي رحمه الله تعالى عليه المعلم الكلية الجامعة العثمانية
من اهتمام سلطان الواعظين زين العلماء مولانا
السيد مرتضى زاد فضله وكماله
المنتظم السيد نجم الدين يد اللهي

مطبع شمس الاسلام حيدرآباد دكن

تعداد جلد (٥٠٠) رمضان المبارك سنه ١٣[illegible]ه المرة الاولى





سورة النبأ اربعون آية وتسمى سورة التساؤل مكية عند الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ اصله عن ما فادغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة ـ هذا قول الزجاج وحذف الالف ليميز بين الاستفهام والاسم الموصول كما حذف في قولهم فيم وبم ولم ـ وهذه قراءة الجمهور وقرأ عبد الله بن مسعود وأبيّ وعكرمة رضي الله عنهم وعيسى عمّا بالالف وهو الاصل ـ وجاء على الاصل في شعر حسّان بن ثابت رض

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ ۔۔۔ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رِمَادِ

وقرأ ابن كثير والضحاك في رواية عمّه بالحاق هاء السكت في صورة الوقف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصّة ـ قال المفسرون لمّا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبأهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت والحساب وقرأ عليهم القرآن تعجبوا وجعلوا يتساءلون بينهم ويقولون على الاعراض ماذا يقول به محمد وبالذي جاء به فانزل الله عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ قال الفرّاء التساؤل

هو أن يسأل بعضهم بعضا كالتقابل و قد يجيء بمعنى التحديث من غير
سؤال والمراد من السائلين هم الكفار بدليل قوله تعالى - كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ - عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي - اي يتساءلون عن النبإ العظيم
وفيه تفخيم شان النبإ الذي كان يتساءل منه بعضهم عن بعض - اختلف في
معنى النبإ العظيم فقال بعضهم هو القرآن وهو ضعيف لان المشركين
لم يكونوا مختلفين في ان القرآن هل انزله الله تعالى او اخترعه محمد صلى الله
عليه وسلم بسحره وكهانته بل كانوا متفقين على انه من مخترعات محمد صلى الله
عليه وسلم وقال الضحاك المراد بالنبإ نبأ يوم القيمة وكذا قال قتادة - وذهب
الاكثرون الى ان المراد به يوم القيامة لان الله تعالى سمى يوم القيامة بيوم
عظيم كما قال الله تعالى أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ - هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ - اي في ذلك
النبإ - لان المشركين اكثرهم كانوا ينكرون البعث والنشر - والمختلفون
على انحاء فمنهم من كان ينكر صانع العالم مثل ارباب الطبيعة فهو ينكر المعاد
والحشر واليه اشار الله سبحانه وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ -
ومنهم من كان يقر بصانع العالم الا انه كان ينكر اعادة المعدوم وجعلها
مخالفة لبداهة العقل كما ذكر الله تعالى قولهم أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ - ومنهم من كان يظن اعادة المعدوم ولا يوقن بها
ويقول ما ندري ما الساعة إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ - وانما
يعتقدون بذلك لانهم كانوا يزعمون - ان النفس تموت بموت البدن - و
منهم من كان يقر بالمعاد الروحاني وينكر المعاد الجسماني كبعض الفلاسفة قال
الامام الرازي في تفسيره ان النصارى يثبتون المعاد الروحاني اما المعاد الجسماني

فانهم ینکرونه - اقول وهذا القول ضعیف لان من طالع الانجیل یظهر له ان عیسی علیه السلام کان یبالغ فی اثبات المعاد الجسمانی ویجهد فیه کما قال الحکیم الاندلسی القاضی ابن رشد فی کتاب تهافة الفلاسفة وذلک ان اول من قال بحشر الاجسام هم انبیاء بنی اسرائیل الذین اتوا بعد موسی علیه السلام وذلک بیّن من الزبور ومن کثیر من الصحف المنسوبة لبنی اسرائیل وثبت ذلک ایضا فی الانجیل وتواتر القول به عن عیسی علیه السلام وهو قول الصابئة وهذه الشریعة - اللّٰهم الا ان یقال ان النصاری اعرضوا بعد المسیح علیه السلام عن هذا الاعتقاد واقروا بحشر الارواح

کَلَّا سَیَعْلَمُوْنَ ثُمَّ کَلَّا سَیَعْلَمُوْنَ - کلا کلمة ردع - وفیه تهدید وتحذیر للذین کانوا یختلفون فی وقوع یوم القیامة - والغرض من تکرار کلا التشدید فی الوعید والتهدید قال ابن مالک هذا تاکید لفظی وثم لاتضر ویابی النحاة هذا وقالوا ان ثم للتراخی والعطف ای انتم سیعلمون ثم بعد ذلک سیعلمون ان الذی ظنوه کان خطأً - والمعنی ان المختلفین فیه سیعلمون جزاء تکذیبهم مرة بعد اولی به وانکارهم المؤکد بالقسم بانهم لا یبعثون کما فی قوله تعالی - وَاَقْسَمُوْا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَیْمَانِهِمْ لَا یَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ یَّمُوْتُ فالله سبحانه شدد فی جوابهم وقال کلا سیعلمون ثم کلا سیعلمون قرأ جمهور القراء قوله سیعلمون بالیاء التحتانیة وابن عامر الشامی بالتاء الفوقانیة وفیه التفات من الغیبة الی الخطاب وفیه شدة عتاب المخاطب ثانیا والقراءة الاولی هی الاولی ثم ذکر الله تعالی وجوه توحیده فقال الاول

اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهٰدًا - المهاد الفراش کما قال الله تعالی اَلَّذِیْ جَعَلَ لَکُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وهو جمع مهد وکذا قرأ الجمهور وقرئ مهدا وهو ما یمهد للصبی

لنومه فعلی هذا یکون المهد بمعنی الممهود کالخلق بمعنی المخلوق - والثانی وَّ الْجِبَالَ اَوْتَادًا - لحصول السکون فی الارض لئلا تمید بکم - ای ثبّتنا الارض بالجبال کما ثبت البیت بالاوتاد - ومنه قول الافوه -

وَالْبَیْتُ لَا یُبْتَنیٰ اِلَّا لَهٗ عُمُدٌ   وَلَا عِمَادٌ اِذَا لَمْ تُرْسَ اَوْتَادُ

والثالث وَّ خَلَقْنٰکُمْ اَزْوَاجًا - ای ذکرًا و انثی لینظم بهما امر المعاش ویحصل التوالد والتناسل فالمتولد من الزوجین هو الانسان التوالدی واما قوله تعالیٰ خَلَقْنٰکُمْ مِّنْ تُرَابٍ فعنی به الانسان التولدی و یراد به اٰدم علیه الصلٰوة والسلام وقد تتولد بعض الحیوانات علی طریق التولد کالعقارب فانها تتولّد من لباب الخز والحیّات من العسل والشعر والخنافس من البعر علی ما قیل - والرابع وَّ جَعَلْنَا نَوْمَکُمْ سُبَاتًا قال صاحب اللسان السَّبْتُ الراحة وسَبَتَ یَسْبُتُ ای استراح وسکن والسُبات نوم خفی کالغشیة - وقال ثعلب السُبات ابتداء النوم فی الراس حتی یبلغ الی القلب والحاصل ان اصل السبات هو الراحة - وفی حدیث عمرو بن مسعود قال لمعاویة ما تسأل عن شیخ نومه سباتٌ ولیله هُبات ای نوم المریض والشیخ المسنّ - وقال الزجاج السُّبات اَنْ ینقطع عن الحرکة والروح فی بدنه ای جعلنا نومکم راحة لکم - والخامس وَّ جَعَلْنَا الَّیْلَ لِبَاسًا - ای یسترکم بظلامه کما یسترکم اللباس - وقال الاصمعی اللَّبْس اختلاط الظلام و قیل المِلْبَسُ اللیل بعینه فلا شک فی ان هذا اللفظ من مناسبات اللیل او المعنی ان اللیل یستر افعالکم و احوالکم کما انّ الانسان اذا اراد قتل انسان او فرارًا من عدو بحیث لا یطلع علیه انسان فهو یفعل مثل هذه الافعال فی اللیل لانه یسترها بسدول ظلامه - والیه اشار المتنبی -

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ اَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

والسادس وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا - والمعاش مصدر میمی ومعنا معیشة وقع ظرفا - قال الجوهری کل واحد من معاش ومعیشة یصلح ان یکون مصدرا وان یکون اسما مثل معاب ومعیب قال المورّج ویقال فی لغة الازد المعوشة ومنه قول حاجب ابن الجعد -

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَا يُتِمُّ غَذَاهَا وَلَا كَدُّ الْمَعُوشَةِ وَالْعِلَاجُ

ای من النساء اللاتی ینقضن عهودهن والعلاج العمل بالجوارح - والمعنی انّ الله تعالی جعل النهار مضیئا لیشتغل الانسان فیه فی حوائجه ویسعی فی مکاسبه - والسابع وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا - قال صاحب الکشاف جمع شدیدة یعنی محکمة قویة الخلق لا یؤثر فیها مرور الزمان - انتهی والمراد بالسبع الشداد السموات لانها اجرام محکمة قویة ومنه قول الشاعر

فَلَمَّا جِئْتُهُ اَعْلَى مَحَلِّيْ وَاَجْلَسَنِيْ عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

والمعنی ان الله سبحانه وتعالی خلق السموات محکمة قویة لانتظام نظام العالم بها وبالکواکب التی تسیر فی بروجها الا تری ان سیر الشمس یوجد فوائد عظیمة للعالم السفلی کالفصول مثلا فانها تحدث بحصول الشمس فی بروج مخصوصة وبیانه ان الشمس اذا دخلت فی برج الحمل یُبتدأ الربیع الذی یحیی به الکون وینضر به وجهه ویستمر هذه البهجة والنضارة فی العالم الی ان ینتهی سیرها الی اخر درجة برج الجوزاء ثم تدخل علی التعاقب فی السرطان والاسد والسنبلة وهذه تسمّی فصل الصیف ففی هذه البروج تشتد حرارتها حتی تنضج بها الحبوب التی تحصد زمن الصیف ثم تشرع الشمس ان تنزل فی البروج الجنوبیة فتجتاز علی التوالی

الميزان و العقرب و القوس و هذه تسمى فصل الخريف ثم تحل في الجدي و الدلو و الحوت على التتابع فيدخل الشتاء بثلجه وبرده و تسمى هذه فصل الشتاء و تكون ح في غاية البعد و اشعته مائلة - فعرفت من ذلك ان الصور الاثني عشرة لمنطقة البروج تنقسم على الفصول الاربعة فللربيع الحمل و الثور و الجوزاء - و للصيف السرطان و الاسد و السنبلة و للخريف الميزان و العقرب و القوس و للشتاء الجدي و الدلو و الحوت فللشمس في هذا السير و الانتقال من برج الى برج ومن درجة الى درجة افعال مخصوصة و آثار معينة تظهر وقت اجتيازها من كل درجة وبرج و هذا تقدير العزيز العليم الذي اراد به منافع الانسان و فوائد الحيوان لكن الانسان مع كونه عاقلا وشاعرا لا يتوجه الى هذه النعم لعزيزة و لا يؤدي شكرها بل يبقى منهمكا في مرغوباته من الماكل و المشارب و المناكح و لا يتفكر انه لم يخلقه الله لهذه بل خلقه لطاعته و عبادته كما قال جل عظمته وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون - قوله من وجعلنا سراجا وهاجا - الوهج و الوهجان حرارة الشمس و النار - قال الامام الرازي كلام اهل اللغة مضطرب في تفسير الوهاج فمنهم من قال الوهج يجمع النور و الحرارة - و روى الكلبي عن ابن عباس ان الوهاج مبالغة في النور فقط يقال للجوهر اذا تلالا توهج و هذا يدل على ان الوهاج يفيد الكمال في النور - وفي كتاب الخليل الوهج حر النار و الشمس و هذا يقتضي ان الوهاج هو البالغ في الحر - وقال ابو حيان هو المتوقد المتلالي - و على الجملة ان المراد بالسراج الوهاج هو الشمس و انما عبرها الله بالسراج لانه لم يكن قبل ايجادها

الاظلمة و يناسبها السراج - والناسع وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ - قال الحسن وابن جبير وزيد بن اسلم وقتادة هي السموات وقال ابن عباس وابو العالية والربيع والضحاك السحاب القاطرة ماخوذ من العصر - وهو قول المازني وفي رواية عن ابن عباس هي الرياح لانها تعصر السحاب وهو قول ابي حنيفة - وقال ابو اسحق المعصرات السحائب لانها تعصر الماء - وقال البعيث في المعصرات فجعلها سحائب ذوات المطر -

وَذِي أُشُرٍ كَالْأُقْحُوَانِ تَشُوفُهُ ذِهَابُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الدَّوَالِحُ

والدوالح من نعت السحاب لا من نعت الرياح وهي التي اثقلها الماء فهي تدلح اي تمشي مشي المثقل والذهاب الامطار - ثَجَّاجًا - الثج الصب الكثير - وخص بعضهم بالماء - وثجيج الماء صوت انصبابه ومنه قول ابو ذويب -

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتِمُ سُحْمٌ مَاؤُهُنَّ ثَجِيجُ

وروي - غمائم سود ما ؤهن ثجيج - قال ابن دريد هـ . امما جاء في لفظ فاعل والموضع مفعول لان السحاب يثج الماء فهو مثجوج - وقال بعض اهل اللغة ثججت الماء اثجه ثجا اذا اسالته وثج الماء نفسه يثج ثجوجا اذا انصب فاذا كان كذلك فأن يكون ثجاج في معنى ثاج احسن من ان نكلف وضع الفاعل موضع المفعول وان كان ذلك كثيرا و نحو انجحته بمعنى نجحته ودم ثجاج منصب مصبوب قال الشاعر

حَتَّى رَأَيْتُ الْعَلَقَ الثَّجَّاجَا قَدْ خَضَلَ النُّحُورَ وَالْأَوْدَاجَا

فيكون معنى ماء ثجاجا ماء منصبا كثير الصب - لِنُخْرِجَ بِهِ - اي بالماء حَبًّا - والمراد به النجم لانه ينبت الحبوب كالحنطة والشعير والارز وغيرها

وَنَبَاتًا - قال اللیث کل ما انبت اللہ فی الارض فهو نبتٌ والنبات فعله
ویجری مجری اسمه قال الفراء ان النبات اسم یقوم مقام المصدر وهو
ما یعتلف به الدواب والانعام کالتبن والحشیش کما فی قوله تعالى کُلُوْا
وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ - ای کلوا الحبوب وارعوا انعامکم ودوابکم النبات
وَجَنّٰتٍ - وهی البساتین والحدائق والمراد بالبستان ما یجتمع فیه اشجار
الثمار والازهار - ولما کان فی مناظر البستان والحدیقة تنزهٌ وانشراحٌ
للناظرین ذکرها اللہ تعالى فی النعم - اَلْفَافًا - ذکر الامام الرازی قد ذکر
صاحب الکشاف انه لا واحد لها کالاوزاع وهی الجماعات المتفرقة و
الاخیاف وهی الجماعة المختلطة وکثیرٌ من اللغویین اثبتوا لها واحدًا ثم اختلفوا
فیه فقال الاخفش والکسائی واحدها لِفٌّ بالکسر وزاد الکسائی لُفٌّ
بالضم وانکر المبرد الضم وقال بل واحدها لفاء وجمعها لُفٌّ الفافٌ انتهى
ثم الالفاف الاشجار التی یلتف بعضها ببعضٍ انشد الحسن بن الطوسی -

جَنَّةٌ لُفٌّ وَعَیْشٌ مُغْدِقٌ　　وَنَدَامٰی کُلُّهُمْ بِیضٌ زُهُرٌ

وقال ابو اسحق وهو جمع لفیف کنصیر وانصار وقال الزجاج جنّاتًا الفافًا
ای بساتین ملتفة - اِنَّ یَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِیْقَاتًا - هذا شروعٌ فی جواب
لما یتساءلون فی وقوع البعث والنشر والمراد بیوم الفصل یوم القیامة
ای ان یوم الفصل یوم فصل اللہ عزّ وجلّ فیه بین الخلائق وکان مقدرًا
فی علمه فلا یکون قبله ولا بعده - یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّوْرِ - ای نفخةً ثانیة
بدل من یوم الفصل او عطف بیان لان فیه تفخیمًا وتهویلًا بلیغًا لذلك
الیوم والصور هو القرن والنافخ هو اسرافیل علیه السلام او من اذن له
الرحمن لنفخه - روی عن ابی هریرة رض قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیه وسلم

لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيؤمر به
فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها فى الحياة غير من شاء الله وذلك قوله
تعالى فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثم يؤمر
باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميّت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثُمَّ نُفِخَ
فِيْهِ اُخْرٰى - واعلم ان هذا ليس مستبعدا او ذلك لان النفخ علة لتحرك
الهواء واشتداده ولا شك فى ان شدته سيلا نه موجبة لخراب العالم
كما يشهد على ذلك قصة قوم عاد فهلكوا جميعا فى ثمانية ايام وكان
ذلك بشدة الرياح العواصف وطوفانها ولا ينكر المنجمون هذا القول
بل اطبقوا على ان حلول الكواكب واجتماعها فى برج من البروج الهوائية
علة لطوفان الرياح وثورانها - وذكر علماء الهيئة والنجوم ان انطباق
دائرة المعدل على دائرة فلك البروج يدل على خراب العالم السفلى وفساده
وتغيره للفصول اعنى الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث
والنسل والمراد بهذا الانطباق انطباق لا يقبل الانتقال من نقطة الانطباق
فهذا الانطباق مفسد ومغير لما فى العالم السفلى من المواليد الثلاثة
بل لطبائع العناصر وليس هذا مثل انطباق هاتين الدائرتين فى اول جزء
من برج الحمل فى كل سنة كما بيّن فى موضعه لان هذا الانطباق يزول
سريعا ولا ينفى ترتيب الفصول ونظامها على وتيرة واحدة كما يشاهد مرارا
قال الدهريون ان فاعل هذا الانطباق هو الطبيعة الدهرية فلا يقع
التخلف فى افعالها ابدا والالهيون ذهبوا الى ان الله تعالى فاعل موجب فلا
ينسد النظام الموجود بالنظر الى ايجابه - اقول فى جوابه ان الفاعل الكون

اما ان يكون طبيعة او من له ارادة و الثانى اما ان يكون مريدا موجبا او مريدا مختارا - لا سبيل الى الاول و الثانى فتعين الثالث - اما بطلان الاول فلان ذلك الفاعل لو كان طبيعة فلا يخلوا اما ان تكون بسيطة او مركبة فان كانت بسيطة لا يجوز ان يصدر منها الا فعل واحد - كالنار مثلا فانها لا يصدر منها الا فعل واحد - وهو الحرارة وكذا حال كل فاعل بسيط - فلا يجوز ان يصدر منها هذا النظام الموجود لوجود غاية الكثرة و ان كانت مركبة كانت محتاجة الى الاجزاء التى حصلت بها نفسها و الى فاعل يؤلف هذه الاجزاء فوجب ان يكون الطبيعة ممكنة وكل ممكن يحتاج فى وجوده الى علة فهذه العلة ان كانت طبيعة اخرى مثلها فننقل الكلام اليها مثل الكلام فى الاولى فهذه السلسلة اما ان تكون متوقفة او لا تكون متوقفة فعلى الاول يلزم الدور و على الثانى يلزم التسلسل و كل واحد منهما باطل - و مع ذلك ان الطبيعة ليس لها شعور و ارادة كما بين فى موضعه و على هذا لا يصدر منها العالم الذى فيه نظام بليغ ونسق بديع و ترتيب انيق و تاليف عجيب لانه يدل على ان فاعله قادر متقن و عالم حكيم لا يفعل فعلا الا و فيه حكمة فابداع هذا النظام الغريب على هذا النمط العجيب اوضح دليل على ان خالقه بديع الحكمة - و اما بطلان الثانى فلان الفاعل اذا كان موجبا بحيث لا يقدر على تركه وجب ان يكون مضطرا على اصدار الفعل - و الاضطرار يدل على كونه محتاجا الى ذلك الفعل و الاحتياج دليل الامكان و الممكن يحتاج فى وجوده الى مرجح فعلى هذا يلزم الدور و التسلسل فبطل القسم الثانى فاذا بطل هذا القسمان تعين القسم الثالث و هو المطلوب وتفصيل

هذا البحث فى كتابنا المسمّى بتحرير العقائد - فَتَأْتُوْنَ - اى بعد قيامهم من القبور - أَفْوَاجًا - اى جماعة جماعة - وَ فُتِحَتِ السَّمَآءُ قرئ بالتخفيف و التشديد - اى شُقّقت يوم القيامة - فَكَانَتْ اَبْوَابًا فصارت ذات ابوابٍ و المراد بالابواب شقوقها الحادثة بنفخ الصور - وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ - عن اماكنها على وجه الارض - و قيل معنى سيّرت نُسفتْ و قيل معناه انّ الجبال سُيرت فى الهواء - فَكَانَتْ سَرَابًا - اى هباءً منثورًا - ومثله قال الله تعالى - وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَّ هِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ - و ادغم تاء فكانت سرابًا ابو عمرو هشام بخلفه و حمزة و الكسائى و خلفٌ و المعنى ان تكون الجبال بعد الاندكاك مثل الهباء المنبثّ فى عين الناظر - و السّرابُ ينشاء من حرارت الاشعة الشمسية الواقعة فى طبقات الاهوية التى تلامس الارض فى المرحلة الحارّة و المعزاء المتوقّدة فهذه الاودية لما تسخّنت بحرارة الشمس و ظهرت فيها من بُعد مخصوص مثل البحيرة المتموّجة فيراها العطشان انها ماءٌ متموّج فاذا دنا منها النّاظر العاطش يرى واديًا وسيعًا ليس فيه قطرةٌ من الماء قال ابو الهيثم سُمّى سرابًا لانّهٗ يسرب سربًا اى يجرى جريًا يقال سرب الماء ليسرب سربًا و قال ابن السكّيت السراب الذى يجرى على وجه الارض كانّه الماء وهو يكون فى نصف النّهار و قيل السراب الآل و قيل السرابُ الذى يكون لاطئًا بالارض لاصقًا بها كانّه ماءٌ جارٍ و الآل يكون بالضحى يرفع الشخوص و يرى كالماء بين السماء و الارض - وقال الاصمعى الآل و السّرابُ واحدٌ - و خالفه غيره فقال الآل من الضحى الى زوال الشمس و السّرابُ بعد الزوال الى العصر و قالوا بانّ الآل يرفع كلّ

شيء حتى تصير شخصا و ان السراب بمعنى القيام يخفض كل شيء حتى يصير لازقا بالارض - و قال يونس العرب تقول الآل من غدوة الى ارتفاع الضحى و السراب تظهر في نصف النهار - ذكر في تاج العروس و السراب معرفة اي علم لا يدخله الالف و اللام - و هذا القول ضعيف - لان اللام تدخل فيه كثيرا كما قال لبيد بن ربيعة -

فَتَنَاكَ اِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحٰى وَاجْتَابَ اَرْدِيَةَ السَّرَابِ اُكَامُهَا

قال ابو السعود في تفسيره و قد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء و انتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوْشِ - يبدل الله تعالى الارض و يغير هيئاتها انتهى و كل ذلك عند النفخة الثانية فاذا اندكت الجبال و انصدعت عند النفخة الاولى استوت سطوح الارض فلا يبقى فيها غور و لا نجد حتى يرى وجهها كالقاع الصفصف على طريق السطح الحقيقي - كما قال الله سبحانه وَ يَسْاَلُوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّيْ نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرٰى فِيْهَا عِوَجًا وَّ لَا اَمْتًا - و اعلم ان هذه الآيات تدل على البعث و النشر و المراد به وجود عالم آخر بعد النفخة الثانية و هو ممكن و ذلك لان الله تعالى عالم في كل حال و قادر في كل زمان فكما كان باعتبار علمه و قدرته ابدع العالم ابتداء كذلك هو قادر على ابداع عالم آخر بعد خرابه و فساده - و ذلك لان الله تعالى عالم بالجزئيات و قادر على اعادة الاجزاء الاصلية لان الله تعالى يعلمها على وجه الاحاطة فيجوز ان يعيد الله تعالى اشياء كما كانت في الابتداء و القول باعادة المعدوم باطل و ذلك لان العالم بعد كونه خرابا بالنفخة الاولى لا ينعدم

الا باعتبار الصورة الشخصية فيكون العالم باعتبار اجناسه وانواعه موجودًا كما كان قبل خرابه - وقد بينا ذلك مرارًا - ولما كان الله تعالى يعلم الجزئيات بتمامها يجب ان يعلم عوارض كل شئ كان متشخصًا بها فيمكن له ان يعيد كل شئ متشخصًا بعوارضه التى كانت معه فى الابتداء فالقول بحشر الاجساد ثابت صحيح لا شك فيه هذا باعتبار الوجوه العقلية اما باعتبار النصوص الشرعية فالاعتقاد به فرض وانكاره كفر. اِنَّ جَهَنَّمَ - قرأه الجمهور بكسر الهمزة وقرأ ابو عمرو والمنقرى وابن يعمر بفتح الهمزة هى اسم النار - كَانَتْ مِرْصَادًا - المرصاد اسم مكان يرصد فيه الناس كالمضمار الذى يضمر فيه الخيل هذا قول ابن الانبارى وهذا المرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه الملائكة وقال الاعمش المرصاد ثلاثة جسور - خلف الصراط جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب كما قال الله تعالى - اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ اى انه لبالطريق الذى مَمَرُّكَ عَلَيْهِ - والمعنى ان جهنم كانت مرصادًا يرصد فيه الملائكة لِّلطّٰغِيْنَ - اما نعت لمرصادًا اى كائنا للطاغين - مَاٰبًا معناه مَرجعًا واما حال من ماٰبًا - قدمت عليه لكونه نكرةً - وماٰبًا بدل من مرصاد فجهنم مرصاد للمومن والكافر - كما قال الله تعالى وَاِنْ مِّنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا - لٰكنها ماٰب للكافر خاصةً فتعذّبه واما اهل الجنة فيرصد هم الملائكة ويستقبلونهم - عند هذا المرصاد فيمرون منها بالفرح والسرور لّٰبِثِيْنَ فِيْهَا - حال من الضمير المستكن فى الطاغين واختلف القراء فى لابثين فقرأ حمزة وروح بلا الف حملًا على الصفة المشبهة وهى تدل على الثبوت فذلك اللبث يصير لهم

سجيّة فيكون مثل الحذِر والفرِح ووافقهما الاعمش والباقون بالالف
اسم فاعل من لبث بمعنى اقام وقال الفراء هما بمعنى واحد أَحْقَابًا
اى مقيمين في جهنم أَحْقَابًا والاحقاب جمع حقب وهو ثمانون سنة
والحقب السنون واحد حقبة وهي زمان من الدهر لا وقت له وقال
ثعلب هو اقل من ثمانين سنة لان موسى عليه السلام لم يبق ان يسير
ثمانين سنة ولا اكثر وذلك لان بقية عمره في ذلك الوقت لا تحتمل
ذلك والجمع من كل ذلك احقاب واحقب قال ابن هرمة ـ

وَقَدْ وَرِثَ الْعَبَّاسُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ نَبِيَّيْنِ حَلَّا بَطْنَ مَكَّةَ أَحْقُبَا

وقال الفرّاء الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يومًا اليوم منها
الف سنة من عدد الدّنيا وليس هذا مما يدل على غاية وانّما يدلّ
على الغاية التوقيت مثل خمسة أحقاب او عشرة احقاب والمعنى انهم
يلبثون فيها احقابا كلّما مضى حقب تبعه حقب آخر وقال الزجاج
انهم يلبثون احقابًا اى هم خالدون في النار ـ وقال الزمخشرى
وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قلّ مطره وخيره
وحقب اذا اخطأ الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالًا
عنهم يعني لبثين فيها حقبين ـ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ـ اى في جهنم بَرْدًا
وَلَا شَرَابًا ـ البرد معناه هو المشهور اى لا يذوقون في جهنّم مع شدة
الحرّ ما يكون لهم به راحة من ريح باردا و ظل يمنع من لفحات نار ولا
يجدون شرابًا يسكن حرقتهم ويزيل عطشهم ـ وعلى هذا المعنى
يكون قوله تعالى ـ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا الخ بيانا لقوله تعالى لابثين
فيها احقابًا على ماذكره صاحب الكشاف ـ وقال الاخفش والكسائى

والفرّاء وقطرب البرد هو النوم لانّه يبرّد صاحبه فانّ العطشان ينام فيبرد بالنوم وانشد ابو عبيدة والمبرد قول الشاعر -

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِيْ ... عَنْهَا وَعَنْ رَشَفَاتِهَا الْبَرْدُ

اى النوم وكذا قال معاذ النحوي ومن كلامهم منع البرد البرد اى النوم ومنه قول الشاعر -

فَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ ... وَاِنْ شِئْتُ لَمْ اَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا

اى ماءً ولا نومًا - وفى كتاب اللغات فى القرآن البرد هو النوم بلغة هذيل - والذوق على هذا يكون مجازًا - وقيل البرد الشراب البارد والمستلذ ومنه قول حسان بن ثابت -

يُسْقَوْنَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيْصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيْقِ السَّلْسَلِ

وعلى هذا التقدير يكون لا يذوقون فى جهنم ماءً باردًا ولا شرابًا يستريحون بهما ويزيلون حرّهم وعطشهم - فيكون الذوق معناه حقيقة - واليه ذهب اكثر المفسرين - وقال بعضهم اذا اريد بالبرد النوم يكون النوم والشراب غير متناسبين والصحيح ان يراد به الماء البارد اولًا انّ النوم يبرّد العطشان ويزيل حرّه وحرقته وكذا الشراب يزيل حرّه حرقته فهما متناسبان باعتبار المعنى كما فى شعر العرجى - وَاِنْ شِئْتُ لَمْ اَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا - والنقاخ الماءُ البارد - فبالنظر الى هذه المناسبة عطف العرجى البرد على النقاخ فلا يُبعد ان يراد فى قوله تعالى بَرْدًا وَلَا شَرَابًا النوم والشراب اِلَّا حَمِيْمًا وَغَسَّاقًا - والمعنى لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا لكنّهم يذوقون حميمًا وغسّاقًا - الحميم الماءُ الحارّ والغسّاق هو ما يغسق ويسيل من جلود اهل النار وصديدهم من قيح

ونحوه ـ وقرأه ابو عمرو بالتخفيف وقرأه الكسائی بالتشديد نقلها يحيی
ابن وثاب وعامة اصحاب عبد الله بن مسعودؓ ـ وكذا قرأ حفص وحمزة
وروی عن ابن عباسؓ بالتشديد وفسره ابن مسعودؓ وابن عباسؓ
بالزمهرير ـ والباقون قرأوا بالتخفيف واختاره ابو حاتم ـ روی
عن ابی سعيد الخدریؓ عن النبی صلی الله عليه وسلم قال لو ان دلوا من غساق
يهراق فی الدنيا لانتن اهل الدنيا واختلف فی ان الغساق عربی ام لا
قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون الغساق فارسی معرب
يقولون للشیٔ الذی يتقذرونه وهو فی الاصل خاشاك ـ وهذا ضعيف
لان خاشاك عند اهل الفرس ليس معناه شيئا قذرا وانهم يريدون
بخاشاك حشيشا وهو ليس بقذر لان القذر هو النجس والحشيش ليس
بنجس ـ والاكثرون علی انه عربی ومعناه الشیٔ القذر والمنتن
قال الامام الرازی والمعنی انهم لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا
شرابا الا حميما ـ وجمعهما الله تعالی لاجل انتظام الآی كما فی
شعر امریٔ القيس ـ

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدی وكرها العناب والحشف البالی

والمعنی كان قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف البالی ـ ويحتمل
ان يكون الاستثناء بالحميم والغساق راجعا الی البرد والشراب معا
جزاء وفاقا ـ ای جوزوا جزاء وفاقا لاعمالهم لانه معصية اكبر
من الكفر ولا عذاب اكبر من عذاب النار فطابق جزاؤهم بكفرهم
انهم كانوا لا يرجون حسابا ـ ای لا يخافون حسابا ولا يؤمنون به
هذا تعليل لكونهم مستحقين بالعذاب ـ وكذبوا باٰيٰتنا كذابا ـ قرأ

الجمهور کذابا بتشدید الذال قال الفراء هو لغۃ لبعض العرب الیمانیین فصیحۃ یقولون کذبت کذابا وخرقت القمیص خرقا وکل فعلت فمصدرہ فعال مشددۃ فی لغتہم وقال لی اعرابی مرۃ علی المروۃ یستفتینی الحلق احب الیک ام القصار - وانشدنی بعض بنی کلیب

لقد طال ما ثبطتنی عن صحابتی وعن حوج قضاؤھا من شفائیا

قال الفراء وخففہما سیدنا علی بن ابیطالب رضی اللہ عنہ وکذا الکسائی کان یخفف فی قولہ تعالی - لا یسمعون فیہا لغوا ولا کذابا - وقرئ کذابا جمع کاذب فیکون المعنی ای کذبوا بایاتنا کاذبین فانتصابہ علی الحالیۃ ویجوز ان یکون الکذاب بمعنی الواحد البلیغ فی الکذب یقال رجل کذاب کقولک حسان وبخال فیجعل صفۃ لمصدر کذبوا ای تکذیبا کذابا مفرطا کذبہ ھذا ما ذکرہ صاحب الکشاف - وکل شیء احصینہ کتابا - ای کل شیء من الاعمال احصیناہ مکتوبا فی الصحائف او فی اللوح المحفوظ - وقرأ ابو السمال کل شیء بالرفع علی الابتداء فذوقوا فلن نزیدکم الا عذابا ای یقال لہم ذوقوا وفیہ التفات من الغائب الی الخطاب المتبادر من کلمۃ فذوقوا یدل علی کمال الانذار والازعاج وقال علیہ الصلوۃ والسلام ھذہ الایۃ اشد ما فی القرآن علی اھل النار قال صاحب الکشاف وناھیک بلن نزیدکم وبدلالتہ علی ان ترک الزیادۃ کالمحال الذی لا یدخل تحت الصحۃ انتہی - ومن الزیادۃ فی عذابہم انہا کلما نضجت جلودھم بدلہم اللہ جلودا غیرھا - وکلما خبت النار زدھم اللہ سعیرا - ان للمتقین مفازا - ھذا شروع فی بیان حال المؤمنین وما اعد لہم اللہ من نعیم الجنۃ - والمفاز فوزا

وظفر بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة هذا ما ذكره صاحب الكشاف - قال صاحب اللسان ولا يجوز ان يكون المفاز ههنا اسم الموضع لان الحدائق والاعناب ليست موضع الفوز ولعله اراد بالحدائق الاشجار الملتفة وبهذا الاعتبار عطف عليه قوله اعنابا وان اريد بالحدائق البساتين التي يحيط بها الجدار لا يستحسن عطف الاعناب عليه - حَدَآئِقَ وَاَعْنَابًا - انتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازًا او البدل الكل من كل على طريق المبالغة سأل نافع بن الازرق عن ابن عباسؓ عن قوله حدآئق واعنابا قال الحدائق البساتين قال وهل تعرف العرب ذلك قال اما سمعت قول الشاعر وهو يقول -

بِلَادٌ سَقَاهَا اللّٰهُ اَمَّا سُهُوْلُهَا فَقُضْبٌ وَدُرٌّ مُغْدِقٌ وَحَدَائِقُ

وَكَوَاعِبَ اَتْرَابًا - الكواعب جمع كاعب اللاتى فلكت ثديهن وقال ابن عباسؓ اى نواهد يقال كعب الثدى يكعب اذا نهد - يقول العرب جارية كعاب وكاعب وانشد ثعلب -

نَجِيْبَةُ بَطَّالٍ لَدُنْ شَبَّ هَمُّهُ لِعَابُ الْكِعَابِ وَالْمُدَامُ الْمُشَعْشَعُ

وَقَالَ آخَرُ

اِذَا اجْتَمَعَ الْجُوْعُ الْمُبَرِّحُ وَالْهَوٰى نَسِيْتُ وِصَالَ الْاٰنِسَاتِ الْكَوَاعِبِ

والترب اللدة والسن يقال هذه ترب هذه اى لدتها - وجمعه اتراب قال ثعلب والاتراب ههنا الامثال وهو حسن اذ ليست ههناك ولادة وَكَاْسًا دِهَاقًا - اى مترعة مملوءة - عن ابن عباسؓ ان نافع بن الازرق قال له اخبرنى كأسا دهاقا - قال اما سمعت قول الشاعر -

أَتْرَابًا عَامِرٌ يَرْجُو فِي أَنَا فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا

ای دِرَاکًا - لَا يَسْمَعُونَ - حال من المتقین - فِيهَا - ای فی الجنة لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا - و المراد باللغو الکلام الباطل و الکذاب هو ان یکذب بعضہم بعضًا - و ظاهر ان من شرب الخمور و ثمل فمن شانه ان ینطق باللغو والکذاب کما هو عادة الشاربین وخمر الجنة لیست من جنس خمور الدنیا فشاربوها لا یتکلمون بالباطل - و لا یتغیر عقولهم -

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ - قال الزجاج ای جزاهم جزاء ای بمقتضی عدة عَطَاءً بدل من قوله جزاء - و المعنی الذی جازاهم جزاءً هو عطاء و تفضل من ربهم عز وجل لانه لا یجب علیه شئ - حِسَابًا - قال ابو عبیدة ای کافیا علی طریق المجاز فی الطرف - قال ابن قتیبة معناه کثیرا قال العرب احسبت فلانا ای اکثرت له العطاء و منه قول الشاعر -

وَ نُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ

قال الزجاج معناه ما یکفیهم قال الاخفش یقال احسبنی کذا ای کفانی ومنه قول الشاعر

فَلَمَّا حَلَلْتُ بِهِ ضَمَّنِي فَأَوْلَى جَمِيلًا وَ أَعْطَى حِسَابًا

قال مجاهد حسابا بمعنی القدر - و قرأ ابو هاشم حَسَّابًا بفتح الحا وتشدید السین ای کفافا - قال الاصمعی تقول العرب حسبت الرجل بالتشدید اذا اکرمته قرأ ابن عباس حسنا من الحسن - رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قرأ عبد الله بن مسعود و ابن ابی اسحق و الاعمش و ابن محیصن و ابن عامر الشامی و عاصم ربِّ و الرحمنِ بالجر علی انه بدل من قوله ربک و الاعرج و ابو جعفر و شیبة و ابو عمرو والحرمیان برفعهما و للاخوان ربِّ بالجر و الرحمنُ بالرفع وهی قراءة الحسن و ابن وثاب و الاعمش

و الرفع على اضمار هو - وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِنْهُ - اى من رب
الرحمن - خِطَابًا - لتهويل ذلك اليوم و افزاعه مع انّه تعالى ربّهم
و رحمته واسعة - يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ - العامل في يوم قوله لا يملكون
او لا يتكلمون - والروح اما ملك اعظم شانا او مرتبة او اكبر جثة
من الملائكة او هو جبريل عليه السلام او خلق آخر منهم لا يعلمه الا الله
تعالى - وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا - تخويف الله جل شانه و تهويل ذلك اليوم
لَا يَتَكَلَّمُوْنَ - والمراد بهم الملائكة او الخلائق من الجن وقيل المراد
من المتكلمين العقلاء و هم الملائكة و مؤمنو الجن و الانس - اِلَّا مَنْ اَذِنَ
لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا - يعنى لا يتكلم احدٌ في ذلك اليوم الا من يوجد
فيه شرطان الاوّل اذن الله تعالىٰ و الثانى هو قول الصواب قال الضحاك
و مجاهد صوابًا اى حقًا - وهذان الشرطان لا يوجدان الا في من رضى
الله عنه فاجازه ان يشفع لمن يشاء من عباده عنه و اليه اشار الله تعالى
في قوله وَلَا يَشْفَعُوْنَ اِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى - اى ربّه - و يدل هذه الآية
ان المؤمنين الصالحين ايضا يكونون ماذونين للشفاعة في ذلك اليوم
المهوّل و ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ -
ذٰلِكَ - اى يوم البعث و النشر - الْيَوْمُ الْحَقُّ - بحيث لا شكّ فيه و لا
استحالة بوقوعه - فَمَنْ شَآءَ اتَّخَذَ - بالعمل الصالح الذى مبدأه هو
التوفيق من الله تعالى - اِلٰى رَبِّهٖ مَاٰبًا - اى مرجعًا من آب يؤوب اى
رجع و المعنى فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى رضاء ربّه فعل ذلك بالايمان به
و العبادة فانّهما يقرّبان العبد من مولاه - اِنَّآ اَنْذَرْنٰكُمْ - يايّها الكفار
او كفار مكّة - عَذَابًا قَرِيْبًا - يعنى عذاب يوم الآخرة لان كلّ ما هو آتٍ

فهو قريب وقيل يراد به قتل قريش يوم بدر والاول اولى - يوم ينظر المرء - سواء كان مؤمنا او كافرا - ما قدمت يداه - اى ينظر المؤمن اعماله الصالحة والكافر اعماله القبيحة فيكون الاول مثابا والثانى معذبا وانما خصص لايدى لان اكثر الاعمال انما تصدر بالايدى - قالت المعتزلة وهذه الاية تدل على ان عمل الخير يوجب الثواب وعمل الشر يوجب العقاب - قلنا لا يجب على الفاعل المختار شئ لكن عطاء الثواب على محل الخير وعد منه تعالى فلا يخلف ما وعده - كما قال ان الله لا يخلف الميعاد وذلك لان الوعد يثبت حق العبد على ذاته وابطال حقه بعد كونه موعودا امدم موم - واما عقاب الكافر فهو ايضا وعد فى معنى الوعيد فلا يجوز تركه - وقيل ينظر المرء جزاء ما قدمت يداه من الخير والشر ويقول الكافر - وهو يعم كل كافر لان اللام للاستغراق وقيل هو ابى بن خلف وعقبة بن ابى معيط وغيرهما من الاشرار الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقيل هو ابليس - يا ليتنى كنت ترابا اى يتمنى ان يكون ترابا فلم يخلق انسانا ولم يكلف فلم يبعث ولم يعذب فى هذا اليوم - او كنت ترابا كالبهائم كما روى فى الحديث اما الجان فالمؤمنون منهم مثابون والكافرون منهم معذبون - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله الذى خلق النور والنار والصلوة والسلام على النبى الذى يشفع الناس فى يوم ليس لهم اعوان فيه ولا انصار - وعلى اله الذين هم سادة الاخيار وائمة الابرار

سورة النازعات وتسمى سورة الساهرة وهى خمس واربعون او ست اربعون اية وهى مكية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحیم

وَالنّٰزِعٰتِ غَرْقًا - قال الاکثرون والمراد بالنّازعات الملائکة التی تنزع نفوس بنی آدم من ابدانهم و یظهر بهذا ان نازع الارواح لیس واحدًا وهو ملک الموت کما هو المشهور بل هم اکثرون - و المراد بهذه الارواح ارواح الکفرة یعنی ان تلک الملائکة ینزعون ارواحهم بکمال الشدّة وهو قول مجاهد وسعید بن جبیر و ابن عباسؓ وابن مسعودؓ - و قال قتادة النّازعات هی النجوم تنزع من افقٍ الی افقٍ - ای انّها تغرب و تغیب و تطّلع من افقٍ آخر وهو قول ابی عبیدة و الاخفش و ابن کیسان - و قیل النّازعات الغزاة الرّماة والمراد بالغرق الاغراق - ای اغراقا فی النّزع - وَالنّٰشِطٰتِ نَشْطًا قال ابن مسعودؓ انّها الملائکة وکذا روی عن ابن عباسؓ وقال سیّدنا علی ابن ابیطالب رضی الله عنه هی الملائکة تنشط ارواح الکفار ما بین الاظفار و الجلد حتی تخرجها - وقال الفرّاء هی الملائکة تنشط نفس المؤمن بقبضها و قال الزّجاج هی الملائکة تنشط الارواح نشطًا ای تنزعها نزعًا کما تنزع الدلو من البئر - قال الاصمعی یقال بئرٌ انشاط قریبة القعر وهی التی تخرج الدلو منها بجذبة واحدة - و قال ابو عبید هی النجوم تطلع ثم تغیّب ای تنشط من برج الی برج کالثور النّاشط من بلد الی بلد والیه ذهب الاخفش و قال ابو عبیدة و قتادة هی الوحوش حین تنشط من بلدٍ الی بلدٍ - وَالسّٰبِحٰتِ سَبْحًا - ای الملائکة الّذین تسبح فی الابدان لاخراج الارواح و قیل الملائکة الذین تسبح بین السماء و الارض وقیل هم الّذین تخرج ارواح المؤمنین لسهولة - و قال علی کرّم الله وجهه و رضی الله عنه هی الملائکة

تسبح بارواح المؤمنین بین السماء و الارض - وقال ابن الفرج سمعت ابا الجھم الجعفری یقول والسابحات سبحا ھی النجوم تسبح فی الفلک اے تذھب فیھا بسطا کما یسبح السابح فی الماء سبحا - وقال الازھری السابحات السفن وقیل ھی الخیل السابحۃ فی الغزو ومنہ قول امرئ القیس

سبوح اذا ما السابحات علی الونا یثرن الغبار بالکدید المرکل -

فالسابقات سبقا - ای الملائکۃ الذین تسبق بالوحی الی الانبیاء علیھم السلام - وقال الوروق ھی الملائکۃ سبقت ادم علیہ السلام بالخیر والعمل الصالح وقال مقاتل ھی الملائکۃ تسبق بارواح المؤمنین الی الجنۃ وھو قول علی کرم اللہ وجھہ ورضی اللہ عنہ - فالمدبرات امرا قال سیدنا علی رضی اللہ عنہ ھی التی تدبر امر العباد من السنۃ الی السنۃ - وروی عنہ یدبرون ذکر الرحمن وامرہ - وقال الماوردی فیہ قولان احدھما قول الجمھور وھو ان المدبرات الملائکۃ والثانی انھا الکواکب وروی عن معاذ ابن جبل وفی تدبیرھا الامر وجھان الاول طلوعھا وافولھا - والثانی تدبر ما قضاہ اللہ فیھا من الاحوال ومعنی تدبیر الملائکۃ للامر نزولھا بالحلال والحرام وتفصیلھما والمدبر حقیقۃ ھو اللہ والاولی ھو الذی روی عن سیدنا علی رضی اللہ عنہ اعنی ھم الملائکۃ الذین یدبرون احوال العالم کما امرھم اللہ فھم مامورون من اللہ بافعال مخصوصۃ فیھا اصلاح ھذا العالم والیہ اشار اللہ سبحانہ واوحی فی کل سماء امرھا وایضا قال ویتنزل الامر بینھن - فالملائکۃ یحفظون امر ربھم ثم ینفذونہ فی خلقہ کما یؤمرون بتنفیذھا فالمبدا الاول الذی ھو اللہ تعالی - امر ھذہ المدبرات ان تأمر الافلاک بالحرکات التی ھی مباد

لسائر الحوادث المحدثة فی هذا العالم وبهذا الامر قامت السموٰت والارض
فالمامورون کثیرون لا یعلمهم الا الله تعالی ویمکن ان یکون هؤلاء
المامورون آمرین لنوع من الملائکة وهلم جرا حتی یتنزل امر الله
تعالی الی هذا العالم ـ فسلسلة هذا التکلیف ینتهی الی نوع الانسان
فتوسط هذه الوسائط یتنزل امر الله تعالی الی خلقه ـ الا انه لا تاثیر
لهم فی امر من هذه الامور والیه ذهب الشیخ الاکبر ابن العربی فی
الفتوحات حیث قال لما جعل الله تعالی زمام هذه الامور بایدی
هؤلاء الجماعة من الملائکة المکرمین جعل فی کل سماء ملائکة مسخرة تحت
ایدی هؤلاء الولاة وجعلهم علی طبقات فمنهم اهل العروج باللیل والنهار
من الحق الینا ومنا الی الحق فی کل صباح ومساء ـ ومنهم المستغفرون ومنهم
الموکلون بایصال الشرائع ـ ومنهم الموکلون بنفخ الارواح ومنهم الموکلون
بالارزاق ومنهم الموکلون بالامطار ـ کما ذکر الله تعالی قولهم وما منا
الا له مقام معلوم ـ فما من حادث یحدثه الله تعالی فی العالم الا وقد
وکل باجرائه ملائکة ـ وهم لا یزالون تحت سلطان الارواح المهیمة وهم
خواص الملائکة فالله تعالی ینفذ اوامره فی الخلائق بهذه الملائکة
فافهم ـ وما ذهب الیه الاشراقیون من ان لکل نوع من الخلائق ربا
مدبرا لذلک النوع یؤول الی هذا المعنی ـ قیل ان الله تعالی وکل تدبیر
امر الدنیا الی اربعة من الملائکة ای جبرئیل علیه السلام ومیکائیل علیه
السلام وعزرائیل علیه السلام واسرافیل علیه السلام ـ فاما جبرئیل
علیه السلام فموکل بالریاح والجنود واما میکائیل علیه السلام فموکل
بالقطر والنبات واما عزرائیل علیه السلام فموکل بقبض الارواح واما

اسرافيل عليه السلام فهو ينزل بالامر عليهم - والمعنى ان الله تعالى [illegible]
اقسم بهذه الاشياء وجوابه محذوف وهو انه لتبعثن فان القسم [illegible]
لمعرفة السامعين به ويدل عليه قوله تعالى - أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ - يوم منصوب على [illegible] الجواب المحذوف
اى لتبعثن يوم ترجف الراجفة [illegible] رجف يرجف - اذا اضطرب قال
ابن الاعرابى رجفت البلاد اذا تزلزلت ومثله قوله تعالى يَوْمَ تَرْجُفُ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا - قال [illegible] النفخة الاولى
بها يموت الخلائق وهو قول ابن عباس - تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ - قال
[illegible] النفخة الثانية - وقال [illegible] الرادفة [illegible]
معناه [illegible] قال [illegible]
[illegible] ولو [illegible]
امامه - قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ - [illegible]
[illegible] - والوجف
الاضطراب [illegible] قال الازهرى
[illegible] الاضطراب [illegible] قول العجاج
[illegible] الى اللذات [illegible]
أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ - اى من الذل كقوله تعالى خاشعين من الذل
[illegible] المراد بهم منكرى البعث - يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ حكاية
[illegible] الذين منكرى البعث [illegible] الاستفهام للانكار - اى يقولون [illegible]
[illegible] فى الحافرة - قال [illegible]
[illegible] من [illegible] الى الطريق [illegible]

وانفسهم ... الى امه الاولى والنشأة ... من الاعرابي

تلك اذاً كرة خاسرة ... معاذ الله من سفه وعار

... ارجع الى ما ... عليه فى شباب واحرى الاول من ...

... بعد ... وصلت ... ويكون معنى الحافرة العودة فى

الدنيا حتى ... فى الحديث ان هذا الامر لا يترك

... وقال ابو

... تقال ابن

... فى الدنيا ... قول الحافرة ...

...

... وقال زيد بن اسلم

... او اذا كنا عظاماً نخرة

... والاخبار فى الثاني ... عامر والكسائي

... والاستفهام فى الثاني

... وكل مستفهم على ... الذين ...

البصرة و ابو جعفر ...

... بالتحقيق والنقص ...

هنا ... المذكورون ...

... عظاماً نخرة ...

... الى النشر ...

...

من الماء ...

مجاهد في السبعة عنه كان لا يبالي كيف قرأها بالف وبلا الف وروى
عنه جعفر بن محمد بغير الف وان شئت بالف والباقون بغير الف
وهما بمعنى كحذر وحاذر - وقرأ الجمهور وابو عبيد وحاتم بغير الف
والناخرة والنخرة بمعنى البالية المتفتتة - قال الفراء وقرئ ناخرة
وهي اجود الوجهين لان الآيات بالالف الا ترى ان ناخرة مع الحافرة
والساهرة اشبه بمجيئ التاويل وقال والناخرة والنخرة سواء في المعنى
كالطامع والطمع قال ابن بري وقال الهمداني يوم القادسية -

أقدم أخا نهم على الأساورة ولا تهولنك رؤس نادرة
حتى تعود بعدها في الحافرة من بعد ما صرت عظاما ناخرة

وقال الاخفش هما جميعا لغتان ايهما قرأت فحسن - قالوا - اي
الذين ينكرون البعث بطريق الاستهزاء - تلك - اي رجعتنا الى الحياة
التي لم نكن نعتقدها - اذا كرة خاسرة - اي ذات خسران وخيبة
لانكارنا البعث والنشر فلما بعثنا اذا نحن خاسرون - فانما هي زجرة
واحدة - اي لا تستبعدوا البعث والنشر واحياء العظام البالية - فانما
هي زجرة واحدة والمراد بالزجرة الصيحة و[illegible] النفخة الثانية التي هي
لبعث الاموات وانما سميت زجرة لانه [illegible] بها النهي عن التخلف
منه او هي صيحة لا يتخلف عنها [illegible] - فاذا هم بالساهرة - والساهرة
الارض وقيل هي [illegible] قال ابو كبير [illegible] -

يرتدن ساهرة كأن جميمها [illegible] ليل مظلم

الجميم والعميم بمعنى كثير - والسدف ظلمة الليل قيل هي ارض [illegible] وقيل
هي ارض لم يوطأ - وقال الفراء الساهرة وجه الارض لان فيها [illegible]

لنومهم ای سهرهم - وقال ابن عباسؓ قال امیة بن الصلت -

وَفِيهَا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وَبَحْرٍ   وَمَا فَاهُوا بِهِ اَبَدًا مُقِيمُ

وما فاهوا ای ما تکلموا وانی رایت فی کتب اللغات ان هذا الشعر ای وهکذا

فَلَا لَغْوٌ وَلَا تَاْثِيمَ فِيهَا   وَمَا فَاهُوا بِهِ اَبَدًا مُقِيمُ

فالمصرع الاول فی هذا البیت یناسب ثانیه - قال عکرمة هی وجه الارض کما یقال صید بحر وصید ساهرة - قال سهل بن الساعدی هی ارض بیضاء عفر اء کالخبز من النقی - قال وهب الساهرة جبل الی جنب بیت المقدس وقال قتادة هی جهنم - قال الامام الرازی ان الارض تسمی ساهرة لانها من شدة الخوف فیها یطیر النوم عن الانسان فتلک الارض التی یجتمع فیها الکفار هی موقف الحشر

هَلْ اَتٰىكَ حَدِيْثُ مُوْسٰى اِذْ نَادٰىهُ رَبُّهٗ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

قال الجوهری طوی اسم موضع بالشام تکسر طاؤه وتضم ویصرف ولا یصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومکان وجعله نکرة ومن لم یصرفه جعله اسم بلدة وبقعة وجعله معرفة - قال ابن بری اذا کان طوی اسما للوادی فهو علم له واذا کان اسما علما فلیس یصح تنکیره لتباینهما فمن صرفه جعله اسما للمکان ومن لم یصرفه اسما للبقعة قال واذا کان طوی وطی وهو الشیء المطوی مرتین فهو صفة بمنزلة ثنی وثنی ولیس بعلم لشیء وهو مصروف لاغیر ومثله قول عدی بن زید

اَعَاذِلُ اِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ   عَلَيَّ طُوًى مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ

قال ابن سیده وطوی وطی جبل بالشام وقیل هو واد فی اصل الطور قال ابو اسحق طوی اسم الوادی ویجوز فیه اربعة اوجه طوی بضم الطاء

بغير تنوين وبتنوين فمن نوّنه فهو اسم للوادي او الجبل وهو مذكر
سمّى على فُعَل نحو حُطَم وصُرَد ومن لم ينوّنه ترك صرفه من جهتين
احداهما ان يكون معدولا عن طاوٍ فيصير مثل عمر المعدول عن عامر
فلا ينصرف كما لا ينصرف عمر وهذا قول الفرّاء والجهة الاخرى
ان يكون اسما للبقعة كما قال في البقعة المباركة من الشجرة واذا
كسر فنوّن فهو طِوًى مثل مِعًى مصروف - وسئل المبرّد عن وادٍ يقال له
طُوى أتصرفه قال نعم لان احدى العلّتين قد انخرمت عنه - وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب الحضرمي طُوى و طُوى اذهب غير مجرى
وقرأ الكسائي وعاصم وحمزة وابن عامر طُوًى منونا في السورتين
وقال بعضهم معنى طُوًى اي طُوِيَ مرتين اي قدّس وقال الحسن ثنيت
فيه البركة والتقديس مرتين - اِذْهَبْ اِلٰى فِرْعَوْنَ - هي على
حذف أن المفسرة ويؤيّده قراءة ابن مسعود أن اذهب لانّ في النداء
معنى القول - اِنَّهٗ طَغٰى - اي لانه طغى تعليل لذهاب موسى عليه
السلام الى فرعون وطغيانه تكبّره على الله عزّ وجلّ - فَقُلْ هَلْ لَّكَ
اِلٰٓى اَنْ تَزَكّٰى - قرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاء على ادغام التاء في
الزاء والباقون من السبعة قرأوا بالتخفيف - قال أبو عمرو بن العلاء
المازني معنى قراءة التخفيف هل لك ان تكون منا زكيا - والمعنى
هل لك رغبة الى ان تطهر والعرب يحذفون القيد الذى تتعلق به
الى اي هل لك رغبة كما قال اوس بن حجر

فهل لكم فيها اِلىّ فانّني بصير بما أعيا النطاسيَّ حِذيما

النطاسي عالم بالامور - اي فهل لكم رغبة او حاجة الىّ - والتزكية

الهداية الى توحيد الله و معرفته - وَ اَهْدِيَكَ اِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى
هذا تفسير التزكية - اى ارشدك سبيل ربك لانك ضللت عن الطريق
التى توصلك الى ربك فتخشى لان خشية الله لا تكون الا بمعرفته
كما قال الله تعالى اِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰٓؤُا - فَاَرٰىهُ الْاٰيَةَ
الْكُبْرٰى - قال ابو حيان وفى الكلام حذف اى فذهب و قال له
ما أمره ربه و اتبع ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه فارئه الاية الكبرى
و هى العصا و اليد جعلهما اية واحدة لان اليد كأنها من جملة العصا
لكونها تابعة لها او العصا وحدها لانها كانت المقدمة و الاصل
و اليد تبع لها لانه كان يتقيها بيده - فَكَذَّبَ - اى فرعون موسى عليه
السلام - وما اتى من المعجزتين الدالتين على انه عليه السلام ارسل
اليه من عند ربه - وَ عَصٰى - اى الله تعالى بعد ما علم ما أتى به موسى
عليه السلام ثم ارتاب و توهم انه سحر - ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعٰى - وذلك
لان فرعون لما راى العصا ثعبانا عظيما فجعل يسرع فى مشيته و لم
يتخيل ان الادبار والفرار من الشئ الذى هاب عنه مناف لدعوى
الالوهية - و قال الجمهور هو كناية عن اعراضه عن الايمان و يسعى
اى يجتهد فى اضرار موسى عليه السلام و فى مكايداته فَحَشَرَ فَنَادٰى
اى جمع السحرة و اعيان دولته فنادى اى قام فيهم خطيبا او فنادى
فى المقام الذى اجتمعوا فيه - فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلٰى - قال ابو حيان
قال ابن عطية قول فرعون ذلك نهاية فى المخرفة و نحوها باق فى
ملوك مصر و اتباعهم انتهى و انما ذلك لان ملك مصر فى زمانه
كان اسماعيليا و هو مذهب يعتقدون فيه الالهية - وكان اول

من ملکها منهم المعز بن المنصور بن القائم المهدی عبید الله و اٰخرهم العاضد و طهر الله مصر من هذا المذهب الملعون بظهور الملک الناصر صلاح الدین بن یوسف بن شادی رحمه الله - و جزاه عن الاسلام خیرا انتهی و المعنی انه قال فی النادی الذی جمع فیه اعیان مصر انا ربکم الاعلی ای اعلی من کل صنم عبد تموه - قال عطاء و کان صنع لهم اصناما صغارا و امرهم بعبادتها - نعوذ بالله من هذا القول و اعلم ان هذا القول نشأ منه لو فور کبریائه و کثرة خیلائه فی نفسه و الا فهو کان یعرف حین کان یدعو الله بانه عبد من عباده الذلیلین - و لا یخفی علی الفطین المتدرب ان دعوی الالوهیة اعظم من الشرک لان فی الاول انحصار الالوهیة فی نفسه مع انکار الالوهیة الواقعیة و فی الثانی اثبات الالوهیة لغیر الله کالاصنام مثلا مع اقرار الالوهیة الواقعیة و قد ذکر الله مرارا فی کتابه انه لا یغفر الشرک و یغفر ما دون ذلک لمن یشاء فالمشرک هو القانط من رحمة الله تعالی فاذا کان حال المشرک کذلک فکیف یکون حال من یدعی الالوهیة و ینکر الالوهیة الواقعیة الثابتة لله تعالی و لذلک قال فی کتابه القدیم - فاخذه الله نکال الاخرة و الاولی النکال نعت لمصدر محذوف ای اخذه الله اخذا نکال الاخرة و الاولی وقال الزجاج انه مصدر مؤکد بغیر لفظه و الاول هو الذی ذهب الیه الفراء و النکال العقوبة قال مجاهد معناه عذاب اول عمره و اٰخره و للشیخ الاکبر فی باب فرعون الطاغی کلام اخر و نذکر هنا ملخصا المذکور فی الفتوحات - قال الشیخ ان فرعون کان فی باطنه ذلة و صغار و فی

قوله فاخذه الله نکال الاخرة و الاولی و النظر فیه قول الشیخ ابن عربی

ظاهرة جبروت و استكبار كما يرى في الجبابرة و الطغاة فلذلك ارشد الله لموسى وهارون عليهما السلام ان قولا له قولا لينا وما يوهم بلين المقال الا لمن كان قوته اعظم من قوة من ارسل اليه فاللين في القول ليس الا استنزال ظاهره من الجبروت والكبرياء الى التواضع والتخشع - والغرض منه ارادة التساوى في الظاهر و الباطن - و لما كانت الذلة و الافتقار مستترا في باطنه قال آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل و انا من المسلمين - فاظهر حالة باطنه في العلم الصحيح الذى كان كامنا في قلبه فلا مرية في كونه مومنا و اما قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا - يدل على ان بأس الدنيا لا ينفع عمن نزل به ولا يدل ما في الآية على ان بأس الآخرة ايضا غير منتفع فيجوز لنا ان نقول ان ابتداء الغرق كان عذابا فصار الموت في حقه شهادة لم يتخللها معصية فقبض على افضل عمل وهو التلفظ بالايمان ولم يؤخر اجله في حال ايمانه لئلا يرجع الى ما كان عليه من الدعوى - اقول هذا كلام مؤول لان قوله تعالى - فاخذه الله نكال الآخرة و الاولى - يدل دلالة صريحة على انه ماخوذ في الدنيا بالغرق و ماخوذ في الآخرة بعذاب النار و ما قال الشيخ ان غرقه كان عذاب الآخرة و لذلك قدمها في الذكر على الاولى غير مستقيم لان الغرق اذا كان نكال الآخرة فقط فاى شيء يتصور ان يكون نكال الاولى و الكلام يدل على ان له نكال الاولى لان الاولى معطوفة على الآخرة فلا بد ان يكون مضافا اليه للنكال فيكون المعنى ان الله اخذه نكال الآخرة ونكال

الاولی والصحیح ان الغرق هو نکال الاولی ای الدنیا اما نکال الآخرة
فهو عذاب النار کما ورد فی قوله تعالی ادخلوا ال فرعون اشد
العذاب فهذا عذاب الآخرة و اما قال الشیخ الاکبر ان
فرعون لا یدخل النار بل یدخلها آله لانه حکم بقوله ادخلوا ال فرعون
ولم یقل ادخل فرعون و اله - فهو غیر صحیح لان الله تعالی اراد بال
فرعون قومه وکانوا یعتقدون بالوهیته وهو یدعوهم الی الوهیة
نفسه فهو معذب فی النار اولا وبالذات لهذه الدعوة الباطلة
و آله معذبة ثانیا وبالعرض لانهم صاروا کافرین باجابة دعوته
وقد قال الشیخ الاکبر فی باب الثالث والسبعین فمن ظهر بصفته
لم یؤاخذه الله لانه کیف یؤاخذه اذا ظهر بما هو حق له - و لما
لم یکن لهم الجبروت وما فی معناه وظهروا به اهلکهم الله فتحقق
عند العارفین انها صفة الحق تعالی ظهرت فیمن اراد الله ان یشقیه
انتهی فاذا کان اظهار العبد لنفسه صفة من صفات الله تعالی
موجبا لشقائه وسببا لاهلاکه فکیف لا یکون دعوی الالوهیة
مع کونه عبدا علة لدخوله النار - ان فی ذلک - ای قصة فرعون
لعبرة - عظیمة - لمن یخشی - الله [illegible] ویخاف عقوبة الآخرة
ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها - قرأ [illegible] یسهیل الثانیة
مع الفصل بلا الف [illegible]
وجهبه وبلا فصل [illegible]
القاصع الما - والثانیة [illegible]
[illegible]

أخلقًا أم خلق السماء والمخاطبون كفار مكة ومثله قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم - رفع سمكها - اي اعلاه في الهواء هو بيان للبناء والسمك غلظ السماء وهو الارتفاع بين سطح الاسفل والاعلى - قال الامام الرازي ان امتداد الشيء اذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقًا واذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمي سمكًا - فسوّاها - اي سوى حجمها وجعلها مستوية ملساء ليس فيها شقوق - والمراد من السماء فلك الافلاك وهو اول مخلوق جسمًا اظهره الله وابدعه بكلمة كن وهو محدد الافلاك عند الحكماء وزعموا انه لا كوكب فيه لانه ثبت عند اصحاب الارصاد هكذا - والراصدون لما لم يروا وراء المحدد جسمًا ولا مكانًا ظنوا ان الافلاك تسعة - وقالوا ان العقول عشرة فالعقل الاول منها اوجد العقل الثاني وفلك الافلاك والعقل الثاني اوجد العقل الثالث والفلك الثامن والعقل الثالث اوجد العقل الرابع والفلك السابع والعقل الرابع اوجد العقل الخامس والفلك السادس والعقل الخامس اوجد العقل السادس والفلك الخامس والعقل السادس اوجد العقل السابع والفلك الرابع - والعقل السابع اوجد العقل الثامن والفلك الثالث والعقل الثامن اوجد العقل التاسع والفلك الثاني - والعقل التاسع اوجد العقل العاشر والفلك الاول فصار الافلاك تسعة وتم سلسلة الافلاك وانتهى سلسلة العقول الى عشرة - فعلقوا سلسلة العلية والمعلولية بينهما وبين الافلاك

بيان ان السموات والعقول على قول الحكماء

ولا برهان عندهم علی حصر العقول فی عشرة سوی عدد الافلاک
فلم یبق هذه المسئلة الا وهماً - ولذلک لم یذهب الاقدمون
من الحکماء الی ترتیب وجود العالم بهذا الطریق - قال الشیخ الاکبر
انتصاراً لهم ولم یمنعوا ان یکون فوق الفلک الاطلس افلاک اخر
الا ان الراصد لم یبلغ الیها - والحق انهم عاجزون فی تفاصیل
احکام الموجودات علی ما هی علیه فی نفس الامر - فلم یذکروا فی نظامها
وترتیبها الا علی سبیل الظن والتخمین - والیه ذهب الصدر
الشیرازی واذا کان کذلک یجب فی هذا الباب ان یستدل باقوال
الانبیاء والرسل علیهم السلام والکتب المنزلة علیهم ولا یجوز ان
یعتقد فیه باقائیس الحکماء لان علومهم ظنیة وقیاساتهم تخمینة
فلابد ان نخلی قلوبنا من وساوس هؤلاء المفتنین - واعلم ان
کلمات هذه الایة تدل علی ان السماء جسم ذو سمک وتسویة
ولیس فیه شیء یدل علی انها مد البصر او نهایته کما یقال فی هذا الزمان
وعدم رویتها لان آلات الرصد یة والمناظر الکبیرة الطویلة لا یدل
علی عدمه لانه یمکن ان تکون فی غایة البعد ولا تکفی هذه الالات
لرویتها ولکونها شفافة لا لون لها اما رویة الکواکب فی جاذبیة
لکونها متجلیة ولا مانع لها - وَاَغْطَشَ لَیْلَهَا - ای اظلم -
والاغطاش یجیء اللازم والمتعدی یقال اغطش اللیل بنفسه واغطشه
الله ای اظلمه - والغطاش ظلمة اللیل - وَاَخْرَجَ ضُحٰهَا - ای ابرز
نهارها واضافة اللیل والنهار الی السماء لانهما یحدثان بطلوع
الشمس وغروبها وهما لا یحدثان الا بحرکة الفلک فصح اضافة

اللیل و النہار الی الفلك - وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰىهَا - ای بعد تسویۃ السماء و معنی دحاها بسطها یقال دحا الارض یدحوها دحوًا بسطها و کذا قال الفراء - قال شمر و انشدتنی اعرابیۃ

الحمد للہ الذی اطاقا بنی السماء فوقنا طباقا
ثم دحا الارض فما اضاقا

قال شمر و فسرته - فقالت دحا الارض ای اوسعها - و انشد ابن بری لزید بن عمرو بن نفیل -

دحاها فلما راٰها استوت علی الماء ارسی علیها الجبالا

قال اکثر اهل التفسیر ان اللہ تعالی خلق الارض اولًا ثم خلق السماء ثانیًا ثم دحی الارض ای بسطها ثالثًا لانها کانت فی بدو الامر کالکرۃ المجتمعۃ ثم مدها اللہ و بسطها و استدلوا علی ھذا القول بقولہ تعالی ھُوَ الَّذِیْ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِی الْاَرْضِ جَمِیْعًا ثُمَّ اسْتَوٰۤی اِلَی السَّمَآءِ فَسَوّٰىهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ - اقول و ھذا الاستدلال ضعیف لان ھذہ الاٰیۃ تدل علی ان تسویۃ السماء موخر عن خلق الارض و لا تدل علی ان خلق السماء موخر عن خلق الارض و ظاھر ان التسویۃ غیر الخلق - کما ان دحو الارض مغائر من خلقھا -

اَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا - ای من الارض ماءھا و ھو الذی یجری من الانہار و العیون المتفجرۃ و الصحیح ان الماء الذی یجری من اصول الجبال فھو ماء الامطار الذی نفذ فیھا فاذا کثر ذلك الماء انفجر عنہ العیون و الانہار و تسیل علی وجہ الارض لان کرۃ الماء لیست تحت الارض و انما اضاف اللہ الماء الی الارض

لأنّ العیون المنفجرة والینابیع الفوّارة تنسب الی الارض لانّ مخازنها هی الجبال - فیکون اسناد الماء الی الارض اسنادًا مجازیًا - ومرعٰها - ای اخرجه من الارض النّباتات لان نرتع منها الحیوانات ویتخذ من بعضها الانسان کالبقول وبذور وی من بعضها کالعقاقیر - ثم النّباتات امّا مخلقة عادةً وامّا غیر مخلقة عادةً فالمخلقة تسمّی شجرًا وهو کلّ نباتٍ قام علی ساقٍ وغیر مخلقةٍ تسمّی نجمًا وهو کلّ نباتٍ لم یقم علی ساقٍ بل له الطّلوع والظهور علی وجه الارض خاصّةً - ثم النّبات علی قسمین الاوّل ما له حسٌّ ونموٌّ ومنه ما له الحرکة المستقیمة ومنه ما له الحرکة الافقیة وقد تسمّی منکوسةً والثانی ما لیس له حسٌّ ولکن له نموٌّ فهو ایضًا مثل الاوّل وهی تحصل الحیاة من الاصول لجذب الماء الذی یوافق طبعه بطبع النبات ومن الفروع ایضًا لجذب الهواء مثلًا - ویجب ان لا یخالف طبعه بطبع النبات والّا یخاف علیها الموت بطریان الیبوسة - وما من نباتٍ الّا وهو داءٌ او دواءٌ - ای فیه مضرّةٌ ومنفعةٌ وذلک بحسب استعمال الامزجة فیجوز ان یکون داءٌ لبعض الامزجة ودواءٌ لغیرها وذلک تقدیر العزیز الحکیم - والتفصیل فی مطولات علم النباتات

وَالْجِبَالَ اَرْسٰهَا - ای اثبتها فی الارض وجعلها کالاوتاد لئلا تمید الارض عن مرکزها ثم الجمهور بنصب الجبال علی الاشتغال ای ارسی الجبال ارساها وقرئ بالرفع علی الابتداء والاولی هی قراءة الجمهور - مَتَاعًا - ای متعة - لَّكُمْ وَلِاَنْعَامِكُمْ - تقدیر الکلام

مَتَّعَکُمْ مَتَاعًا لَکُمْ او مفعول لاجله ای فعل هذا تمتُّعًا لکم ولانعامکم
فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْکُبْرٰی - یقال طَمَّ الماءُ یطِمُّ طَمًّا
وطموما اذا علا وغلب - واصله من طَمَّ الشیءَ اذا عظم وجاء
السیلُ فطمّ رکیّة آل فلان اذا دفنها وسوّاها - وانشد ابن
بری للراجز -

فَصَبَّحَتْ وَالطَّیْرُ لَمْ تَکَلَّمِ خَابِیَةً طُمَّتْ بِسَیْلٍ مُفْعَمِ

وقال الفرّاء هی القیامة تَطُمُّ علی کل شیءٍ ای تغلب وقال المبرّد
الطَّامّة الدّاهیة التی لا تُستطاع - وقال الزّجاج الطّامّة هی
الصیحة التی تَطُمُّ علی کلّ شیءٍ وجاء فی الحدیث ما من طامّة
وفوقها طامّة ای ما من امر عظیم وفوقه امر عظیم - قال ابن عباس رضی
الطّامّة اسم من اسماء یوم القیامة - وجواب اذا جاءت محذوف
یدل علیه قوله یوم یتذکر الانسان ما سعی - یَوْمَ یَتَذَکَّرُ
الْاِنْسَانُ مَا سَعٰی - یوم منصوب بفعل مضمر ای اعنی یوم یتذکر
وقیل انّ الظّرف بدل من اذا وقیل هو بدل من الطّامّة الکبری
وما مصدریّة او موصولة - ای یوم یتذکر الانسان ما عمل
فی الدنیا من خیرٍ وشرٍّ وذلک سعیه - وَبُرِّزَتِ الْجَحِیْمُ لِمَنْ یَّرٰی
قرأ الجمهور لمن یری بالتحتانیة - وقرأت عائشة رضی ومالک بن
دینار وعکرمة وزید بن علی رضی بالفوقانیة ای لمن تری والمعنی
ای لمن تراه الجحیم ولمن تراه انت یا محمد وقرأ ابن مسعود رضی
لمن رای علی صیغة فعل الماضی والمعنی واظهرت الجحیم النار
المحرقة اظهارًا بیّنًا - فیراها الخلائق باعینهم او لمن یری من الکفار

ما عد المومنين - فَاَمَّا مَنْ طَغٰى - اى جاوز الحد فى الكفر و المعاصى
وَاٰثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا - اى قدمها على الاخرة و اختارها - فَاِنَّ
الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَاْوٰى - اى ماواه - ولا يخفى على العارف الفطن
ان مواثرة الدنيا رأس كل خطيئة و لذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة - قال الامام الرازى
و متى كان الانسان و العياذ بالله موصوفا بهذين الامرين
كان بالغا فى الفساد الى اقصى الغايات و هو الكافر الذى يكون
عقابه مخلدا - اقول و اذا كان كذلك يجب رفض الدنيا اولا
عن حبها لان حبه راس كل خطيئة و هو منهيا - و اليه اشار
الله تعالى - وَتَبَتَّلْ اِلَيْهِ تَبْتِيْلًا - اى انقطع الى الله تعالى انقطاعا
من كل شئ - فيكون ترك حب الدنيا فريضة على كل مسلم و مسلمة
لان جزاء مَنْ آثرها هو الجحيم فيكون ترك حبها فرضا - وَاَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهٖ - اى حذر مقامه بين يدى ربه يوم القيامة و فى اضافة
المقام الى ربه تهويل و تعظيم و تقرير على النفوس و تعذيب بليغ لذلك
المقام و المراد بمن المومن العارف لان الخوف معلوم الحصول فان
فمن لا يعرف الله لا يخاف منه - و انما الخائف منه فشانه ان
يتنحى عما نهى الله عنه و اليه اشار الله تعالى - وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى
اى عن الميل الى تحصيل الشهوات و اكتساب الحياة الدنيا و زهرتها
و لم يغتر بزخارفها - فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاْوٰى - اى منزله الذى
يأوى اليه و يخلد فيه [illegible]
ماواه وهو مذهب [illegible]

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ - يا محمد صلى الله عليه وسلم - أَيَّانَ مُرْسٰهَا - قال الفراء اى منتهى قيامها كرسو السفينة و قال ابو عبيدة و مرسى السفينة حين تنتهى - و المعنى ايان منتهاها و مستقرها - فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرٰهَا - اى فى اى شئ انت من ذكراها - قالت عائشة رض كان رسول الله يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى عن ذكره و المعنى فى اى شئ انت من ذكر تحديدها و وقتها اى لست من ذلك فى شئ - و كذا روى عن على كرم الله وجهه و رضى الله عنه - إِلٰى رَبِّكَ مُنْتَهٰهَا - اى منتهى علم الساعة لم يؤت لاحد من الخلائق و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جواب جبريل عليه السلام ما المسئول عنه اعلم من السائل بل ينتهى علمها الى الله تعالى - إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَّخْشٰهَا - قرأ الجمهور باضافة الى ما بعده و قرئ بالتنوين قال الفراء كلاهما صواب - قال صاحب الكشاف و قرئ منذر بالتنوين و هو الاصل و الاضافة تخفيف و كلاهما للحال و الاستقبال فاذا اريد به الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس - انتهى - قال ابو حيان فى تفسيره اما قوله و هو الاصل يعنى التنوين فهو قول قد قاله غيره ممن تقدم - و قد قررنا فى هذا الكتاب و فيما كتبنا فى هذا العلم ان الاصل الاضافة لان العمل انما هو بالشبه و الاضافة هى اصل فى الاسماء و اما قوله فاذا اريد به الماضى فليس الا الاضافة فهذا فيه تفصيل و خلاف مذكور فى علم النحو انتهى اقول ان اسم الفاعل عند البصريين لا يعمل عمل المضارع الا بشرط كونه بمعنى الحال او الاستقبال

فاذا كان للماضي بطل الشرط فلا يعمل عمل المضارع في وجبت اضافة كما قال صاحب الكشاف أمّا من لم يشترط في عمله هذا الشرط كالكسائي فانه يقول ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل وان كان بمعنى الماضي ويحتج بقوله تعالى والكلب باسطٌ ذِرَاعَيْهِ ورُدَّ لانّهُ على حكاية الحال والمعنى يبسُطُ ذراعيه بدليل ونُقَلِّبُهم ولم يقل الله سبحانه وقلّبناهم - كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا - اي القيامة - لَمْ يَلْبَثُوا - يتخيلون انّهم لم يمكثوا في الدنيا او في اجداثهم - إِلَّا عَشِيَّةً - اي كامتدادا الوقت من الزوال الى غروب الشمس - أَوْ ضُحَاهَا - اي من البكرة الى زوال الشمس - واضاف الضحى الى العشيّة لكونهما طرفي النهار ولمّا بدأ بذكر احدهما اضاف الاخر اليه مجازا وتوسّعا - تم تفسير هذه السورة فحمدا لله على ما وفّقنا لتفسيرها - والصلاة والسلام على نبي هذه الامّة الامّيّة وبشيرها ونذيرها وعلى اله واصحابه الذين هم سراة الناس سادتهم

وهلّا انتهم

ووفّا

تمتهم

سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

عَبَسَ وَتَوَلّٰىٓ اَنْ جَآءَهُ الْاَعْمٰى - روی ان ابن مكتوم جاء النبی صلی الله علیه وسلم - وعنده عُصبة من صناديد قريش عُتْبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن المطلب وامية بن خلف والوليد بن مغيرة يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله اقرئنی وعلمنی ما علمك الله وكرر ذلك ولا يعلم مقاولته صلی الله علیه وسلم بالقوم فتأنف رسول الله صلی الله علیه وسلم ان يقطع كلامه ولم يتوجه الى قوله فانزل الله سبحانه هذه الاٰية فكان رسول الله صلی الله يكرمه بعد ذلك - ومعنى عَبَسَ قطب وتولی اَعْرض - ان جاءه الاعمی مفعول لاجله - ای قطب رسول الله صلی الله علیه وسلم لمجیء الاعمی عنده وخطابه حين كان رسول الله صلی الله علیه وسلم - يناجيهم ويدعوهم فی امر الاسلام وانما قال الله تعالٰی - عَبَسَ وتولّٰی ولم يخاطبه اجلالا لشانه وتعظيما لمكانه ولطفا به ان يخاطبه تنبيها - بل نبهه علی طريق حكاية الكلام قرأ الجمهور عَبَسَ مخففا - ان بهمزة واحدة - وزيد بن علی بتشديد الباء - وهو الحسن وابو عمران الجونی وعيسى اٰاَنْ بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين محققتين والهمزة فی هاتين القراء تين للاستفهام - وانما قال الاعمی اشعارا بما يناسب

من الوفق - وَمَا يُدْرِيكَ - ای ای شیءٍ جعلك دارياً بحاله حتى
تولّيت عن ذلك الاعمى - لَعَلَّهُ - اختلف في المرجع فقال بعضهم
انه يرجع الى الاعمى - يَزَّكّٰى - ای لعلّه يتطهّر من الذنوب بالعمل
الصالح الذی يفعله بتعليمك و يتنزه من الادناس بفيضان
تلقينك - و قال بعضهم انه يرجع الى الكافر و المعنى انك ترجوا
ان يزّكّى الكافر بلغو دا الاسلام و تطمع تصقيله و ازالة دينه
عن فؤاده فيطهر قلبه بادناس الشرك و الكفر بتعليمك اياه و
الامر ليس كذلك و الاحتمال الاول هو الاولى - اَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى - ای الموعظة التی سمعها منك و قرأ الجمهور
فتنفعه برفع العين عطفاً على او يذكّر و عاصم و الاعرج ابو حيوة
و ابن ابی عبلة بنصبهما قال صاحب الكشاف و بالنصب جواباً للعل
اَمَّا مَنِ اسْتَغْنٰى - ای كان ذا مال و ثروة و يراد به المذكور دون
او استغنى عن ذكراك - فَاَنْتَ لَهُ - ای لذلك المستغنی - تَصَدّٰى
ای تصغى لكلامه - و المتصدی هو الذی يرفع رأسه و صدره
يتصدّى للشیء ينظر اليه و المعنى انّ من كان مستغنياً عن موعظتك
فانت تقبل اليه بالاهتمام لاستصلاحه و استرشاده - قال القرطبی
و هذا كله غلط من المفسرين لان اُمَيَّةَ و الوليد كانا بمكة و ابن
ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما و ماتا كافرين احدهما قبل
الهجرة و الآخر في بدر - و لم يقصد قطّ امية المدينة و لا حضر معه
منفرداً و لا مع احد انتهى - قال ابو حيان و الغلط من القرطبی كيف ينفى
حضور ابن ام مكتوم معهم و هو وهم منه و كلهم من قريش و كان

ابن ام مکتوم بها و السورة کلّها مکیّة بالاجماع وکیف یقول و ابن ام مکتوم بالمدینة - کان اولًا بمکة ثم هاجرا الی المدینة وکانوا جمیعهم بمکّة حین نزول هذه الآیة و ابن ام مکتوم هو عبد اللّٰه ابن سرح بن مالك بن ربیعة الفهری من بنی عامر بن لوی و ام مکتوم ام ابیه عاتکة و هو ابن خال خدیجة رضی اللّٰه عنها انتهی هذا هو الحق و هو قول الجمهور و قرأ الحسن و ابو رجاء وقتادة والاعرج و عیسی و الاعمش و جمهور السبعة تصدّٰی بتخفیف الصاد واصله تتصدی فحذف التاء و ابن کثیر و نافع قرأ بتشدید الصاد - و ابو جعفر بضم التاء و تخفیف الصاد تُصَدّٰی ای یصدّ بك حرصك علی اسلامه وَمَا عَلَیْكَ اَلَّا یَزَّکّٰی ای لا شئ علیك فی ان لا یسلم من دعوته الی الاسلام و لا یهتدی لانّ فصاری تعلیمك هو اداء الطریق فلا یجب علیك اَنْ تحرص فی اسلامه و تکابد فی ارشاده لانّ الایصال الی الهدایة انّما هو من فعلنا - لا من فعلك وَاَمَّا مَنْ جَآءَكَ یَسْعٰی ای وصل الیك یسرع فی ابتغاء الخیر و الاشتغال فی طاعة اللّٰه وَهُوَ یَخْشٰی ای اللّٰه او اذاة الکفار و هو ابن ام مکتوم - فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی ای تتشاغل عنه مع کونه ساعیا فی طاعة اللّٰه وهو یخشی و قرأ طلحة بن مصرف تتلهّی - و قرأ ابو جعفر تُلْهی ای یلهیك شان الصنادید - و هذا عتاب للنبی صلی اللّٰه علیه و سلم و معناه و هذا لا ینبغی للنبی ذلك لانّ شأنه ان یتصدّی للفقیر و یتلهّی عن الامیر کَلَّآ - ردع له صلی اللّٰه علیه و سلم و معناه لا تعرض عن الفقیر المسلم و لا تقبل الی الامیر المشرك - اِنَّهَا - ای هذه الآیات تَذْکِرَةٌ

ای موعظة - فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهٗ ای اتعظ به واعتمل بموجبه - فِي صُحُفٍ - ای انّ هذه الآیات منتسخة فی صحف من اللّوح المحفوظ مُكَرَّمَةٍ - عند الله لما فیها من العلم و الحکمة - مَّرْفُوْعَةٍ - ای رفیع القدر عند الله بارتفاع معانیها - و قیل مرفوعة فی السماء السابعة مُطَهَّرَةٍ ای منزّهة مکتوبة باذن الله تعالی - بِاَیْدِیْ سَفَرَةٍ جمع سافر ککتبة و کاتب قال ابن عباسؓ و معناه بالنّبطیة القرّاء - و قال الفرّاء السَفَرَة هم الملائکة الّذین یسفرون بالوحی بین الله و بین رسوله و هو قول ابن عرفة - قال الزجّاج قیل للکاتب سافرٌ و الکتاب سِفرٌ لانّ معناه انه یبین الشیٔ و یوضحه - و قال الاسفار للکتب الکبار و احدها سفرٌ و المعنی انّ هذه الآیات مکتوبة بایدی الملائکة المکرمین من اللّوح المحفوظ فی الصحف المکرّمة - كِرَامٍ - ای مکرمین فی الملائکة - بَرَرَةٍ جمع بارٍّ - ای مطیعین - و اعلم انّ الاوصاف التی ذُکرت فی شان الملائکة لا تستدعی اَنْ تکون قوی مجرّدة عن المادّة کما ذهب الیه الحکماءُ لانّ استعمال هذه الکلمات فی معانیها الحقیقة غیر متعذّرة عند العقل و لا مهجورة عند اهل اللسان و ح لا یجوز اَنْ یترك الحقیقة - فیجوز لنا اَنْ نقول انّ الملائکة اجسامٌ نورانیة عباد الله لا یعصون الله و یفعلون ما یؤمرون فمنهم سَفَرة الکتب و منهم حاملوا الوحی و منهم سُفراءُ بین الله و بین رسله و منهم المدبّرات یدبّرون الامور المقدّرة فی علم الله تعالی و منهم المقسّمات فانهم یقسّمون حظوظ العباد و ارزاقهم - و منهم موکلة علی الماء و الهوا - فلا یجوز للمسلم اَنْ یقول انّ الملائکة قوی

مجرّدة لانّ ذلك خلاف القرأن - والتأويل فيه ومن تاوّل القران بالرّاء فليتبوّ امقعده من النار - قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ؕ اى لعن الانسان ای شئ أكفره - اى جعله كافرا - قال الزجّاج - معناه اعجبوا انتم من كفره - مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ - والاستفهام للتقرير - مِن نُّطْفَةٍ اى من ماءٍ مهين محقّرٍ - خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۚ اى خلقه من تلك النطفة فقدّره تقلّبا نه من طورٍ الى طور وتحوّلاته من حالٍ الى حالٍ باعتبار اعضائه وقواه او باعتبار ازمنة عمره - ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۙ اى سبيل الخير والشرّ وقيل الخروج من بطن امّه - قال الامام الرازی أن راس المولود فی بطن امّه من فوقٍ ورجليه من تحت فهو فی بطن امّه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهامٍ من الله ثُمَّ أَمَاتَهُ - اذا جاء اجله - فَأَقْبَرَهُ - اى واراه فی قبره اكراما له ولم يجعله ملقىً على الارض حتىّ تاكله السباع - هذا قول الفرّاء وقال ابو عبيدة جعل له قبرا وامر ان يقبر فيه - ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ اى أحياه بعد موته - واعادة بعد الابتداء - والاعادة تكرار الامثال على الوجود العينى ولا يجوز تكرار العين لانّ الوجود ليس الاثنين - والى ذلك يشير الله تعالى انّه فی لبس من خلق جديد فالاعدنا أذبين النشأة الاولى والاخرى يعود الى التدبير لانّ صورة النشأة الاولى قابلة للفناء والزوال بخلاف صورة النشأة الاخرى فهى لا تقبل الزوال فهى باقية ابدًا فالاعادة عبارة عن الباس الصورة الباقية على اعيانِ الممكنات فهی اعادة حكمًا لا اعادة عينٍ ثم الصفات الخسيسة التى هى تابعة لامزجة صورِ الاجسام الفانية كالبول

والبراز والمنى وغيرها اعراضٌ جسمانيةٌ قابلةٌ للزوال والفناء لانها لاحقةٌ بصور فانية فيجوز فنائها كما يجوز فناء موضوعاتها وذلك لانه في تلك النشأة لا يوجد مزاج يكون فيه استعداد البول والغائط والمخاط فلا توجد هذه الاعراض في النشأة الباقية — لا بديّة
كَلَّا — كلمة ردع للانسان وبمعنى حقا — لَمَّا يَقْضِ — اى لم يفعل الانسان — مَآ اَمَرَهٗ ؕ اى ما امره ربّه من الايمان والاسلام والاعمال الصالحة والتخلق بالاخلاق الحسنة والتبرّى عن الرذائل كالكبر والبطر والحسد والاشر والتامّل في خلقه اوّل مرّة لانّه كان في هوان ومذلة والاعتبار من احتياجه وافتقاره من بدو وجوده الى اخر عمره — فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ اِلٰى طَعَامِهٖۤ ۙ الذي خلقه الله تعالى لبقاء حياته وهيّأ له اسباب كسبه كالزروع مثلا وكل ذلك بتدبير الله جل شانه وخلقه وفي هذه الاية ايقاظ للانسان الذى لا يتامّل في الامور التى خلقها الله ودبّرها لمعيشة الانسان وابقائه الى اجل معيّن — والّا لا يقدر الانسان على شئ من الاشياء التى تحتاج اليها في تمدّنه ومعيشته — قال مجاهد وابن الزّبير الى مدخل الطعام ومخرجه — اَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا ۙ اى افرغناه على الارض — قرأ الجمهور انا بكسر الهمزة — على الاستيناف وعاصم ابي النجود والكسائى وحمزة وورش عن يعقوب بفتح الهمزة على انه بدل الاشتمال من قوله طعامه — قال الزجاج الكسر على الابتداء والفتح على معنى البدل من طعامه انتهى والمعنى فلينظر الانسان الى انّا صببنا الماء اى المطر صبّا وقرأ الحسين بن على رضى الله عنه

بالفتح والامالة - ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ والمراد بشق الارض شقها بظهور النبات والزروع - واسند الله تعالی صب الماء وشق الارض الی نفسه لانه تعالی موجد الاشیاء کلها فالممکنات کلها مستندة الیه تعالی بلا واسطة حقیقة وهذا هو الحق ومذهب اهل السنة واما اسنادها الی الاشیاء القریبة التی هی الوسائط کاسناد الماء الی السحاب وکاسناد النبات الی الماء فعلی طریق المجاز - ثم ذکر الله تعالی ثمانیة انواع من النبات - اولها - فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ ای انبتنا فی الارض حبا وهو کل ما یحصد من نحو الحنطة والشعیر واسناد انبات الحب الی نفسه تعالی یدل علی ان صب الماء علی الارض لیس علة لانبات النبات والزروع - وثانیها وَعِنَبًا - ای وانبتنا فیها عنبا - وهو غذاء من وجه وفاکهة من وجه وثالثها - وَقَضْبًا ۝ قال الخلیل القضب القصفصة الرطبة فاذا یبست فهی القت وسماها اهل مکة بالقضب قال القتیبی ثعلب واهل مکة یسمون العنب القضب قال المبرد وهو العلف لان العلف یقضب ای یقطع ورابعها - وَزَيْتُونًا - وهو ما یعصر منه الزیت وهی شجرة الزیتون قیل ویقال للشجرة نفسها زیتونة ولثمرتها زیتونة والجمیع الزیتون وللدهن الذی یستخرج منه زیت وخامسها وَنَخْلًا ۝ وهو جمع نخلة - کتمر وتمرة واهل الحجاز یؤنثون النخل قال الله تعالی والنخل ذات الاکمام واهل نجد یذکرون ومنه قول امرئ القیس -

وَحَدَّثْتُ بِأَنْ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ   كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُنَبَّقِ

وسادسها - وَّحَدَآئِقَ غُلْبًا - جمع حديقة وهي كل ارض ذات شجر مثمر ونخل ومنه قول عنترة -

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيْقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

وروي كل قرارةٍ - وقيل الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب كقول الشاعر -

حَدِيْقَةً غَلْبَاءَ فِيْ جِدَارِهَا وَفَرَسًا اُنْثٰى وَعَبْدًا فَارِهَا

أراد الشاعر انّه غالى بمهرها على هي به من الاشتها فاعطى حديقةً غلباء وغيرها من الاشياء - وقال الزجاج الحدائق البساتين والشجر الملتفّ والغُلْبُ جمع اغلب وغلباء ويستعمل في الحيوان وغيره اما في الحيوان فيقال اَغْلَبُ معناه غليظ الرقبة - يقال عُنُقٌ اغلبُ كما يقال عُنُقٌ اَجْيَدُ اَوْقَصُ ومنه قول الشاعر -

بِيْضٌ مَرَازِبَةٌ غُلْبٌ جَحَاجِحَةٌ

والاكثر انهم يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها - والانثى غلباء قال كعب بن زهير -

غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُوْمٌ مُذَكَّرَةٌ فِيْ دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامُهَا مِيْلُ

اي ناقة غلباء الرّقبة مكتنزة اللحم العلكوم ناقة غليظة الخلق في دفّها في عدوها وقد يستعمل ذلك في غير الحيوان يقال هضبة غلباء اي عظيمة مشرفة - وعزة غلباء ومنه قول الشاعر -

وَقَبْلَكَ مَا اَعْلَتْ اَبَتْ تَغْلِبُ بِغَلْبَاءَ تَغْلِبُ مُغْلِقَ لِبَيْنَا

وتغلب في المصرع الاول اسم قبيلةٍ - بغلباء اي بعزّة غلباء ويقال قبيلة غلباء - قال الاخفش ويقال شجرة غلباء اذا كانت

غلیظة و منه حدائق غلبا قال امرءُ القیس-

وَ شَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَحَمَّلُوا حَدَائِقَ غُلْبًا اَوْ سَفِيْنًا مُقَيَّرًا

و سابعها- وَّفَاكِهَةً- و المراد بها ما یاکله الناس من ثمار الاشجار

هذا اذا کان عطفها علی قوله عِنَبًا و علی هذا التقدیر لا یدخل العنب

فی الفاکهة التغایر بین المعطوف و المعطوف علیه و اما اذا کان عطفها علی

حدائق فهو من قبیل عطف الخاص علی العام- اختلف العلماءُ فی

تعریف الفاکهة فقال بعضهم کل شیئ قد سمّی من الثمار فی القرآن

نحو العنب و الرُّمَّان فانا لا نسمّیه فاکهة فعلی هذا لو حلف ان لا

یاکل فاکهة فاکل عِنَبًا و رُمَّانًا لم یحنث- و قال آخرون کلّ الثمار

فاکهة- و انما کرّره فی القرآن فی قوله تعالی فیهما فاکهة و نخل

و رمّان لتفضیل النخل و الرُّمَّان علی سائر الفواکه- و مثله قوله

تعالی- وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيّٖنَ مِيْثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُّوْحٍ وَّ اِبْرٰهِيْمَ

وَ مُوْسٰى وَ عِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ فکرّر هؤلاء للتفضیل علی النّبیّین و لم

یخرجوا منهم- قال الازهری ما علمت احدًا من العرب قال

انّ النّخیل و الکروم ثمارها لیست من الفاکهة- و انما شذّ

قول النّعمان بن ثابت فی هذه المسئلة عن اقاویل جماعة فقهاء

الامصار لقلّة علمه بکلام العرب و علم اللّغة و تاویل القرآن

العربی المبین- و العرب تذکر الاشیاء جملةً ثم تخصّ منها

شیئًا بالتسمیة تنبیهًا علی فضل فیه قال اللہ تعالی من کان عدوًّا

لِلّٰهِ وَ مَلٰٓئِكَتِهٖ وَ رُسُلِهٖ وَ جِبْرِيْلَ وَ مِيْكَالَ- فمن قال انّ جبریل

و میکال لیسا من الملائکة لافراد الله عزّوجلّ ایّاهما بالتسمیة

بعد ذکر الملائکة جملةً فهو کافرٌ لانّ الله تعالیٰ نصّ علی ذلك وبیّنه
وکذلك من قال انّ ثمر النخل والرمّان لیس فاکهةً لافراد الله تعالیٰ
ایّاهما بالتسمیة بعد ذکر الفاکهة جملةً فهو جاهلٌ وخلاف
المعقول وخلاف لغة العرب اقول الفاکهة هی الثمر الذی لا یاکله
الانسان اشباعًا لبطنه بل یاکله للذة النفس لانّه ان اکلها کالغذاء
لم توافق مزاجه ویکون سببًا لانحراف المزاج - کالعنب والرمّان
مثلًا قال الاطباء انّ قشر العنب بارد یابس - وحشوه حارٌّ
رطبٌ وحبته بارد یابس جیّد للغذاء واکله علی قدر المعتاد
یولّد السمن ویقوی الحرارة الغریزیة وعلی غیر المعتاد
یضرّ المثانة واما الرمّان فهو قسمانِ رمّانُ الحلو ورمّان الحامض
امّا الاوّل فهو بارد رطبٌ فی الاولی - وامّا الثانی فهو بارد یابس
فی الثانیة یقمع الصفراء ویمنع سیلان الفضول الی الاحشاء
ویخشن الصدر والحلق والحلو یقوی الصدر وینفع السّعال ویظهر
بهذا انّ العنب والرمّان فاکهةٌ ودواءٌ والذلك یدل خلان فی
الفواکه والادویة فلا یکون حکمها حکم الفواکه من کلّ الوجوه
ومن ثمّ قال الامام ابو حنیفة رضی الله عنه انّ من حلف ان لا
یاکل فاکهة ثم اکل عنبًا او رمّانا لم یحنث لجواز ان یاکله للدّواء
لا علی طریق التفکّه - ولنعم ما قال صاحب الکشّاف فان قلت لم
عطف النخل والرمّان علی الفاکهة وهما منهما - قلت اختصاصًا
لهما وبیانًا بفضلهما کانهما لما لهما من المزیة جنسان اخران
کقوله تعالیٰ وجبریل ومیکائیل - اولانّ النخل ثمره فاکهةٌ وطعامٌ

و الرُّمَّان فاكهة و دواء فلم يخلصا للتفكه و منه قال ابو حنيفة
رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا و رطبا لم يحنث
وخالفه صاحباه - قال الزمخشري لعمري يعرف هذا السر الدقيق و لم
يدر خواص الفواكه من حيث الطب جهل عن حقيقة الرمان و
العنب فمع جهالته و بلادته اطلق لفظ الجاهل على من كان راس
الائمة المجتهدين و اعظمهم و سيد العلماء الراسخين و اكرمهم
و لعمري ان هذا الجاهل اثبت الجهالة لنفسه بنفسه فمن اثار
الغبار على وجه الشمس املت عينيه - وَاَبًّا ٥ اختلف في معناه
الاوّل هو كل شيء ينبت على وجه الارض وهو قول الضحاك
و الثاني هو الثمار الرطبة و هو قول ابن عباس رض - و ابي طلحة رح -
الثالث هو النبات الذي ياكله الدواب و لا ياكله الناس وهو
ايضا قول ابن عباس رض و روي عنه انه الكلأ و المرعى وهو قول الفراء
و الرابع هو التبن وهو ايضا قول ابن عباس رض والخامس هو جميع الكلاء
الذي تعتلفه الماشية و عن انس رض ان عمر رض قرأ على المنبر فانبتنا فيها
حبا و عنبا الى قوله و ابا قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض
عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا
تدري ما الاب اتبعوا ما بيّن لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه - وما لم
تعرفوه فكلوه الى ربه - مَّتَاعًا لَّكُمْ - منصوب بانبتنا - وَلِاَنْعَامِكُمْ
جمع نعم و هي الابل و البقر و الغنم - فَاِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ قال
ابن عباس رض الصاخة من اسماء يوم القيامة - قال ابن الاعرابي
الصاخة - و هي التي تورث الصمم - قال الخليل هي صيحة تصخ الاذان

حتى نصمّها الشدة وقعها والاصل فيه ان الصخّ الضرب بالحديد
على الحديد والعصا الصّلبة على شيءٍ مُصمتٍ - قال ابو اسحٰق الصاخة
الصيحة التى تكون فيها القيامة وبه فسّر ابو عبيدة وهى امّا مصدرٌ
واما ان تكون اسم فاعلٍ من صخّ يصخ - يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اَخِيْهِ
وَاُمِّهٖ وَاَبِيْهِ وَصَاحِبَتِهٖ وَبَنِيْهِ ؕ يوم بدل من قوله تعالى اذا جاءت
او منصوب بفعل مقدّر اى اعنى - وفى هذه الآية تهويل عظيم
واقع فى ذلك اليوم لانّ الانسان اذا ابتلى يرجع الى اولى القرابة
رجاء ان ينصروه ويرشدوه فيزول عنه همّه الذى ضاق به صدره
امّا فى ذلك اليوم فانّه يفرّ منهم وذلك اما لفرط التوحّش او لعلمه
بانّهم لا يغنون عنه شيئًا لما قال الله تعالى يَوْمَ لَا يُغْنِيْ مَوْلًى عَنْ
مَّوْلًى شَيْئًا - او للمخافة انّهم يحتاجون اليه من شيءٍ وانّه لا يقدر على
كشف الكروب والشدائد عن نفسه فكيف يقدر على ازالة كرائبهم
والمراد بالفرار عدم المواسات وانّما بدأ كلامه بقوله اخيه
لانّ اوّل من عامل معاملة الفرار والتباعد هابيل فانّه كان يفرّ
من قابيل وكذلك كان يفرّ ابراهيم عليه الصلوٰة والسلام من ابويه
لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ - اى فى يوم القيامة - شَاْنٌ يُّغْنِيْهِ ؕ
اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ - من
اَسْفَرَ الصُّبْحُ اذا اضاء اى وجوه يومئذٍ مضيئة مشرقة ضَاحِكَةٌ
اى مسرورة - مُّسْتَبْشِرَةٌ بما نالته من الثواب من رحمة الله
وكرامته على حالهم فهذه حال السعداء من الصالحين - واما حال
الاشقياء فقال - وَوُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۙ اى كدورة وظلمة

بالمعصية - ترهقها - تغشاها - قترة اى كدورة مسودة وانشد ابو عبيدة للفرزدق

مُتَوَّجٍ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتْبَعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَا

اُولٰٓئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ - جمع كافر - الْفَجَرَةُ جمع فاجر دلت هذه الاٰية على ان اهل النار هم الكافرون فلا يدخل صاحب الكبيرة فيها لانه ليس كافرا فهو اما يعذب فى القبر او يغفره الله بفضله وهذا هو الحق عندنا - تم تفسير هذه السورة بحمد الله رب العالمين والصلوة على محمد خاتم المرسلين وعلى اله واصحابه اجمعين

سُورَةُ التَّكْوِيرِ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ اٰيَةً وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ

قال ابن عباس رض نزلت بمكة - وكذا روى عن عائشة رضى الله عنهم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ قال البصريون ومنهم الزمخشرى رفع الشمس بفعل محذوف وذلك لان اسماء الشرط والجزاء تستدعى الفعل والكوفيون اجازوا وقوع المبتدأ بعد اذا وهو قول الاخفش قال الليث الكور لوث العمامة يعنى ادارتها على الراس - وقال النضر كل دارة من العمامة كور ومنه قول ابى ذؤيب

وَصُرَادِ غَيْمٍ لَا يَزَالُ كَاَنَّهُ مُلَاءٌ بِاَشْرَافِ الْجِبَالِ مُكَوَّرُ

فالاصل فیه هو اللفُّ و الجمعُ و معنی کُوِّرَتِ الشمس جُمِعَ ضوءها ولُفَّ کما تُلَفُّ العِمامَةُ - وهذا قول الاخفش و ابی عبیدة و لفُّ الشمس کنایة عن مَسخِها و ذهاب نورها کما قال قتادة وهو قول الفرّاء و قال عکرمةُ ای نُزِعَ ضوءُها - و قال الربیع بن خُثَیم معناه رُمِیَ بها و قال ابن عباسؓ کوّرت غُوّرت و فی الحدیث یُجاءُ بالشمس وَالقمرِ ثَورَینِ یُکَوَّرانِ فی النّار یوم القِیامة ای یلُفّان ویُجمَعان ویُلقیان فیها و ثَورَین بالثاء المُثلَّثة کانّهما یُمسَخان - ویقال کوّره ای القاه مجتمعًا و انشد ابو عبیدة -

ضَرَبْنَاهُ اُمَّ الرَّاسِ وَالنَّقْعُ سَاطِعٌ فَخَرَّ صَرِیعًا لِلْیَدَینِ مُکَوَّرًا

فیکونُ المعنی اذا الشمسُ لُفَّت و جُمِعَ ضوءُها - وَاِذَا النُّجُومُ انکَدَرَتْ و الکَدَرُ ضدّ الصَّفا و فی الصحاح خلاف الصّفو - و منه قول ابن مطیر الاسدی -

وَکَائِن تَرٰی مِن حَالِ دُنیا تَغَیَّرَتْ وَحَالٍ صَفَا بَعدَ اکْدِرَارٍ غَدِیرُهَا

وعلی هذا یکون المعنی و اذا النُّجُوم ذهب نورها و صفائها - و قال الخلیل یقال انکدر علیهم القومُ اذا جاؤا اَرسَالًا حتّٰی ینصبُّوا علیهم و الیه ذهب ابو عُبیدة - و قال ابن عباسؓ انکدرت تغیّرت وهذا المعنی قریب من الاصل و المعنی الاول هو الاولی لانّ الحقیقة متقدمةٌ علی المجاز فلا یُصار الیه الا عند تعذّرها او هجرها وَاِذَا الجِبَالُ سُیِّرَتْ ای اُقتُلِعَت عن الارض بنفخ الصور و سُیِّرت کما تسیر السحاب فی الجوّ - و منه قوله تعالی - و یوم نُسَیِّرُ الجِبَالَ وَتَرَی الاَرضَ بَارِزَةً - وَاِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ جمع عُشَراء

یقال ناقة عُشَرَاءُ اذا مضی لحملها عشرة اشهر - و قیل ثمانیة و الاوّل اولی لمکان لفظه - فاذا وضعت لتمام سنة فهی عشراء - و منه قول الفرزدق

کم عَمَّةٍ لَکَ یا جَرِیرُ وَ خَالَةٍ　　فَدعاءَ قد حَلَبَتْ عَلَیَّ عِشَارِی

قال الفرّاء و المعنی انّ لُقَحَ الابل عطّلها اهلها لاشتغالهم بأنفسهم و لا یعطّلها قومها الّا فی حال القیامة - وَ اِذَا الْوُحُوْشُ - ای دواب البرارِی و الآجام و انعامها - حُشِرَتْ - قرأ الجمهور بالتخفیف و قرأ الحسن بالتشدید قال ابن عباسؓ معناها ای جمعت بالموت لانه لا یقف احد موقف الحشر الّا الثقلین و ذلک لانها غیر مکلّفة اجماعًا - وَ اِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ - قال ابن عباسؓ ای اختلطت و منه قول زهیر ابن ابی سلمی -

لَقَدْ نَا نَعْلَمُ حَسَبًا قَدِیمًا　　وَ قَدْ سُجِرَتْ بِحَارُهُمُ بِجَارِی

و قال ثعلب سُجّرت ای مُلِئت و هو قول الزجاج - قال ابن سیده و لا وجه له الّا ان تکون ملئت نارًا و جاء فی التفسیر ان البحر یُسجر فیکون نار جهنّم و قال علی بن ابیطالب علیه السلام فی تفسیر قوله تعالٰی و البحر المسجور ای المسجور بالنار - و قال کعبؓ البحر جهنّم یُسجر - و قرئ بالتخفیف و التشدید و المعنی انّ میاه البحار تصیر مسعّرة کحمیم اهل النار و لعلّ ذلک التسجیر یکون بالحرارة المرکزیة لانّ نفخ الصور یقلّب طبقات الارض فیصیر عالیها سافلها و سافلها علیها فیسخّن ماء البحار بهذه الحرارة و قد ثبت انّ الحرارة المرکزیّة هی التی تذیب المعادن حتی تدوم سائلة بها فیمکن ان توقد البحار بها و تشتعل میاهها کالنیران - و قیل سجرت ای یبست و ذهبت میاهها - حتی لم یبق منها قطرة - وَ اِذَا النُّفُوْسُ زُوِّجَتْ - ای تقارنت النفوس باجسادها - و ذلک بعد النفخ الثانی - وَ اِذَا الْمَوْؤُدَةُ

سُئِلَتْ - والموءودة المدفونة حية وكانت العرب دفنوا بناتهم حية مخافة الاملاق وخشية الاسترقاق او العار - يقال وأد بنته يئدها وأدا اذا دفنها حية - وكانت هذه عادتهم حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى - ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم وقال في موضع اخر واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم - يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب - وانشد الاعرابي -

وَمَا بِقِيَ الْمَوْءُودُ مِنْ ظُلْمِ اُمِّهِ كَمَا لَقِيَتْ ذُهْلُ جَمِيعًا وَعَامِرُ

اراد من ظلم امه اياه بالوأد - ومنهم من كان يئد البنين عند المجاعة وكانت كندة تئد البنات قال الفرزدق يعني جده صعصعة بن ناجية

وَعَمِّيَ الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ يُوأَدِ

حُكِيَ اَنَّ الاعراب اذا ولدت لهم بنت فان اراد قتلها يحفر في الصحراء بئرا فيقول لامها طيبها وزينها ثم يذهب بها الى ذلك البئر ويقول لها انظري فيها فيدفعها ويهيل فيها التراب حتى يملأ البئر ويستويها - وقيل كانت الحامل اذا قرب وضعها حفرت حفرة فتمخضت على راسها اى على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته - قرأ الجمهور سُئِلَتْ مبنيا للمفعول وهذا السؤال هو توبيخ الوائدين وتبكيت لهم لان سوال ابي قول الى سؤال الفاعلين للوأد وذلك لان ظاهر حال الموءودة يشهد بانها في حالة لا يمكن ان يصدر منه الذنب ومع ذلك قتلت فلا يكون قتلها الا بغير الذنب فيكون هذا السؤال زجرا وتحذيرا لقاتلها

و قرأ الحسن و الاعرج سئِلت بكسر السين و ذلك على لغة من قال
سأل بغير همزة - وقرأ عبد الله ابن مسعود و على رضى الله عنهما
و ابن عباس و جابر بن زيد سألت مَبنيًّا للفاعل و قتلت بسكون
اللام و ضم التاء حكاية لكلامها حين سئلت - بِاَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ
اى الموؤدة - وَاِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ - اى صحائف اعمال العباد
نشرت بالتشديد و التخفيف اى كشفت و فتحت فيقف كل انسان
على صحيفته فيقول ما لهذا الكتب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة الا احصها
قرأ نافع و ابن عامر و ابو عمرو نَشِرَتْ و قرأ الباقون بالتشديد
وَاِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ - و قرأ ابن مسعود قُشِطَتْ قيل ابدال
الكاف بالقاف كثير فى كلامهم - قال ابن سيده و ليست القاف
فى هذا بدلا من الكاف لانهما لغتان لاقوام مختلفين - قال يعقوب
تقول قريش كشط و تميم يقولون قشط و التنزيل جاء بلغة قريش
يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده و لا يقال سلخت لان العرب
لا تقول فى البعير الا كشطته او جلدته و كشط فلان عن فرسه
الجل و قشطه و نضاه بمعنى واحد قال الفراء كشطت اى نزعت
فطويت و قال الزجاج معنى كشطت و قشطت قلعت قال اهل اللغة
اذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقبا فى اللغات - و فى حديث
الاستسقاء فتكشط السحاب اى تقطع و تفرق - وَاِذَا الْجَحِيْمُ سُعِّرَتْ
اى أوقدت ايقادا - وَاِذَا الْجَنَّةُ اُزْلِفَتْ - اى قربت - يقال
زلف اليه و ازدلف و تزلف اى دنا منه - قال الزجاج اى قرب
دخولهم و نظرهم الى الجنة - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا اَحْضَرَتْ - من الدنيا

الی الآخرة من الاعمال الصالحة او الطالحة عند المحاسبة و تعلم انها تستحق بها الجنة او النار و معنی علمها بها مشاهدتها و معرفة احوالها فان کانت صالحة یشاهدها ممثلة فی احسن صورة و ان کانت طالحة یشاهدها فی اقبح هیئة فیقع فی التعب و الکرب اذا شاهدها علی خلاف ما یتوقع بها - کالکفار مثلاً فانهم کانوا یعتقدون - ان عبادة الاوثان طاعة و انهم یشفعونهم فیعاینون علی خلاف ما کانوا یعتقدون بها فیحیط بهم الخشیة و الدهشة -

فَلَآ اُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ - الخنس جمع خانس وهو المتاخر و المراد بها الکواکب الدراری التی تخنس فی مجراها و یراد بها زحل و المشتری و المریخ و الزهرة و عطارد فهذه الکواکب ترجع حتی تخفی تحت ضوء الشمس و یقال لها المتحیرة ای التی ترجع فی سیرها و تستقیم - و الکنس جمع کانس و هی النجوم تطلع جاریة و کنوسها ان تغیب فی مغاربها التی تغیب فیها - و هذا قول الزجاج - و قال الفراء فی الخنس الکنس هی النجوم الخمسة تخنس و تستتر کما تکنس الظباء فی المغار و هو الکناس - و جمعه کنس و کنس و کنوس و انشد ابن الاعرابی -

وَالْاَنْعَامُ مَا بِهَا خِلْفَةً ... وَالْاَظْبَاءُ كُنُوْسًا وَ ذِبْبَا

و انشد ثعلب

دَارٌ لِلَیْلٰی خَلْقٌ لَبِیْسٌ ... لَیْسَ بِهَا مِنْ اَهْلِهَا اَنِیْسٌ

اِلَّا الْیَعَافِیْرُ وَ اِلَّا الْعِیْسُ ... وَ بَقَرٌ مُلْمِعٌ كُنُوْسٌ

و هذا قریب مما ذهب الیه المنجمون فانهم قالوا ان الکواکب

المذكورة ترجع في سيرها ثم تستقيم بخلاف النيرين اعني الشمس والقمر فانهما لا تقبلان الرجعة - وحين ما ترجع تختفي تحت ضوء الشمس واختفاؤها عندهم احتراقها فلا تظهر انوارها في المنازل وقيل الخنوس هو تباعدها من المطلع واقرب المطالع سمت الرأس فاذا امالت المنطقة الى الجنوب او الى الشمال تأخذ في التباعد فعلى هذا ايراد بالخنوس هو التباعد عن المطلع وبالكنوس الرجوع اليه هذا ملخص ما ذكره المفسرون - وَالَّيْلِ اِذَا عَسْعَسَ قيل هو اقبال الليل وادباره قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر قال وكان بعض اصحابنا يزعم ان عسعس معناه دنا من اوله واظلم وكان ابو البلاد النحوي ينشد

عَسْعَسَ حَتّٰى لَوْ يَشَاءُ ادَّنَا كَانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبَسُ

وقال ادّنا اذ دنا - فادغم - قال وكانوا يقولون ان هذا البيت مصنوع - وقال ابو عبيدة وابو اسحٰق عسعس معناه ادبر واقبل وانشد ابو عبيدة

مُدَّرِعَاتُ اللَّيْلِ لَمَّا عَسْعَسَا اي اقبل

وقال الزبرقان -

وَرَدْتُ بِأَفْرَاسٍ عِتَاقٍ وَفِتْيَةٍ فَوَارِطَ فِيْ اَعْجَازِ لَيْلٍ مُعَسْعِسِ

ولذلك قال ابو حاتم وقطرب يذهبان الى ان هذا الحرف من الاضداد وقال ابن الاعرابي العسعسة الظلمة - اقول وفي هذه الاية ينبغي ان يراد به ادبر - لانه تعالى قال بعد ذلك - وَالصُّبْحِ اِذَا تَنَفَّسَ اي اسفر والمراد به الصبح الصادق لان الاسفار لا يكون الا فيه - ولا يطلع في الافق الا اذا بقيت من سير الشمس اثنا عشر درجة

مِنْ دَائِرَةِ منطقة البروج - و قال الفراء معناه اذا ارتفع النهار حتی یصیر النهار بیّنًا فیقال هو تنفس الصبح - و قال الاخفش اذا اضاء و قیل معناه انشق و انفلق - اِنَّہٗ - ای القران المجید - لَقَوْلُ رَسُوْلٍ کَرِیْمٍ - هذا جواب قسم - و الرسول الکریم هو سیدنا جبریل علیه الصلوة و السلام - و المعنی ان القران المجید اُلْقِیَ اوّلًا فی نفس جبریل علیه الصلوة و السلام فانزل جبریل علیه الصلوة و السلام و اَوْحٰی القران الی رسول الله صلی الله علیه و سلم بقوله - فان قیل ان القران لیس کلام الله بل هو قول جبریل علیه الصلوة و السلام کما یدل علیه هذه الاٰیة - و جوابه علی ما ذکره المفسرون ان اسناد القران الی قول جبریل علیه الصلوة و السلام لکونه مُلقیًا الی رسول الله صلی الله علیه و سلم و ذلك کقولهم السحاب ماطرٌ و السحاب لیس بماطرٍ حقیقةً بل الله یُنزل المطر من السحاب و انّما اسند الی السحاب فلانّ المطر یقطر من السحاب فلادنی هذه المناسبة اسند المطر الی السحاب و یسمی هذا الاسناد اسنادًا مجازیًا فکذلك القران کلام الله حقیقةً لکنه اذا اُلقی هذا الکلام الی النبی صلی الله علیه و سلم بواسطة جبریل علیه الصلوة و السلام اسند الله تعالٰی الیه علی طریق المجاز المتعارف عند العرب - ذِیْ قُوَّةٍ - قال الامام الرازی رحمه الله روی عن النبی صلی الله علیه و سلم انه قال لجبریل علیه السلام ذکر الله قوتك فما ذا بلغت قال رفعت قریات قوم لوط الاربع علی جناحی حتی اذا سمع اهل السماء نباح الکلاب و اصوات الدجاج قلبتها و لا یبعد ان یقال ان الزلازل تحدث باسباب مختلفة فمنها سماویة

و منها ارضية فيجوز أن يكون هذه الزلزلة الشديدة التي بها
هلكت قوم لوط عليه الصلوة والسلام بأسباب سماوية حادثة
بقوة جبريل عليه الصلوة والسلام ولا ما نعرفها - عِنْدَ ذِي
الْعَرْشِ مَكِينٍ - والمراد بذي العرش هو الله تعالى وبالمكين عند ذي
العرش جبريل عليه السلام - والمراد بالعندية عندية الاكرام والشرف
اي هو مشرف مكرم عند الله من سائر الملائكة مُطَاعٍ - اي آمر الملائكة
ورئيسهم - ثَمَّ - اي عند ذي العرش - اَمِينٍ - اي على وحي الله تعالى
ورسالاته وَمَا صَاحِبُكُمْ - اي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بِمَجْنُونٍ - كما قال هؤلاء الظالمون قال الامام فخر الدين الرازي رحمه
الله في تفسيره واحتج بهذه الآية من فضل جبريل عليه السلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال إنك اذا وازنت بين قوله تعالى
إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين - وبين قوله وما صاحبكم بمجنون - ظهرت التفاوت العظيم
اقول وهذا القول باطل لانه قد تحقق عند اهل السنة ان انبياء البشر
ورسلهم افضل من رسل الملائكة بالاجماع فالقول بافضلية جبريل
عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرقه - وقد دل قصة آدم
عليه الصلوة والسلام على انه مسجود جميع الملائكة سواء كانت سماوية
او ارضية كما يدل عليه قول الله تعالى تبارك فسجد الملائكة كلهم
اجمعون فالاستغراق بالالف واللام مع التاكيد بقوله كلهم واجمعون
يدل دلالة باهرة على ان الملائكة كلهم كانوا ساجدين لآدم عليه
الصلوة والسلام وظاهر ان المسجود افضل من الساجد فادم عليه الصلوة

ردٌّ من قال ان جبريل عليه السلام افضل من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

و السلام افضل من الملائکة کلهم و ثبت بالاجماع ان رسول الله صلی الله علیه و سلم افضل من آدم علیه السلام و جمیع ولده فوجب ان یکون افضل من الملائکة کلهم قطعًا - و لان آدم علیه الصلوٰة و السلام اعلم من الملائکة کلهم و الاعلم افضل من غیره قطعًا - اما انه علیه الصلوٰة و السلام اعلم من الملائکة فهو امر منصوص علیه کما قال الله تعالی - وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ - قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ - فثبت بهذا ان آدم علیه الصلوٰة و السلام عالم بجمیع الاسماء سواء کانت اسماء المخلوقات او اسماء الخالق و ان الملائکة عجزوا فی هذه المعارضة وقالوا لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا - اما بیان ان الاعلم افضل من غیره فلقوله تعالی یَرْفَعِ اللهُ الَّذِیْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ و لقوله تعالی و اِنَّمَا یَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ - فعلة خشیة الله تعالی هو العلم و کما له علة لکمال خشیته فوجب ان یکون العالم افضل من غیره - و لان العلم صفة الله حقیقة فمن اتصف بهذه الصفة علی طریق الکمال لا شک فی کونه افضل من غیره فثبت ان آدم علیه الصلوٰة و السلام افضل من الملائکة فی صفة العلم - ثم الاجماع من الصحابة رضی الله عنهم منعقد علی ان رسول الله صلی الله علیه و سلم افضل من آدم علیه السلام و من جمیع الانبیاء و المرسلین علیه السلام و جمیع الانبیاء علیهم السلام

افضل من جبريل عليه السلام فرسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من
جبريل عليه السلام - اما صفاته المذكورة في هذه الآية فهي تدل
على انه عليه السلام افضل الملائكة لانه رسولهم ومطاعهم ولا
دلالة لها على انه افضل من رسل البشر ومحمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا ينبغي ان يستدل بهذه الآية على كونه عليه السلام
افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا يخفى عليك ان
المراد بالافضل عند اهل السنة من هو اكثر ثوابا عند الله تعالى و
الثواب وان كان يدل الاعمال الصالحة لكنه عندنا اثر
فضل الله ورحمته وذلك لان من عمل عملا صالحا في جميع عمره
بالاخلاص التام وصدق النية فانه لا يساوي بانعام واحد انعمه
الله تعالى على عبده بفضله الجزيل فاذا كان كذلك ليس على الله تعالى حق العبد
بوجه من الوجوه لكن الله تعالى يعطيه ثواب اعماله بفضله وكرمه
ثم الذي يعمل عملا صالحا على قسمين الاول هو الذي لا يصده
احد عن طاعة الله تعالى والثاني هو الذي يصده موانع كثيرة ويعوقه
عوائق عديدة عن الاشتغال في طاعته فالاول هو الملك فان كل
واحد من الملك نوراني طاهر عن الادناس البشرية مجرد عن الغواشي
الهيولانية فلا يسعه مناع الخير فلا يمتنع من العبادة من الازل الى
الابد - والثاني هو البشر فهو المركب من روح لطيف وجوهر علوي
وجسم كثيف وعرض سفلي فلا يريد الى الخير الا ويعوقه عائق
من قوى جسمانية فيميله الى شر وشقاء ويوجهه الى خيبة وخسارة
فمع هذه الدواعي والموانع ان توجه احد منه الى طاعة الله باخلاص

الدنیة کان ثوابه عند الله اوفر من ثواب الملك فیکون افضل عند الله باعتبار هذا المعنی - اما الذی لا یستطیع علی مقاومة النفس ویرضی عن الذی وجهت الیه ویحبه یکون خاسرا وشقیا ولنعم ما قال معدیکرب

برانی حب من لا استطیع ومن هو للذی اهوی منوع

وَاَمّا قوله تعالیٰ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُوْنٍ - فهو رد علی کفار مکة لانهم کانوا یخاطبونه صلی الله علیه وسلم مرة بالکاهن ومرة بالمجنون لعنهم الله ویقولون ان ما قال محمد صلی الله علیه وسلم لیس کلام الله حقیقة بل هو کلام جعله من عند نفسه وصاغه کما یصوغه العرب العرباء فالله تعالیٰ شانه یردهم ویقول ان القرآن کلام الله حقیقة اوحاه الله بقول رسوله الکریم الذی هو جبریل الی محمد صلی الله علیه وسلم فما یقوله الظالمون باطل - وَلَقَدْ رَاٰهُ بِالْاُفُقِ الْمُبِیْنِ وهو الافق الاعلی من المشرق حیث تطلع الشمس روی انه صلی الله علیه وسلم رای جبریل علیه السلام مرتین فی صورته الاصلیة مرة راٰه فی جبال عرفات ومرة عند سدرة المنتهی - وقد ذکرنا فی تفسیر سورة النجم مسئلة رویة النبی صلی الله علیه وسلم فلا نردها

وَمَا هُوَ - ای النبی صلی الله علیه وسلم - عَلَی الْغَیْبِ - علی الوحی الذی القاه جبریل علیه السلام الی قلبه - بِضَنِیْنٍ - قری بالظاء قال المبرد الظنین المتهم واصله المظنون وهی من ظننت الذی یتعدی الی مفعول واحد تقول ظننت زیدا ای اتهمت وانشد لعبد الرحمن بن حسان رض

فلا ویمین الله لا عن جنایة هجرت ولٰکن الظنین ظنین

و نسب ابن بری هذا البیت الی نهار بن توسعة - و فی الحدیث لا یجوز شهادة ظنین ای متهم - و هذه قراءة قرأها ابن کثیر و ابو عمرو و الکسائی و مجاهد و ابن مسعود رضی الله عنه و عائشة رضی الله عنها - و اختارهما ابو عبید - و قرأ الباقون بالضاد ای بضنین بمعنی بخیل و هو قول ابن عباس رضی الله عنهما - یعنی ان النبی صلی الله علیه و سلم - لا یبخل بالوحی و لا یقصر بالتبلیغ و القراءة الاولی مشهورة - قال الفرّاء و قرأ زید بن ثابت و عاصم و اهل الحجاز بضنین و هو حسن یقول یأتیه غیب و هو منفوس فیه فلا یبخل به علیکم و لا یضنّ به عنکم - و لو کان علی مکان عن صلح او الباء کما تقول ماهو بضنین و قال الزّجاج ماهو علی الغیب ببخیل ای هو صلی الله علیه و سلم یؤدّی عن الله و یعلّم کتاب الله ای ماهو ببخیل کتوم لما اوحی الیه - وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰنٍ رَّجِيْمٍ و هذا ترديد لاقاويل الکفار لانهم کانوا یقولون ان الشیطان یلقی الکلام الی النبی صلّی الله علیه و سلم فنفی الله ذلک عنه - فَاَيْنَ تَذْهَبُوْنَ - قال الزّجاج معناه ای طریق تسلکون ابین من هذه الطریقة - یقال این تذهب و الی این تذهب - اِنْ هُوَ ای ما القران - اِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعٰلَمِيْنَ - الا موعظة للخلق اجمعین و المراد بالعالمین المکلفون - لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ - بدل من قوله للعالمین اَنْ يَّسْتَقِيْمَ - ای لمن شاء منکم الاستقامة علی الحق و الایمان و الطاعة - وَمَا تَشَآءُوْنَ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ - ای و ما تشاؤن الاستقامة علی طریق الحق الا بمشیّة الله رب العالمین

فظهر انه من ذلك ان الاستقامة على طريق الحق تتوقف على ارادة الاستقامة - وارادة الاستقامة تتوقف على مشيئة الله فالاستقامة على طريق الحق تتوقف على مشيئة الله - فبطل مذهب المعتزلة لان المشيئة الاختيارية المستتبعة للاستقامة شئ حادث وكل حادث فلا بد له من محدث فيجب ان يتوقف حدوثه على مشيئة المحدث ولا يجوز ان يقال ان العبد فاعل للمشيئة وخالق لفعله - والله اعلم بمراده فالحمد لله القدير والصلوة على نبيه البشير والنذير - وعلى اله واصحابه الذين هداهم للناس كالسراج المنير

سورة الانفطار تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله - اذا السماء انفطرت - اى انشقت - وهذه الاية تدل على ان الفلك يقبل الخرق والانشقاق والفلاسفة ينكرون امكان الخرق على المحدد الاعظم اعنى الفلك الاعلى ويقولون ان الفلك قابل للحركة المستديرة فلا بد ان يكون فيه ميل مستدير - والخرق يقتضى الحركة المستقيمة فلا بد ان يكون فيه ميل مستقيم - فيجب ان يوجد فيه ميلان وهذا [illegible] ان قد يكون الفلك بسيطا وقد ثبت فى موضعه انه بسيط فالقول بالخرق والانفطار بالنسبة الى الفلك باطل [illegible]

فالفلك ايضاً مركب من الهيولى والصورة وح يكون الاجسام كلها
متماثلة في كونها مركبة من الهيولى والصورة فيجب ان يصح على كل
واحد منها ما يصح على الاخر فاذا يصح الخرق والانفطار على الاجسام
السافلة يجب ان يصح ذلك على الاجسام العالية لان التماثل بين
الشيئين يوجب اتحاد الحكم فيهما فمتى صح حكم على واحد منهما يجب
ان يصح ذلك على الاخر - وما قالوا ان الفلك لا يقتضي الا الميل
المستدير فهو ايضاً منظور فيه لانه يجوز ان يقال ان طبيعة
الفلك تقتضي الميل المستدير بشرط الحصول في الحيز الطبعي وتقتضي
الميل المستقيم بشرط الخروج من الحيز كما ان الحكماء يقولون ان
طبيعة كل عنصر يقتضي الحركة بشرط الخروج من الحيز الطبعي
وتقتضي السكون بشرط الحصول في الحيز الطبعي - واذا كان ذلك
كذلك يجوز ان يحدث في الفلك مبدأ ميل يقتضي الميل المستقيم
بمعنى ان صورته النوعية تقتضي ذلك الميل اذا كان جسم الفلك
خارجاً عن حيزه الطبعي وذلك لان الحركة على الاستدارة ليست لازمة
له بل الحركة المطلقة ليست من لوازمه لان الجسم الفلكي يقتضي
الحركة والسكون كما ان الجسم المطلق يقتضي ذلك - فيجوز له
ان يتحرك على الاستقامة فيتقبل الانفطار والانشقاق على تقدير
خروجه عن الحيز الطبعي ويتحرك على الاستدارة ولا يقبلها على
تقدير حصوله في حيزه - وذلك لان خالقه وهو الباري عز اسمه
فاعل مختار عندنا فيجوز له ان يخرجه من [illegible]
[illegible] ثم [illegible] - فيجوز ان [illegible] ايمانك كافرا

او فاسدًا او منخرقًا او ملتئمًا - فالقول بان الفلك يقبل الانفطار و
الانشقاق حق - وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ - قال الراغب نثر
الشيء بمعنى نشر - وهو استعارة لانقضاض الكواكب وانما يكون
ذلك لوقوع الفساد في طبيعة الفلك وصورته وظهور الخرق
والانفطار فيه - فيقع انتثار الكواكب وتساقطها من الفلك الى
الارض - وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ - ويمكن تفجيرها بحدوث الزلازل
العظيمة في الارض وتصادم الجبال بعضها مع بعض فتتغير البحور
من صورتها الاصلية وتتبدل الصورة الارضية وتنسف الجبال
بتلك الرواجف ولا يبقى شيء حاجز بين البحر والارض حتى يصير
سائر البحور بحرًا واحدًا - قال ابن عباس رض فجرت بعضها في بعض
قرأ مجاهد مبنيًا للفاعل مخففًا من الفجور - نظرًا الى قوله بينهما
برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا - وقرأ الثوري مبنيًا
للمفعول مخففًا - وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ - اي اثيرت وقلب اسفلها
اعلاها فيخرج منها الموتى وذلك لشدة وقوع الزلازل الحادثة بنفخ
الصور وهيجان الرياح الهوج - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ
والمعنى انها علمته حين نشر الصحف واراد بالنفس كل واحدة
من النفوس فاللام للاستغراق والمراد بما قدمت الاعمال
الصالحة التي لم يؤخرها او القبيحة التي قدمتم العذاب بها
وعقابها وبما قدمت واخرت [illegible] التي تأخرت منها في الدنيا كالولد
الصالح واحياء السنة [illegible] والسيئات التي تأخرت منها كاحداث
البدعة - وقيل المراد بما قدمت نفسها الفرائض والسنن وبما

اخّرت تضییعها - و قال قتادة ما قدّمت من معصیة و اخّرت من طاعة او قیل روی عن حذیفة رض قال قال النبی صلی الله علیه و سلم من استنّ خیرا فاستنّ به فله اجره و مثل اجور من اتّبعه من غیر منتقص من اجورهم - و من استنّ شرّا فاستنّ به فعلیه وزره و مثل اوزار من اتبعه من غیر منتقص من اوزارهم و تلا حذیفة علمت نفس ما قدّمت و اخّرت اخرجه الحاکم و روی عن ابن مسعود رض قال ما قدّمت من خیر و ما اخّرت من سنّة صالحة یعمل بها بعده فانّ له مثل اجر من عمل بها من خیر ان ینقص من اجورهم شیئا او سنّ سنة سیّئة یعمل بها بعده فانّ له مثل اجر من عمل بها من غیر ان ینقص من اوزارهم شیئا - و قیل بما قدّمت قبل اشراط الساعة لانّ ظهورها یوجب عدم افادة العمل فیکون الاعمال غیر نافعة - او قبل احتضار اثار الموت لانّ بعد احتضارها لا ینفع العمل و بما اخّرت الاعمال التی صدرت منه بعد ظهور اشراط الساعة او بعد الاحتضار - یٰۤاَیُّهَا الْاِنْسَانُ - یراد به الکافر و قیل یعمّ المؤمن و الکافر - مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِیْمِ الغرور الخداع - ای ایّ شیء خدعك بربّك الّذی هو یربیك الی اخر حیاتك و یحفظك من کل بلاء الی اخر عمرك و وصفه بالکریم للمبالغة فی المنع عن الاغترار لوجود الجاه و الاموال و الاشتغال فی تکمیل اللذائذ و الشهوات - فاذا کان منعمك موصوفا بصفة الربوبیة و الکرم لا یجوز لك ان تجنح الی غیره و تمیل الی اللهو و اللعب لانّه کما هو موصوف بالرحم و الکرم کذلك موصوف

بالقهر والانتقام فكما يرجى برحمه وكرمه كذلك يخشى بقهره
ونقمه قال صاحب الكشاف ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله
عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع
بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه
بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من
حد الحكمة - ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره
جهله - وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله - وقال الحسن
واليه شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت
فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل
عليك اخرا حتى ورطه - الذي خلقك ولم تك شيئا - فسواك - اي
جعلك سويا سالم الاعضاء كامل القوى بحيث تسمع وتبصر وتفعل
ما تريد - فعدلك - اي جعل خلقك متناسب الاعضاء متعادل
الجوارح ولم يجعل بعضها اقصر من بعض بل خلقك مستوي القامة
معتدل الخلقة حسن الصورة جميل الشكل واعطاك قوى ظاهرة و
باطنة - قرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف والجمهور بالتشديد
واختار الاولى ابو عبيدة وابو حاتم - قال الفراء وابو عبيد يدل
عليها قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم - اي جعل
اعضاءك متعادلة لا تفاوت فيها ومعتدلة الى اي الاختلاف [illegible]
في اي صورة ما شاء ركبك - اي ركبك في [illegible]
فالظرف متعلق بقوله ركبك - ونقل ابو حيان انه متعلق بعدلك
تمييز وهو ضعيف لان قوله اي صورة له صدر الكلام فلا يعمل

فیہا ما قبلہا - قال مجاھد و معنی قولہ فی ایّ صورۃ ای فی ای شبہ من اَبٍ او اُمٍّ او خالٍ او عمٍّ - قیل و ما زائدۃ - ای فاختار لک من بین ھذہ الصُّوَرِ صورۃً عجیبۃً حسنۃً کقولہ تعالٰی - وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْۤ اَحْسَنِ تَقْوِیْمٍ - و قیل شرطیۃ و قولہ رکّبک جوابہا - و لم یعطف الجملۃ علی ما قبلہا لانّہا بیان لعدلک - والمعنی انّ اللہ جلّ شانہ خلقک فی احسن صورۃ واجمل ھیئۃ و میّزک من سائر الحیوانات بتعدیل القوی و تقویم الجوارح لکنّک لست شاکرًا اللہ تعالی بھذہ النّعم الجزیلۃ ولم تتامّل فیہا بل اغتررت بمخادعۃ نفسک و تسویلاتہا و ما اطعت ربّک بل افنیت عمرک فی عصیانک

کَلَّا - ردع عن الاغترار بکرم اللہ تعالٰی - بَلْ تُكَذِّبُوْنَ بِالدِّیْنِ اضراب الی بیان ما ھو السبب الاصلی فی اغترارھم بکرمہ و ھو التکذیب بالدّین و المراد بہ یوم البعث و الجزاء - و ذلک بموجب کون التخلیق عبثًا و الامر لیس کذلک لانّ الحکیم لا یفعل عبثًا بل یکون فی فعلہ حکمٌ و مصالحُ فالحکمۃ فی خلقکم ھو الجزاء علی اعمالکم

وَاِنَّ عَلَیْكُمْ لَحٰفِظِیْنَ كِرَامًا كَاتِبِیْنَ - ھذا ایضًا ... تعریض من عبث التخلیق و تعظیم کتبۃ الصّحائف و المعنی کانّہ تظنّون انّا ... غفلتم سدًی بل جعلنا علیکم منّا حافظین وھم کتبۃ اعمالکم ... انّہم یکتبون فی صحفھم افعالکم نقیرًا و قطمیرًا - یَعْلَمُوْنَ مَا تَفْعَلُوْنَ - من خیرٍ و شرٍّ - و المراد بالفعل ھو الذی یصدر من الجوارح ولا یدخل فیہ افعال القلوب کالخطرات و الوساوس التی تخطر فیہا من جنس الخیرات و السیّئات فھی خارجۃ من افعال الجوارح فلا تکتب

فیها- ولا یعلمها الا الله تعالیٰ ولا یخفی ان الله جل شانه یعلم الکلیات والجزئیات سواء کانت مجردة او مادیة فهو یعلمها بعلمه المتعالی عن الزمان والمکان فهو یعلم ما فعل عباده من خیر وشر علی الوجه الجزئی فلیس له تعالیٰ احتیاج الی هذه الکتبة وهذا هو الذی ذهب الیه المعتزلة واجاب به بان الله تعالیٰ جعل الملائکة حفظة لاعمال العباد لسر لا یعرفه اهل الاعتزال- وهو ان الله تعالیٰ جعل معاملة دار الاخرة مثل معاملة دار الدنیا- وبانه ان الله جل شانه امر نبیه صلی الله علیه وسلم ان لا یقضی قضاء الا بعد شهادة الشهود او قبول المدعی فکان النبی صلی الله علیه وسلم یطلب الشهادة فیسمع بیانهم ثم یفصل الخصومة ویقضیها- فالله تعالیٰ یعامل فی دار الاخرة مثل ما امر نبیه صلی الله علیه وسلم فی هذه الدار والا فلا یعزب عن علمه مثقال ذرة فی السماء ولا فی الارض- فلا اشکال

ان الابرار لفی نعیم- ای فی نعیم الجنة فیتلذذون منها ویجدون فیها کل شیء یشتهونه- اعلم ان اللذات اما حسیة واما خیالیة واما عقلیة- اما الحسیة فامکانها فی ذلک العالم مثل وقوعها فی هذا العالم فهذه اللذات فیها رغبة لبعض الناس من المؤمنین وهی من الاغذیة کاللبن والعسل واللحم الطری- ومن الملابس کالحریر والاستبرق فهذه الاشیاء تعظم فی اعین بعض المؤمنین وتشتهونها غایة الشهوة کما قال الله تعالیٰ- ولکم فیها ما تشتهی انفسکم ولکم فیها ما تدعون- واما الخیالیة فهی کما یلتذ الانسان فی المنام فان اللذة مشابهة باللذة الحسیة بحیث لا یفترق اللذة بینهما الا انها منقطعة

تفسیر قوله تعالیٰ ان الابرار لفی نعیم

في اليقظة - فلا يبقى اثرها في السامعة و الباصرة لانّها مخزونة في خزانة الخيال - و امّا العقلية فهي اعظم اللذات و المتلذّذون بها هم الانبياء عليهم السلام و الاولياء الصديقون فعند و من لهم هذه اللذّة غير منقطعة عنهم ابدًا فلا يتوجهون الى لذّة حسّية مثل الوجوه الحسنة و الخدود المنضّرة و القدود الرشيقة و القصور العالية و الحدائق المثمرة و الانهار المفعمة من اللبن و العسل وغيرها من اسباب السرور و الانشراح و الى خيالية لانها منقطعة بانقطاع الخيال عنها فهم لا يتصوّرون الى سبب السرور بل يريدون نفس السرور وهو قربُ الله و معيته في كل حال - و لهذا القرب مدارج بعضها فوق بعض و اعلها لسيّدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه في حديثه القدسي لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِيْ فِيْهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - و بيانها على وجه الحقيقة وراء طريق العقل و لتابعه الاتم المبشّر بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانّ الله يختم به الدين كما بدأ منّا - و هو المهدى الموعود خليفة الله كما روى ذلك في رواية ثوبان رض اخرجه ابن ماجة - وَاِنَّ الْفُجَّارَ لَفِيْ جَحِيْمٍ و انّما عطفت هذه الجملة على ما قبلها لتباينهما باعتبار المفهوم - والمراد بالفجار هم الكفّار و لا يدخل فيهم صاحب الكبيرة لانّ الله جعل الفجور صفة لهم كما قال اولئك هم الكفرة الفجرة فصاحب الكبيرة لا يدخل النّار - لانها دار من يكذب بالله و رسوله كما قال الله تعالى على طريق الحصر لَا يَصْلٰهَا اِلَّا الْاَشْقَى الَّذِيْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى - فصاحب الكبيرة لا يوجد فيه صفة التكذيب و التولى - فلا يدخل النار ابدًا - يَصْلَوْنَهَا

اى يدخلون النار - يَوْمَ الدِّيْنِ - اى يوم القيمة - وهو ظرف لقوله يصلونها وهو امّا صفة للجحيم - ويجوز ان يكون فى محلّ نصب على الحال - قرأ الجمهور يصلونها مخففًا مبنيًا للفاعل وقرئ مبنيًا للمفعول مشدّدًا من تصلية - وَمَا هُمْ - اى الفجار - عَنْهَا - عن النار بِغَائِبِيْنَ - اى لا يفارقونها ابدًا ولا يغيبون عنها بل هم فيها ابدًا

وَمَا اَدْرٰىكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِ ثُمَّ مَا اَدْرٰىكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِ فيه تعظيم لشان ذلك اليوم وتفظيع وتهويل للكفار - والمعنى اى شئ اعلمك به وهذا خطاب على وجه الزجر - كما قال الله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادرىك ما الحاقة - ولكن يريد تعظيم يوم القيامة وتهويله وتهديد للمخاطب والظاهر انه يدل على ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - لان المخاطب فى الحقيقة هو امته لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعلم بشان ذلك اليوم - يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ - من النفوس وان كانت صالحة - لِّنَفْسٍ - اخرى - شَيْئًا من النفع والضر فلا يشفع احد لاحد فى شئ من الامور والامر لله سبحانه من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه - ... بالنفس الاخرى نفس الكافر لان الشفاعة ثابتة للمسلمين فى حق اهل الكبائر بالكتاب والسنة اما الكتاب فهو قوله ... واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين - فان اسلم ... اهل الكبائر ... على ندب ... الا انه كان له نفع ونفعها عن الكافر ... معنى - فالسنة قوله ... صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر وهو مشهور

بل الاحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى - قرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انّه بدل من يوم الدين او خبر مبتدأ محذوف - وقرأ ابو عمرو في رواية عنه يوم بالتنوين والقطع عن الاضافة - وقرأ الباقون بفتح يوم بتقدير اعني او اذكر فيكون مفعولا به او على انها فتحة بناء لاضافته الى الجملة على رأى الكوفيين وهو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انّه بدل من يوم الدّين - قال الزّجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انّه بنى على الفتح لاضافته الى قوله لا تملك - وما اضيف الى غير المتمكّن فقد بنى على الفتح وان كان في موضع رفع وهذا الّذى ذكره انّما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي واما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما وقد وافق الزّجّاج على ذلك ابا على الفارسى والفرّاء - واكثر هذا هو الّذى ذكره ابو حيان - وَالْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلّٰهِ - والامر هو السلطان والحكم - اى ليس في ذلك اليوم حكم الا لله وحده

ومثله قوله تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ

الواحد القهار - تم تفسير هذه السورة

بعون الله الكريم الغفار و

الصلوة على نبيه المختار و

على اله الاطهار و

صحبه الاخيار

سورة المطففین هی ست وثلاثون آیة

هذه السورة مکیة وهو قول عبد الله ابن مسعود رضی الله عنه والضحاک ومقاتل - وقال ابن عباس رض وقتادة انها مدنیة الا من ان الذین اجرموا - الی اخرها مکی وهی ثمان ایات - وقال ابن عباس رض نزل امر التطفیف فی المدینة لانهم کانوا یفسدون فی امر الکیل والوزن فاصلحهم الله تعالی فی هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحیم

وَیْلٌ - کلمة عذاب لمن وقع فی عذاب وهلکة قالوا والمختار فی ویل اذا کان غیر مضاف هو الرفع - قال ابو اسحق ویل بالرفع ابتداء والخبر للمطففین - ولو کانت فی غیر القران لجاز ویلا علی معنی جعل الله لهم ویلا - والرفع اجود فی القران واصل الویل فی اللغة العذاب والهلاک یدعی لمن وقع فی عذاب وهلکة یستحقها وهو قول سیبویه ومنه قول الاعشی -

قَالَتْ هُرَیْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَیْلِی عَلَیْکَ وَوَیْلِی مِنْکَ یَارَجُلُ

ولا یقال ویح فی مثل هذا المقام لانه قد یکون فیه معنی الترحم قال الاصمعی الویل قبوح والویح ترحم وهو قول المازنی وخالفه ابو زید وقال الویل هلکة والویح قبوح والویس ترحم ولم یذکر سیبویه فی الویس شیئا - لِلْمُطَفِّفِیْنَ - قال الزجاج المطفف هو الذی

ینقص المِکیَال و المِیزَانَ و ھو قول ابی عبیدة و المبرد فیکونُ المعنی
العذابُ للذین ینقصونَ المِکیال و المیزان - ذکر صاحب اللسان
قال سیبویه فی قوله تعالیٰ - ویلٌ لِّلمطفِّفِیْنَ ویل للمکذّبین - قال
لا ینبغی اَنْ یقَال ویلٌ دُعاءٌ ھھنا لانّہ قبیح فی اللفظ ولٰکنّ العِبَاد
کلِّمُوا بکلامھم وجآءَ القراٰنُ علی لغتھم علی مقدارھم فکأنّہ
قیل لھم ویل للمکذّبین ای ھؤلاء ممّن وجب ھذا القول لھم
و مثلہ قاتلھمُ اللّٰہ اجری ھٰذا علی کلام العرب وبه نزَل القراٰنُ
روی انّ اھل المدینة کانوا اخبَثَ النّاس کیلاً فنزلت ھذہ الاٰیة
قال الفرّاءُ فاَحسَنُوا و جاءَ فی الحدیث خمسٌ بخمسٍ ما نقضَ العھدَ
قومٌ الاّ سَلّطَ اللّٰہ علیھم عدوّھم و ما حکموا بغیر ما انزل اللّٰہ الاّ
فشَا فیھم الفقرُ وماظھرتْ فیھم الفاحشةُ الاّ فشا فیھم الموتُ
ولا طفّفوا الکیلَ الا منِعُوا النّبَاتَ و اخذوا بالسّنِین و لا منعُوا
الزکاةَ الاّ حِبِسَ عنھم القطر - الّذِینَ اِذَا اکْتَالُوْا عَلَی النَّاسِ
ای اذا عاملوا الکَیْلَ قال الفرّاءُ و علی النّاس بمعنی من النّاس
و ھو قول الزجّاج - و قال و ھما یعتقبان فی ھذا الموضع فانّ قال
اکتَلْت علیك فکأنّہ قال اخذتُ ما علیك و اذا قال اکتَلْتُ
منك فکأنّہ قال استوفیت منك - یَسْتَوْفُوْنَ - الاستیفاء اخذُ
حق نفسہ ای اذا اخذوا الکیل من النّاس یاخذون حقوق انفسھم
وافیة تامّةً وھذا الاکتیال یضرّ النّاس الاّ انّھم لم یرفضوا ھذا
الصفةَ و لا یعتدّون نھا شیئًا - و ھذہ الجملة صفة موضحة لتطفیفھم
الذی یستحقّون به الذم والدعاء علیھم بالویل - وَاِذَا کَالُوْھُمْ

اَوْ وَّزَنُوْ هُمْ - قال الفرّاء و الكسائی هذا علی لغة اهل الحجاز
فانهم يتكلمون علی عادتهم بحذف اللام و النقل يراد اذا كالوالهم
او وزنوالهم - وقال عيسى بن عمر وحمزة ان الضمايرين فی كالوهم
او وزنوهم للتاكيد لما فيهما من ضمير الجمع المذكر - ويجوّزان
الوقف علی الواو - و اعترض عليهما الفرّاء و الزجّاج بانّه لو كان
كذالك لكان فی المصحف الفٌ قبل قوله هم و اجاب صاحب الكشاف
انّ خط المصحف لم يُراع فی كثير منه حدّ المصطلح عليه فی علم الخطّ
قال ابو حيّان و يجوز حذف اللام كقولك نصحتُ لكَ و نصحتُكَ
و شكرتُ لك و شكرتُكَ انتهی فان قيل انّ الله سبحانه ذكر
اوّلاً اذا اكتالوا ثمّ ذكر واذا كالوهم او وزنوهم فلم لم يذكر
الوزن اوّلاً - فجوابه ان الكيل قد يجيئ بمعنی الوزن باعتبار القرائن
كما يقال كال الدنانير ای وزنها كذا روی عن ابن الاعرابی خاصّة
و انشد لشاعرٍ الكيل هو الوزن -

قَارُوْرَةٌ ذَاتُ مِسْكٍ عِنْدَ ذِيْ لَطَفٍ مِنَ الدَّنَانِيْرِ كَالُوْهَا بِمِقْدَارِ

قال فامّا ان يكون هذا وضعًا و اما ان يكون علی النسب لانّ الكيل
و الوزن سواءٌ فی معرفة المقادير - و يُقال كل هذه الدراهم
يريدون زن - و قال مرّةً كلّ ما وُزن فقد كيل وهما يتكايلان
قالت امراءةٌ من طيّ -

فَيُقْتَلُ خَيْرًا بِامْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهٗ نِوَاءٌ وَلٰكِنْ لَا تَكَايُلَ بِالدَّمِ

قال لا تكايل يعنی الكيل والوزن و غيرهما كذالك قال بتقدير
اذا كالوهم او وزنوهم - يُخْسِرُوْنَ - قال الزجّاج الخسران

والاخسار سواء و قال المؤرج معناه بلغة قريش ينقصون - اَلَا يَظُنُّ اُولٰٓئِكَ - اى المطففون الاخساء - اَنَّهُمْ مَّبْعُوْثُوْنَ لِيَوْمٍ عَظِيْمٍ اى يوم القيامة قيل وضع الاشارة موضع الضمير للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم - وهو ضعيف لان الاشارة قد يكون الى اسم ذات كقولك هذا زيد - بل هو لتنبيه هؤلاء الى قدة فى الخسران كما ذكر اهل المعانى - والمعنى انهم لا يخطر ون ببالهم ولا يشعرون بقلبهم انهم مبعوثون يوم القيامة ويحاسبون على مقدار الخردلة والذرة و يجازون على التطفيف ولو بطفيف فى كل ما يكل و يوزن و اذا تاملت فى هذه الأيات قد تهادانه على ان كل من يوصف بالتطفيف فله الويل سواء كان مومنا او كافرا - اما الويل للاول فلان كل من طفف فى المكيال والميزان فانه لا يوقن بانه يجازى يوم البعث بالتطفيف فكانه ينكر المحاسبة والمجازاة ولا يبالى بسرقة الشيء الطفيف هو اليسير ولا يستنفق بما افصح الله تعالى بقوله فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَّرَهٗ و مَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهٗ - واما الويل للثانى فلانه مع كونه كافرا يطفف الناس فى المكيال والميزان - يَوْمَ - منصوب بمبعوثون او بدل من محل يوم عظيم - يَّقُوْمُ النَّاسُ - اى يبعث الناس من القبور و يقومون بعد البعث فى موقف الحشر لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ اى لامر ربهم او لجزائه او لحسابه الذى يذوب اكبادهم و يحترق به افئدتهم الا الذين امنهم الله بفضله وكرمه - كَلَّآ هى ردع للمطففين الغافلين عن البعث والحشر - او بمعنى حقا

إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ قال ابو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج
لفي حبس وضيق شديد - قال بعض اهل اللغة وهو فعيل من السجن
وهو قول ابي عبيدة وقيل هو واد في جهنم وقيل هو [illegible]
من كل شيء وقيل في سجين انه حجر تحت الارض السابعة وهو قول
مجاهد واختلف في ان نونه اصلية ام لا - فقال الاكثرون انه من
السجن فتكون نونه اصلية وهذا قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج
ثم اختلفوا في انه هل عربي ام لا - قال الواحدي هو ليس بعربي لان
العرب ما كانوا يعرفونه - وقال ائمة النحويين واللغة انه عربي يقول
ضرب سجين اي شديد قال ابن مقبل -

فَإِنَّ فِينَا صَبُوحًا إِنْ رَأَيْتَ بِهِ ۔ رَكْبًا بِهِنَّا وَالافًا تَمَا بِنِيتَا
وَرَجْلَةً يَضْرِبُونَ الْهَامَ عَنْ عُرُضٍ ۔ ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْاَبْطَالُ سِجِّينَا

والعرب تقول سجين مكان سلتين - وسلتين ليس بعربي - وهذا قول
ابي عمرو - وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ تهويل لشأنه لا تدرك حقيقته
لا بعد البيان من قبل الشارع - كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝ اي مسطور فيه
اعمال الكفار من الجن والانس وجنود ابليس - لا يقال ان كتاب
الفجار في كتاب مرقوم فيلزم ظرفية الشيء في نفسه لانا نقول
ان المراد بكتاب الفجار كتابة اعمال الفجار في كتاب ... اعتراض
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ - اي يوم القيامة - الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ
الدِّينِ ۝ والموصول صفة المكذبين وقيل بدل - وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا
كُلُّ مُعْتَدٍ - اي متجاوز عن الحد - أَثِيمٍ ۝ مبالغة في الاثم منهمك في
الاهواء المخدعة هالك في المعاصي المهلكة مع كونه مشاهدا لطرق

الهداية - إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا - اى على ذلك المكذب اياتنا الدالة على يوم البعث والجزاء - قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ○ جمع اسطورة وهي الاقاويل التى لانظام فيها المتصفة بالكذب والبطلان - ذكر الله سبحانه للمكذبين بيوم الدين ثلاثة احوال الاولى هى الاعتداء عن منهج الحق الى الباطل - والثانية المبالغة فى الاثم - والثالثة انكار الدلائل الناطقة بثبوت البعث والجزاء فالموصوف بهذه الصفات هو المكذب بالدين قيل ان هذه الآيات نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى نضر بن الحارث - والصحيح انها تتناول الذين يتصفون بهذه الصفات فلا شك فى انهم المكذبون بيوم الدين واعلم ان الاعتبار بالامور الالهية والامعان فى الاسرار القدسية امر وهبى من الواهب القدوس وهو كحل نورانى يتجلى به عين البصيرة حتى يرى به سبل الهداية ومناهج الحق فيؤمن بالله ورسوله ويوقن بجميع ما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام من ضروريات الدين وهو نور فوق نور العقل فنوره بالنسبة الى ذلك النور كنور السراج على الشمس فلا يدرك بنور العقل حقيقة ذلك النور فهو موهبة عظيمة من الواهب الرزاق فنور العقل لا يقدر على كشف حقيقة الايمان ولذلك يكفر اكثر العقلاء بالله ورسوله - فالذى يعطيه الله ذلك النور يعرف الله ورسوله فيؤمن بهما فيكون من الفائزين - كَلَّا - وهى كلمة ردع اى ليس الامر كما يعقلون - بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ - الرين الغطاء والغشاء كالصداء الذى يغشى السيف ومنه قول الشاعر

وَكَمْ رَانَ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى قَلْبِ فَاجِرٍ   فَتَابَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى رَانَ فَانْجَلَا

وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ومنه قول الرماح

مخافة ان يرين النوم فيهم بسكرسناتهم كل الرّيون

وقال الفرّاء ان المعاصي كثرت منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم قال هو العبد يذنب الذنب فتنكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب منها صقل قلبه وان عاد نكتت اخرى حتى يسود القلب فذلك الرين وقال ابو معاذ النحوى الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين وهو الختم قال ابو عبيد كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك وقال الزجاج معناه غطى على قلوبهم والاولى هو الذى قال ابو معاذ النحوى وهو يوافق ما ذكر فى الحديث القرّاء ادغموا اللام فى الراء الا من كان سكت على لام بل مثل الامام حفص ففى كتاب اللوامع عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء نحو قوله بل رفعه الله اليه بل ربكم وقرأ نافع بل ران غير مدغم وقال سيبويه اللام مع الراء نحو اشغل رحمه البيان والادغام حسنان وقال سيبويه فاذا كانت يعنى اللام غير لام التعريف نحو لام هل وبل فان الادغام فى بعضها احسن وذلك نحو هل رايت فان لم تدغم فقلت هل رأيت فهى لغة لاهل الحجاز وهى عربية جائزة انتهى ما كانوا يكسبون من الذنوب والآثام وهى اسباب الرين غشى القلوب واعلم ان العبد اذا مال الى الذنب واتبعه فيه سواء كان من الصغائر

اى من انكبا ئر خشى نفسه بعد صدوره و لا يلتذ به تمام اللذة
لكنه اذا اقترفه ثانيًا و اشتغل فيه لم يفرق نفسه كما فرقت اوّل مرّة
في يجترأ على اقتراف مثل ذلك الذنب لحصول التلذذ فيه في المرتبة
الثانية فهذا الالتذاذ يجذبه الى الاشتغال فيه ثالثًا - فاذا واظب
فيه حصلت له ملكة ظلمانية في نفسه فلا يبالى من احد فيسودّ
قلبه و يحيط به الظلمة من كل جانب و يرخى سدول الضلالة على فؤاده
فلا يعقل الارشاد و الهداية بل يبقى متحيرًا في ظلمات الضلال - و
من ثم يقال الرين كالكل المشكك فالمداومة على الذنب علة لوجود
الشدة في افراده و عدمها علة الضعف فيها فلذلك توجد مراتبه
مختلفة في الظلمة والسواد - كَلَّآ اِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ - اى
يوم القيامة - لَّمَحْجُوْبُوْنَ - فلا يرون ربهم - احتج بهذه الآية من جوّز
روية الله تعالى - و قال ان المؤمنين يرونه تعالى يوم العرض و يؤيده
قوله تعالى - وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ اِلٰى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ - و المراد بالوجوه
الناضرة هم المؤمنون - و الاحاديث الصحيحة المرفوعة تدل على
ان المؤمنين يوم القيامة يرون ربهم شفاهًا - و من انكر الرؤية
جعلها تمثيلًا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على السلاطين
او قدر مضافًا مثل رحمة ربهم او نحوه فكان تحقيرًا و استخفافًا لهم
و فيه نظر لانه لا يلزم منه عدم الرؤية مطلقًا لانه يجوز ان يخرج
السلطان من بيته في لا مانع لاحد ان ينظر اليه - و الصحيح ان حجابهم
بوجوه الاول ان الرؤية امر متفضّل على المؤمنين وهو ليس حظًا لهم
و الثاني ان الكفرة يومئذ يبتلون في الكرب الهائل و قد غشاهم

خوف العذاب واخذهم هول العقاب واحاط بهم ما كسبت ايديهم
من كل جهة فلا يقدرون على ان ينظرون الى انفسهم فضلا ان
ينظروا الى جلال الله وغضبه بل كان يدهشهم الفزع الاكبر
فلا يرون شيئا غير العذاب - ولنعم ما قال الشاعر -

اَنْ تَلْقَنِیْ لَا تَرٰی غَیْرِیْ بِنَاظِرَۃٍ تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَۃَ الْاَسَدِ

ثُمَّ اِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِیْمِ ۝ ای بعد الحرمان لداخلوا النار - ویقال
صَلِیْتُ الرَّجُلَ نارًا اذا ادخلته النار - یقال صلی اللحم فسلاه ای حرقه بها کقوله

اَلَا یَا اسْلَمِیْ یَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِیْ بَدْرٍ تَحِیَّۃَ مَنْ صَلّٰی فُؤَادَكِ بِالْجَمْرِ

اراد انه قتل قومها فاحرق فؤادها بالحزن علیهم - ثُمَّ یُقَالُ - ای
للکفرة - هٰذَا الَّذِیْ - ای عذاب النار - کُنْتُمْ بِهٖ - فی الدنیا
تُکَذِّبُوْنَ - بالبعث والحشر والجزاء - ای لم تکونوا مؤمنین بایاتنا
وکنتم تقولون انها من اساطیر الاولین واکاذیب الاقدمین
فادخلوا عذاب النار وذوقوا ما کنتم به تکذبون - کَلَّا - کلمة
الردع والزجر والتکریر للتاکید - اِنَّ کِتٰبَ الْاَبْرَارِ لَفِیْ عِلِّیِّیْنَ
قال الزجاج هو اعلی الامکنة منقول من جمع علی من العلو - وقال
الفراء والزجاج وهو لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه مثل ثلاثین
فاعرب مثل اعراب الجمع والعلیون قیل الملائکة او المواضع
العلیة من کل موضع - وقیل هو اسم لدیوان الخیر - قال ابن عباس رض
هو الجنة - قال قتادة هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش
الیمنی - والصحیح انه اسم لمقام - وَمَآ اَدْرٰىكَ مَا عِلِّیُّوْنَ ۝ کِتٰبٌ
مَّرْقُوْمٌ - مکتوب فیه - یَّشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُوْنَ ۝ یعنی ان الملائکة

یحضرونَ ذلک المرقوم - اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِیْ نَعِیْمٍ عَلَی الْاَرَآئِکِ یَنْظُرُوْنَ الارایکۃ ھی السریر - ای علی الاسرۃ ینظرون الی عجائب الملکوت وغرائب مناظر الجنۃ و الرحمۃ - ثم الناظر یوسمئذ علی اقسام الاول ھو الذی ینظر الی نعیم الجنۃ ونضرتھا وبسرّ بالائھا ونعمائھا - والثانی ھو الذی ینظر الی النساع ملک اللہ و ملکوتہ وقدرۃ اللہ و جبروتہ والثالث ھو الذی ینظر الی انوار صفات اللہ و کمالاتھا المنعکسۃ فی مظاھر الاشیاء ومناظر الاکوان فیفرح بغرائب شیونھا وسمائنھا ویدھش فی تجلیاتھا - والرابع ھو الذی ینظر الی تجلیات الذات وبوارق احدیتھا فیتحدّق فی کمالاتھا ویتحیّر فیھا وھو الذی اعطاہ اللہ العلم السکوتی وھو الانسان الکامل المکمّل وعبداللہ بل عبدہ ولیس فی العالم اعلی منہ وافضل وھو محمد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وتابعہ الاتم الاکمل الذی ختمت علیہ الولایۃ المحمدیۃ الخاصّۃ وھو المعبّر بالمھدی علیہ الصلاۃ والسلام وھو خلیفۃ اللہ رب العالمین ونائبہ فی الامۃ المحمدیۃ ھذا ھو الصفۃ الاولی من صفات الابرار - وثانیھا - تَعْرِفُ فِیْ وُجُوْھِھِمْ نَضْرَۃَ النَّعِیْمِ والخطاب للنبی صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم - ای تراہ فی وجوھھم من النور والبھاء والحسن والزھرۃ - قرأ الجمھور تعرف بفتح الفوقیۃ وکسر الراء ونصب نضرۃ - و[illegible] بضم الفوقیۃ وفتح الراء علی البناء للمفعول ورفع نضرۃ بالنیابۃ - وثالثھا - یُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِیْقٍ - قال ابو عبیدۃ والاخفش والمبرد والزجاج الرحیق من الخمر مالیس فیہ غش - وقال الخلیل الرحیق اجود الخمر - قال ابن سیدہ ھو من اعتقھا وافضلھا وقال بعضھم

هو من اجود الخمور - مختوم - ای علی انا نها ختم غیر مفکوك ختامه مسك - اختلف فی معنی الختام الاول الختام اخر كل مشروب فالمعنی اخر ما یجدونه رائحة المسك - والثانی قال علقمة معناه الخلط - ای خلطه مسك - والثالث قال مجاهد معناه مزاجه مسك - والرابع قال الفراء الخاتم والختام متقاربان الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر - والخامس قال فی الصحاح الختام الطین الذی یختم به وهو قول ابن زید والمعنی الاخیر هو الانسب یعنی ان هذا الرحیق اعتق وقد ختم علیه بالمسك ومنه قول النابغة

كأن مشعشعا من خمر بصری نمته البخت مشدود الختام

وفی ذلك - ای فی ذلك الرحیق - فلیتنافس المتنافسون التنافس الرغبة ای فلیترغب الراغبون الیه بطاعة الله وعبادته - ومزاجه من تسنیم - قد ورد فی الحدیث ان التسنیم علم لعین تجری فی الجنة - والتسنیم من سنم - قال القتیبی السنم بالسین والنور هو الماء الماء الجامع علی وجه الارض ویروی بالشین والباء ای ماء شبم وهو ماء بارد - ومنه قول المتنبی -

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمی وحالی عنده سقم

وقال الزجاج ای مزاجه من ماء متسنم عینا تاتیهم من علو تتسنم علیهم من الغرف - وقیل هو ماء فی الجنة سمی بذلك لانه یجری فوق الغرف والقصور - عینا یشرب بها المقربون - قال الزجاج النصب علی الحال - وانما قال دالاسم ان العین جامدة لانها وصفت بقوله

يشرب بها - و قال الاخفش انها منصوبة بيسقون - وهو قول المبرد
و قال الفراء بتسنيم - و قال الازهري ان تنوى من ماء سنم عينا
كقولك رفع عينا - و قال ان لم يكن التسنيم اسما للماء فالعين
نكرة و ان كان معرفة اسما للماء فخرجت نصبا و هذا قول الفراء
قال ابن عباس اشرف شراب اهل الجنة هو تسنيم لا يشرب بها
الا المقربون و المراد بهم هم الصديقون و الانبياء عليهم الصلوة
و السلام لان القرب حقيقة ليس الا لهذا الصنف المقدس الاطهر
ثم المقرب على اقسام الاول هو المقرب برحمة الله تعالى و الثاني
هو المقرب باخلاق الله و هذان القسمان يسميان بالمؤمنين
الصالحين و الثالث هو المقرب بصفات الله جل شانه و هذا القسم
سمي بالنبي فالانبياء عليهم السلام لا يصعدون الا فوق فلك
الصفات و لا يعلون فوقها - و الرابع هو المقرب بذات الله تعالى
وهو سيد الانام محمد رسول الله صلوات الله عليه و السلام -
كما اشار اليه في الحديث الصحيح لي مع الله وقت لا يسعني فيه
ملك مقرب و لا نبي مرسل - و لا يصل الى هذه المرتبة العظمى
من امته الا تابعه الاتم الذي يشاركه في دعوة البصيرة كما قال الله تعالى - ادعو
الى الله على بصيرة انا و من اتبعني - و المراد به المهدي الموعود عليه

الصلوة و السلام - إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ
و المراد بالمجرمين كفار قريش كابي جهل و الوليد بن المغيرة
و العاص بن وائل و اصحابهم من اهل مكة و هؤلاء هم الذين كانوا
يضحكون - على الذين امنوا بالله و رسوله - و يستهزءون بهم قائلين

بانهم لم یمیزوا الکاهن من النبی و قید ولی فی حبال کهانته نعوذ بالله من هذا الکلام - وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ - الغمز هو الاشارة بالعین والحاجب والجفن و قیل بالید - والمعنی ان المجرمین اذا مروا بالمؤمنین یشیرون بالاعین والحواجب استهزاء و یثلبونهم بانهم یتقون بالقواعد التی سموها شرائع و یحرمون عن التنعمات التی خلق الانسان لاجلها و ذلک لمنقصة عقولهم وسخافة ارائهم و قیل الاغماز هو الاستضعاف و التصغیر من قول الکمیت

وَمَنْ يُطِعِ النِّسَاءَ يُلَاقِ مِنْهَا ... إِذَا أَغْمَزْنَ فِيهِ الْأُقْوَرِ دِينَا

الاقورین الدواهی یقول من یطع النساء اذا عبنه و زهدن فیه یلق الدواهی فیکون المعنی اذا مروا بهم یستضعفونهم و یصغرونهم - وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ - ای هؤلاء الکفار الی مجالسهم - انْقَلَبُوا فَكِهِينَ - الفکه الاشر والعجب - ای معجبین بانهم استهزءوا بالمؤمنین و تغامزوا بهم - قرأ الجمهور فکهین - بغیر الف وقرئ بها قال الفراء وهما لغتان - وَإِذَا رَأَوْهُمْ - ای المؤمنین - قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ - ای الذین امنوا بمحمد صلی الله علیه وسلم - لَضَالُّونَ - معرضون من طریق ابائهم - او لان المؤمنین کانوا یترکون التنعم العاجل و یختارون الثواب الاجل - فهؤلاء الکفار یقولون زعمهم ان الذین امنوا بمحمد صلی الله علیه وسلم - قد ترکوا متاع الدنیا و زخرفها و رضوا عن السغب و المجاعة و الاملاق و الذلة و ما هذا الا ضلال - نعوذ بالله من هذا المقال - وَمَا أُرْسِلُوا - ماذا فیه ای و لم یرسل الکافرون عَلَيْهِمْ - ای علی المؤمنین حَافِظِينَ ای یحفظون علیهم احوالهم من صلاح و فلاح و یرقبون اعمالهم من حسنات و سیئات و یشهدون برشدهم من ضلالهم - وقیل ان ضمیر الجمع فی و ما ارسلوا یعود علی المؤمنین فالمعنی ان المؤمنین لم یرسلوا علی الکفار حافظین - والمعنی الاول ذهب الیه ابن جریر الطبری و من نحا نحوه و قال ان الکفار لم یجعلوا رقباء

على المؤمنين بحيث يحفظون عليهم بل الله كلّفهم الايمان بواحد نبيته والعمل بطاعته وهذا هو الانسب - والثاني اختاره ابو حيّان - وهو بعيد عن سياق الآية - وفي الآية بعض موادعة بين المؤمنين والكافرين - فَالْيَوْمَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُوْنَ عَلَى الْاَرَآئِكِ يَنْظُرُوْنَ - قال كعب ان بين اهل الجنة واهل النار كوى يرون منها حال فظاعة الكفار وشدة عذابهم وانّهم يصرخون بشدة احراق النّار ولا يرحمون ويستغيثون بالعذاب الهائل ولا يغاثون ويدعون ولا يجابون وليس هذا الا معاوضة تكذيبهم بما اخبرهم الله تعالى بيوم البعث والنشور والثواب العقاب - هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ - هذا قول بعض اهل الجنة قيل هل استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين اي هل جوزي الكفار والصحيح انّها بمعنى قد - كما قال الله تعالى هَلْ اَتٰى عَلَى الْاِنْسَانِ حِيْنٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُوْرًا - وهذا قول ابن عباس و الكسائي والفرّاء والمبرّد وبالغ صاحب الكشاف فزعم انّها ابدًا بمعنى قد وانّ الاستفهام انما هو مستفاد من همزة مقدرة معها ونقله في المفصل عن سيبويه والتثويب هو الجزاء ومنه قول الشاعر -

سَاَجْزِيْكَ اَوْ يُجْزِيْكَ عَنِّيْ مُثَوِّبٌ ... وَحَسْبُكَ اَنْ يُثْنٰى عَلَيْكَ وَتُحْمَدُ

وقرأ الجمهور هل ثوّب باظهار لام هل والنحويان وحمزة وابن محيصن بادغامها في الثاء - والمعنى انّ الكفار كذلك لا يجزون الا على ما عملوا من تكذيب الله ورسوله والاستكبار من اطاعة الله وعبادته والله اعلم وعلمه اوفى واتمّ - تمّ تفسير هذه السورة بكرم الله تعالى فالحمد لله اولًا وآخرًا والصلوة على نبيه الكريم طيبًا وطاهرًا وعلى اله الذين طهّرهم الله تطهيرًا واصحابه الذين يذكرون الله ذكرًا كثيرًا

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت - تدل هذه الآية ان السماء جسم يقبل الانشقاق والالتيام وليس ادفاعا محضا كما زعم بعض الجهلاء - قال الفلاسفة ان كل جسم كائن وفاسد وهذا القول يدعي ان فيه مبدأ حركة مستقيمة لكنهم ذهبوا الى ان المحدد يمتنع ان يكون له مبدأ حركة مستقيمة والا يبطل نظام الزمان لانه مقدار حركته واذا انقطعت حركته انقطع مقداره فلا يبقى هذا النظام الموجود فاتفقوا على ان المحدد ليس فيه مبدأ ميل مستقيم بل فيه مبدأ ميل مستدير واثبتوه بدلائل اقناعية كما هي مذكورة في العلم الطبعي ولقائل ان يقول ان الجسم المطلق هو الذي يقبل الحركة والسكون فلابد ان يحصلا فيه بشرطين مختلفين فاذا زال شرط الحركة حدث شرط السكون - وبالعكس وانما قلنا ذلك لان الفلك اذا كان قابلا لكل واحد منهما لايكون احد منهما لازما له فيكون مفارقا والعرض المفارق هو الذي يزول اما بسرعة واما ببطوء - فيجوز ان يقبل السماء الانشقاق والانفطار كما قدمنا - وروى المفسرون عن سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في الدارين ان السماء تنشق من المجرة - ومثله قوله تعالى - وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ذكره ابو حيان وقال ابن خالويه قراءة اذا السماء انشقت بكسر التاء - عبيد عن ابي عمرو - وقال ابن عطية

وقرأ ابو عمرو انشقت يقف على التاء كأنه يشمّها شيئًا من الجرّ وكذلك في أخواتها - قال ابو حاتم سمعت اعرابيًا فصيحًا في بلاد قيس يكسر هذه التاءات وهي لغة انتهى - وذلك ان الفواصل قد تجري مجرى القوافي فكما ان هذه التاء تكسر في القوافي كذلك تكسر في الفواصل انتهى وهذا كثير في الاشعار - ومنه قول كثير في عزة -

وَمَا اَنَا بِالدَّاعِي لِعَزَّةَ بِالرَّدَى　　وَلَا شَامِتٍ اِنْ نَعْلُ عَزَّةَ زَلَّتِ

وقال معد يكرب

وَلَمَّا رَاَيْتُ الْخَيْلَ زُوْرًا كَاَنَّهَا　　جَدَاوِلُ زَرْعٍ اُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتِ

فَجَاشَتْ اِلَيَّ النَّفْسُ اَوَّلَ مَرَّةٍ　　فَرُدَّتْ عَلٰى مَكْرُوْهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ

واختلف في جواب اذا فقال الفرّاء هو قوله تعالى اذنت والواو مزيدة وكذا القت - واليه ذهب الاخفش والكوفيون الا انه قال السماء مبتدأ و انشقت خبره كما هو رأي الكوفيين خلافا للبصريين لانهم ذهبوا الى ان السماء فاعل تقديرا لكلام اذا السماء انشقت السماء لان اسماء الشرطية تطلب الفعل وقد ذهب هذا البحث سابقا قال ابن الانباري الواو لا تكون مزيدة الا مع اذا كقوله تعالى - حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها - اقول وفيه نظر لانها قد تزاد بدون اذا قال العلامة المغني والزيادة ظاهرة في قول الشاعر -

فَمَا بَالُ مَنْ اَسْعٰى لِاَجْبُرَ عَظْمَهُ　　حِفَاظًا وَيَنْوِيْ مِنْ سَفَاهَتِهٖ كَسْرِيْ

وفي قوله

وَلَقَدْ رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا　　فَاِذَا وَاَنْتَ تُعِيْنُ مَنْ يَبْغِيْنِيْ

وقال صاحب الكشاف حذف الجزاء لذهاب الوهم الى كل شئ مخوف

به وج يزداد التهويل و عندى ان قوله تعالى فاما من اوتى كتابه جزاءً وما بينهما جملة معترضة - والله اعلم - وَاَذِنَتْ اى سمعت السماء والاذن هو السمع ومنه قول قعنب -

صُمٌّ اِذَا سَمِعُوْا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهٖ وَاِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ اَذِنُوْا
اى سمعوا

اِنْ يَّاْذَنُوْا رِيْبَةً طَارُوْا بِهَا فَرَحًا وَمَاهُمْ اَذِنُوْا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوْا

اى ان يسمعوا شيئا فيه ريبة - قال ابن عباسؓ اذنت اطاعت - لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ - اى ثبتت لها الاطاعة والانقياد لامر ربها والمراد بالامر الامر بانشقاقها - وَاِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ - من مَدَّ و يمدُّ والمراد بالمدّ ازدياد سعتها يوم القيامة - وذلك لوقوف الخلائق المبعوثة فى الموقف للمحاسبة والمجازاة - وَاَلْقَتْ - الارض - مَا فِيْهَا - اى فى باطنها من المعادن والدفائن والموتى على ظهرها - وَتَخَلَّتْ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ فلا يبقى فيها شئ بطن فيها ومثله قوله تعالى - وَاَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقَالَهَا - هذا ما ذهب اليه الزجاج - قال ابو حيان وهو ضعيف - وقال وهذا يكون وقت خروج الدجال وانما تلقى يوم القيامة الموتى - اقول وفيه نظر لان القاء الارض جميع ما فى بطنها يوم القيامة امر ثبت من القران وليس فى احاديث الدجال شئ يدل على ان الارض تخرج يومئذٍ جميع ما كمن فيها وتدل على ان الخزائن تخرج من الارض فى مدته والحاصل ان الارض بسطت لاندكاك جبالها فتصير الارض اذذاك قاعا كما قال الله تعالى وتقدس - قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرٰى فِيْهَا عِوَجًا وَّلَا اَمْتًا - يَا اَيُّهَا الْاِنْسَانُ اِنَّكَ كَادِحٌ اِلٰى رَبِّكَ كَدْحًا - الكدح جهد النفس

في العمل حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومنه قول ابن مقبل
وَمَا الدَّهْرُ اِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا اَمُوْتُ وَاُخْرٰى اَبْتَغِي الْعَيْشَ اَكْدَحُ
اى تارةً اسعى في طلب العيش وادأب وتارة اكدح في حصول النعم
واموات - قيل والمراد بالانسان نوعه فانّ كل انسانٍ يكدح في معاشه
ويكدّ في حال صلاحه حتى يلاقي ربّه في حالة كان فيها - فيجب له ان
ينقلب الى الله تعالى في اصلح حاله وهو طلب مرضاة الله - وقيل انّ المراد به
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني انك يا محمد قد جهدت
غاية الجهد في تبليغ احكام الله تعالى وكدّ في سعي هدايتهم فجهدك
مقبول عندنا - فَمُلٰقِيْهِ - اى جزاء كدحك وتبليغك والضمير في
ملاقيه عائد الى الكدح وقيل يعود على قولك ربّك - قال ابو حيان
وهذا القول اَبعدُ - انتهى والصحيح عندي ان يراد بالانسان نوعه
والمعنى انك يا ايّها الانسان تلقى ربّك بعملك - وقيل فملاق كتاب
عملك - فَاَمَّا مَنْ اُوْتِيَ كِتٰبَهٗ - اى صحيفة عمله بِيَمِيْنِهٖ - وهم
المؤمنون - فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَّسِيْرًا - اراد بالحساب العرض
وليس فيه السؤال والجوابُ والمُنَاقَشَةُ والمعارَضَةُ - بل الله تعالى
ينظر في كتاب العبد ويتجاوز عن سيئاته او يسترها برحمته الواسعة
ثم يعطي ثواب حسناته ولو كانت يسيرةً فيغفره - روى عن عائشة
رضى الله عنها - قالتْ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليس احدٌ
يحاسَب الّا هلكَ فقلتُ اليس يقول الله فامّا من اوتي كتابه بيمينه
فسوف يحاسَبُ حسابا يسيرًا - قال ليس ذلك الحسابُ ولكن ذلك
العرض - ومن نوقش الحساب هلكَ - وَيَنْقَلِبُ اِلٰٓى اَهْلِهٖ - اى اهل العمل

الصالح و يراد بهم اهل الجنة او الى اهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوج والاولاد وقد ادخلهم الله في الجنة قبله - مَسْرُوْرًا - فرحًا بما اتاه الله من رحمته وفضله - وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتٰبَهٗ وَرَاءَ ظَهْرِهٖ - و ذلك لاستخفافه و اهانته - و قال قوم من المفسرين يحوّل وجهه الى قفاه - و قال الكلبي و ذلك لان يمينه مغلولة و يده اليسرى خلفه - و الله اعلم - فَسَوْفَ يَدْعُوْا ثُبُوْرًا - قال الزجاج اى هلاكًا وجاء بمعنى اللعنة قال ابن الاعرابي المثبور الملعون المطرود المعذب قال الكميت هو بمعنى الهلاك - ومنه قوله -

وَرَأَتْ قُضَاعَةُ فِي الْاَيَا مِنْ رَأْيَ مَثْبُوْرٍ وَثَابِرٍ

قيل فيقال لهم لا تدعوا اليوم الى الانسان ثبورًا واحدًا و ادعوا ثبورًا كثيرًا قال الفراء الثبور مصدر يوصف بالواحد و الكثير - و قال ابن عباس رض الثبور الويل - وَيَصْلٰى سَعِيْرًا - اى يدخلها و يقاسى حرّ نارها و شدّتها - قرأ ابو عمرو وحمزة وعاصم يَصْلٰى بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام - و قرأ الباقون بضم الياء و فتح اللام و تشديدها - وقرئ بضم الياء واسكان الصاد من اصلى يُصْلٰى - اِنَّهٗ كَانَ فِيْٓ اَهْلِهٖ - اى في عشيرته في الدنيا - مَسْرُوْرًا - سكرانًا بخمر الجهالة و الضلالة اِنَّهٗ ظَنَّ - اى علم - اَنْ لَّنْ يَّحُوْرَ - يقال حار يحور اى رجع يرجع و منه قول لبيد بن ربيعة -

وَمَا الْمَرْءُ اِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهٖ يَحُوْرُ رَمَادًا بَعْدَ اِذْ هُوَ سَاطِعٌ

و المعنى انه كان فرحًا منعمًا بماله بطرًا بثروته - ثم امر الله [illegible] لا يخطر بباله اهوال و باله و لا يتفكر بفواده عواقب افعاله و [illegible] عمله

فَلَمَّا لَوْ فتش فی حسابه یری انّ نعمته کانت بلاءً ومحنةً وشروته
عذاباً ونقمةً - وتیقّن انّه کان فی الخسران المبین - اِنَّ رَبَّهٗ کَانَ
بِهٖ بَصِیْرًا - ای کان بصیرًا بانّه یکفر ویدخل نار جهنّم خالدًا فیها
فَلَآ اُقْسِمُ بِالشَّفَقِ - قال الامام الرازی انّ المتکلّمین زعموا انّ
القسم واقعٌ بربّ الشفق - وهو ضعیف لانه یلزم منه انّه تعالٰی
یقسم بربّ الشفق - وهذا القول کما تری - ولا زائدةٌ قال الخلیل
الشفق هو الحمرة من غروب الشمس الی وقت العشاء الاخرة
قال الفرّاء سمعت بعض العرب یقول علیه ثوبٌ مصبوغ کانّه
الشفق وکان احمر والاوّل هو قول جمهور المفسرین - قال صاحب
الصحاح الشفق بقیة ضوء الشمس وحمرتها فی اوّل اللیل الی قریب
العتمة وهو قول ائمة اللغة - ذکر اصحاب الهیئة والنجوم الشفق
هو الحمرة التی تبدو عقیب انحطاط الشمس بعد الغروب وتوضیحه
انّه قد عُلِمَ بالتجربة انّ انحطاط الشمس من الارض عند طلوع الصبح
وآخر غروب الشفق یکون ثمانیة عشر جزأً من اجزاء فلك البروج
کما ذکر فی موضعه والحمرة التی توجد فی اوّل الشفق واخر
الصبح انّما هی لتکاثف الابخرة فی الافق وزیادة سمکها بالنسبة
الی الباصرة لانّ تلك الزیادة فی غلظ الابخرة بقدر ربع دور الارض
وهو من النّاظر الی الافق الشرقی فی الصبح ومن الناظر الی الافق الغربی
فی الشفق فیکون مجموعهما بقدر نصف دور الارض - وَالَّیْلِ
ای اقسم باللیل - وَمَا وَسَقَ - والوسق ما دخل فیه اللیل وما ضمّ
قال الفرّاء وما وسق ای وما جمع وضمّ قال ابو عبیدة وما وسق ای

وَمَا جمعَ من الجبال والبحار والاشجار كأنّه جمعها بان طلع عليها كلّها فاذا جلّل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها قال شمر واهل الغرب يسمّون الوسق الوقر ومنه قول ضابي ابن الحارث البرجمي -

فَإِنّي وَإِيَّاكُم وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُهُ

والليل اذا كان جامعًا للخير والشر فمجموعها وقر عليه كأنه حمل ذلك الوقر - وَالْقَمَرِ - واقسم بالقمر - إِذَا اتَّسَقَ - اى اجتمع نوره وتمّ وانّما يكون ذلك في ليلة اربع عشرة وقال ابن عباس رض اتسق القمر اذا تكامل واستدار وتمّ - لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ - قيل الطبق هو الغطاء وقيل الحال - اى غطاءً بعد غطاءٍ وحالًا بعد حالٍ وقرئ بفتح الباء على انّه خطابا للواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم - قال الشعبي ومجاهد لتركبنّ يا محمّد سماءً بعد سماءٍ وقيل درجةً بعد درجةٍ ليلة المعراج او مرتبةً عالية بعد مرتبةٍ او حالًا بعد حالٍ لانّ حالته امّا بشريّة وامّا ملكيّة وامّا حقيّة كما يدل عليها قوله تعالى وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى - وقرئ بضم الباء وعلى هذا يكون المراد بها احوال الانسان من كونه نطفةً ثمّ علقةً ثمّ مضغةً ثمّ حيًّا وميّتًا وغنيًّا او صعلوكا - وبالكسر خطابًا للنفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبق او حال من ضمير لتركبن اى مجاوزًا عن طبق او مجاوزين - فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ - بيوم البعث والجزاء وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْاٰنُ لَا يَسْجُدُوْنَ - اى اذا قرئ عليهم القراٰن يجب لهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانّهم كانوا

اصحاب الفصاحة و البلاغة يعرفون بنالة الكلام وجزالته فيميزون
بين المعجز وغيره فلابد لهم ان يعرفوا اعجازه و اذا عرفوا ذلك عرفوا
صحة نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و وجوب طاعة الله ورسوله
في جميع الاوامر والنواهي فبعيد منهم ان يكونوا بعد ذلك كافرين
واختلف في معنى السجود فقال ابن عباس و الحسن ان المراد به
الصلوة و ذلك لان الكفار كما هم مكلفون بالاصول كذلك مكلفون
بالفروع و اليه ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رح كما بين في
الاصول - و قال ابو مسلم الاصفهاني المراد بالسجود الاستكانة
و الخشوع و الخضوع - و هذا القول اولى من الاول - وقال آخرون
بل المراد هو السجود عند آيات مخصوصة - كما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم - قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه
من المومنين و قريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه
الاية - و به احتج الامام ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة
بل الذين كفروا يكذبون - بالقرآن لا سيما بما ذكر فيه من
يوم القيامة - واهوالها و لا يخضعون عند تلاوته و اعلم ان الكفار
و ان كانوا يعرفون الانبياء و الخلفاء بالدلائل الواضحة و البراهين
اللائحة الا انهم يكذبون بهم بوجوه اما الاول فلتقليد الاسلاف و اما
الثاني فانهم لو اظهروا الايمان لفاتتهم مناصب الدنيا و زخارفها
ومنافعها - اما الثالث فهو قد يكون للعادة الا انه روي ان ابا طالب
بن عبد المطلب انكر نبوته صلى الله عليه وسلم لهذا الوجه والله اعلم
بحال قلبه فهو عند الله مومن ام لا - اما الرابع فهو للاستكبار و الاختيار

كانكار ابي لهب و ابي جهل و اشباههما - وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يُوْعُوْنَ اى بما يسرون في قلوبهم من الكفر و النفاق و البغى و العناد من رسول الله صلى الله عليه و سلم - و هذه الاية تدل على ان الله جل شانه يعلم الجزئيات - يقال اوعيت الشئ اى جعلته في وعاء كما قال و جمع فاوعى - قرأ ابو رجاء من وعى يعى

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ - والتبشير بالعذاب استهزاء لهم و هو استعارة من التهديد و التخويف - اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَلَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ - قال صاحب الكشاف الاستثناء منقطع و قال بعضهم انه متصل و معناه

الا من تاب منهم و عمل عملا صالحا فله اجر

غير ممنون - و المن القطع - اى غير مقطوع

و قيل معناه غير محسوب و قيل معناه اي

لا يمن الله عليهم فاخرا او معتلما كما

يفعل بخلاء المنعمين و الاكثرون يقولون انه بمعنى القطع و

منه قول لبيد بن ربيعة

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شَلْوَهُ ... غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا

تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين - و الصلوة على نبيه

افضل الانبياء و المرسلين و على اله و

اصحابه الكاملين المكرمين

سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ - اختلفوا في تفسير البروج الاول هي البروج الاثنا عشر من دائرة فلك البروج - وهي ثلث مائة وستون درجة فكل برج منها يكون ثلثين درجة على ما ذكروا - والثاني هي منازل القمر وهي ثمانية والعشرون - والثالث هي عظام الكواكب وهو قول مجاهد والزجاج وانما سميت بروجا لان البرج معناه الظهور والارتفاع - والقول الاول ذهب اليه اكثر المفسرين - وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت - وسميت بابواب السماء لان الحوادث تخرج منها - وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ - والمراد به يوم القيامة لانه ميعاد فناء العالم واعادته وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ - وفي الشاهد اقوال الاول هو الجمع الذين يحضرون يوم القيامة وهو قول ابن عباس والثاني ان يكون الشاهد هو الله تعالى اذ قال تعالى شانه قُلْ اَيُّ شَيْءٍ اَكْبَرُ شَهَادَةً - قُلِ اللهُ والمشهود هو التوحيد - والثالث الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم - كما قال الله تعالى - فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَّجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰٓؤُلَآءِ شَهِيْدًا - وكما قال تعالى اِنَّا اَرْسَلْنٰكَ شَاهِدًا - والرابع قيل الشاهد الانبياء عليهم السلام بقوله تعالى اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيْدًا - والخامس هو الموجودات والمشهود

ھو اللہ تعالیٰ۔ والسادس الشاھد ھو الملک بقولہ تعالیٰ۔ وجاءت کل نفس معھا سائق و شھید۔ والمشھود علیہ ھم المکلفون ھذا ما ذکرہ الامام الرازی والسابع الشاھد ھو المومن الصالح والمشھود ھو العمل الصالح۔ والثامن قائل اھل الحقائق المراد بالشاھد من یری اللہ تعالیٰ والمشھود ھو اللہ تعالیٰ۔ التاسع المراد بالشاھد یوم العرفۃ وبالمشھود یوم النحر۔ والعاشر الشاھد ھو یوم الجمعۃ والمشھود یوم العرفۃ۔ الحادی عشر الشاھد ھو اللہ تعالیٰ والمشھود ھو یوم القیامۃ۔ والثانی عشر ھو عیسی علیہ السلام کما قال اللہ تعالیٰ۔ وَکُنْتُ عَلَیْھِمْ شَھِیْدًا۔ والثالث عشر الشاھد ھو المھدی الموعود علیہ الصلوۃ والسلام۔ کقولہ تعالیٰ ویتلوہ شاھد۔ والمشھود ھو اللہ تعالیٰ۔ قُتِلَ اَصْحٰبُ الْاُخْدُوْدِ النَّارِ۔

قصۃ اصحاب الاخدود

قیل ھو جواب القسم تقدیرہ واللہ لقد قتل قال الاخفش و قد تحذف اللام مثل۔ قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَکّٰھَا۔ اصلہ لقد افلح قال الکوفیون فی قولہ تعالیٰ۔ بَلْ عَجِبُوْا اَنْ جَاءَھُمْ مُنْذِرٌ تقدیرہ لقد عجبوا وکذا فی قول عامر بن الطفیل۔

وَ قَتِیْلِ مُرَّۃَ اَثْأَرَنَّ فَاِنَّہٗ فِرْغٌ وَاِنَّ اَخَاکُمُ لَمْ یُثْأَرِ

تقدیرہ لاثأرن۔ والفرغ الھدر۔ قال الزجاج ان جواب القسم قولہ تعالیٰ۔ اِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ لَشَدِیْدٌ۔ وھو قول المبرد وقال بعض النحویین ان جواب القسم۔ اِنَّ الَّذِیْنَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِیْنَ۔ وقولہ قتل اصحاب الاخدود۔ الخ۔ جملۃ معترضۃ۔ وقیل جوابہ محذوف وھو لتبعثن۔ قال ابو حیان ان جوابہ قتل وانا اختارہ وحذفت

اللام اى لِقُتِلَ - و القتل هو اللّعن - كما قال الله تعالى - قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ - و يكون الجواب دليلا على لعنة الله على من فعل ذٰلِكَ وَ طَرْدِهِ من رحمة الله تنبيهًا لكفار قريش - اَلَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على انّهم ملعونون بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين - ثم الاخدود من الخدّة وهى الحفرة قال الفرزدق

وَ بِهِنَّ نَدْفَعُ كَرْبَ كُلِّ مُثَوِّبٍ وَ تَرَىٰ لَهَا خَدًّا بِكُلِّ مَجَالِ

المثوّب الذى يدعو مستغيثا مرّةً بعد مرّةٍ والاخدود الحفرة الطويلة وجمعه اخاديد و منه قول الشاعر -

دَكِبْنَ مِنْ فَلْجٍ طَرِيْقًا اَقْحَمُ ضَاحِيَ الاَخَادِيْدِ اِذَا اللَّيْلُ اَدْهَمُ

وقصة اصحاب الاخدود اختلفوا فيها فقال اكثر المفسرين روى عن النبى صلى الله عليه و سلم انه كان لبعض الملوك ساحرٌ فلمّا كبر ضمّ اليه غلامًا ليعلمه السحر والكهانة و كان فى طريق الغلام راهبٌ فسمع منه - فرأى فى طريقه ذات يوم دابةً قد حبست الناس قيل كانت اسدًا فاخذ الغلام حجرًا فقال اللهم ان كان الراهب احبّ اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فالغلام بعد ذلك يصدر منه خوارق حتى انّه ابصر جليسُ الملك بعد كونه اعمى فسأله من ابصرك فقال ربى فغضب الملك فعذّبه فدلّ على الغلام فعذّبه فدلّ على الراهب فلم يرجع عن دينه فقدّ بالمنشار - و ابى الغلام ان يرجع فذهب به الى جبل ليطرح منه فدعا على القوم فهلكوا اجمعا و نجا فذهب الى قرقور فطاروا اليه و ارادوا ان يغرقوه فانكفأت بهم

السفينة فغرقوا ونجا۔ ثم قال للملك لست قاتلي حتى اخذت سهمًا
من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
فوقع في صدغه فمات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك
نزل بك ما كنت تحذر منه فامر باخاديد واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت۔ قال الامام الرازي
قال القفال ذكروا في قصة اصحاب الاخدود روايات مختلفة
وليس في شئ منها ما يصح الا انها متفقة في انهم قوم من المؤمنين
خالفوا قومهم او ملكا كافرا كان حكما عليهم فالقاهم في اخدود
وحفر۔ ثم قال واظن ان تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش
فذكر الله ذلك لاصحاب رسوله تنبيهًا لهم على ما يلزمهم من الصبر
على دينهم واحتمال المكاره فيه لقد كان مشركوا قريش يؤذون
المؤمنين على ما هو المشهور۔ انتهى۔ والنار بدل اشتمال من الاخدود
ذات الوقود۔ صفة للنار بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبا۔ واللام
في الوقود للجنس۔ والوقود الحطب ومعناه التوقد اذا كان مصدرًا
قال الازهري اعتبار المصدر احسن من ان يكون الوقود الحطب۔
وقرأ يعقوب ذات الوقود قال الليث الوقود ما ترى من لهبها
لانه اسم والوقود بضم الواو مصدر۔ اذ هم عليها۔ اي على
حافة النار۔ قعود۔ اي قاعدون۔ جمع قاعد كوقوف جمع واقف
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود۔ اي يشهد بعضهم لبعض
بانهم فعلوا ما عهم كما امرهم ولم يقصروا فيه او هم يشهدون

یوم القیامة حیث یشهد علیهم ایدیهم و السنتهم - وَمَا نَقَمُوْا مِنْهُمْ - قال ابن الاعرابی النَّقَمَةُ و النقمة بالفتح و الکسر العقوبة و منه قول علی ابن ابی طالب رضی الله عنه و کرّم الله وجهه -

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّیْ بَازِلُ عَامَیْنِ فَتِیٌّ سِنِّیْ

و قیل النقمة الکراهة عن الشیء مبالغةً و منه قول ابن قیس الرُّقیات

مَا نَقَمُوْا مِنْ بَنِیْ اُمَیَّةَ اِلَّا اَنَّهُمْ یَحْلُمُوْنَ اِنْ غَضِبُوْا

ای و ما کرهوا منهم - اِلَّآ اَنْ یُّؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ الْعَزِیْزِ الْحَمِیْدِ - قال ابن حیّان ای ما عابوا و لا انکروا الایمان کقوله هل تنقمون منّا الا ان اٰمنّا بالله - کمثل قول الشاعر -

وَلَا عَیْبَ فِیْهَا غَیْرُ شُکْلَةِ عَیْنِهَا کَذَاکَ عِتَاقُ الطَّیْرِ شُکْلًا عُیُوْنُهَا

انتهی و مثل قول النابغة -

وَلَا عَیْبَ فِیْهِمْ غَیْرَ اَنَّ سُیُوْفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ الْکَتَائِبِ

قیل و انّما اِلَّآ اَنْ یُّؤْمِنُوْا لانّ التعذیب انّما کان واقعًا علی الایمان فی المستقبل - و لو کفروا فی المستقبل لم یعذبوا فکانّه قال الا یدوموا علی ایمانهم انتهی ثم العزیز هو الغالب الذی لا یقهره احدٌ - قال الغزالی هو الخطیر الذی یقل وجود مثله و تشتدّ الحاجة الیه و یصعب الوصول الیه فما لم یجتمع علیه هذه المعانی الثلثة لم یطلق علیه اسم العزیز - اقول لو وجد مثله فلیلاً لکان مثل الباری تعالیٰ موجودًا و هو باطلٌ لقوله تعالیٰ - لیس کمثله شیءٌ - الحمید هو المحمود المثنیٰ علیه و الله تعالیٰ هو الحمید لحمده لنفسه ازلًا و لحمد عباده له ابدًا و یرجع هذا الی صفات الجلال

والعلو والکمال منسوبًا الی ذکر الذاکرین له فان الحمد هو ذکر اوصاف الکمال من حیث هو کمال ۔ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۔ وانما اخر کونه مالکًا لان المالك لا یکون الا من هو متصف بصفات کاملة فذکر اولا الصفتین الکاملتین الجامعتین لجمیع الصفات الکاملة فبعد ذکرهما ناسب ذکر کونه مالکًا فلذا اخرها وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ ۔ یعنی الله تعالی عالم لکل شیء فعل تلك الجبابرة القاهرون فی حق المؤمنین الذین قتلوا بظلمهم فاستشهدوا فی سبیل الله فیجازیهم بادخالهم النار ۔ اِنَّ الَّذِيْنَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوْبُوْا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيْقِ ای ذلك لکفرهم واحراقهم فی النار او هو حکم عام متناول لمن کان موصوفا بهذه الصفات الذمیمة ۔ والحریق فعیل وهو للمبالغة فی الاحراق فیکون المعنی هو العذاب فی الاحراق وقیل المراد بالذین فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحریق ما روی ان النار انقلبت فاحرقتهم کذا ذکره البیضاوی ۔ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيْرُ ۔ الفوز هو الظفر بالخیر فالذی فاز بالخیر یصغر فی عینه نعم الدنیا ورغائبها لانه یکشف علیه بعد فوزه ان متاع الدنیا وحطامها قلیل لا یکفی لصاحبها ولا یفی لمقاصده فکانها فی عینه اوهام ومخائل لیس لها وجود فی نفس الامر اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ البطش هو الاخذ بالعنف لَشَدِيْدٌ ۔ ای مضاعف لان البطش اذا یوصف بالشدة یتضاعف اخذه ۔ اِنَّهٗ هُوَ يُبْدِئُ ۔ بالخلق ۔ وَيُعِيْدُ کما بدأه لان الاعادة اسهل من الابتداء ۔ وَهُوَ الْغَفُوْرُ الْوَدُوْدُ

لمن اطاعه - واعلم ان الغفر هو الستر والمراد به ستر القبائح والذنوب فالغافر هو الذی اظهر الجمیل وستر القبیح لان من العباد من هو نظافة فی ظاهره وقذارة فی باطنه وذلک بسبب الذنوب الآثام فالله باعتبار کونه غافراً یستر قذارة باطنه فیتجاوز عن ذنوبه فی الآخرة - والغفّار مبالغة فی الغفران - ای یفعل المغفرة متکررة والغفور ینبئ عن جودته وکماله واحاطته بالغفران فهو عام من الغفار باعتبار الشمول والتناول - واذا کان من شانه ان یفعل المغفرة باعتبار جوده ورحمته لا یتوقف غفرانه علی توبة العبد وانابته مطلقاً کما قال الله تعالی - اِنَّ اللّٰهَ لَا یَغْفِرُ اَنْ یُّشْرَكَ بِهٖ وَ یَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ یَّشَآءُ - سواء کان تائباً ام لا - وقالت المعتزلة هو غفور للتائبین وانت تعلم ان عموم الغفران المفهوم من الآیة یرد مذهبهم - والودود هو من یحب الخیر لجمیع الخلق فیحسن الیهم ولا یستدعی اضطرار المحسن الیه واحتیاجه الی الاحسان بل یحسن لکمال جوده ولطفه - ذُو الْعَرْشِ - ای مالک العرش وقال بعضهم ذو الملک والسلطنة - والعرش لا یحد حقیقته ولا یعلمه الا الله الْمَجِیْدُ - قرأ الجمهور برفعه علی انه صفة لذو - والیه ذهب ابو عبید وابو حاتم - لان المجد هو النهایة فی الکریم فلا یلیق هذه الصفة الا بذاته عزّ اسمه - وقرئ بالکسر علی انه صفة للعرش - فَعَّالٌ لِّمَا یُرِیْدُ - ای یفعل فی غایة الکثرة - هَلْ اَتٰىكَ حَدِیْثُ الْجُنُوْدِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُوْدَ - وکل واحد منهما بدل من الجنود ای حدیث فرعون وثمود - والمراد بفرعون قومه وانما قدّم فرعون لکونه فی نهایة

الطغيان وانما ذكر فرعون وثمود لان قصتهما مشهورة فى العرب قال
ابو حيان الا ترى الى زهير ابن ابى سلمى وقوله -

الم تر ان الله اهلك تبعا ... واهلك لقمان بن عاد وعاديا
واهلك ذا القرنين من قبل ما نوى ... وفرعون جبارا طغى والنجاشيا

اقول قال بعض الشارحين لديوان زهير - ان القصيدة التى فيها هذان
البيتان ليست من زهير بن ابى سلمى كما ذكر الاعلم النحوى فى شرحه قال الاصمعى
هى ليست لزهير - ويقال هى لصرمة الانصارى ولا تشبه كلام زهير - والمعنى
قد اتاك حديث قوم فرعون وثمود وكان طغاة فى الكفر وعتاة فى الجحود وتماديهم
فى الظلم والضيم - فلما هلكوا لم ينفعهم مالهم واولادهم - فحال الذين
كذبوك مثل احوال المكذبين الاولين فلا يلبثون ان تجزى بتكذيبهم اياك
بل الذين كفروا فى تكذيب - اى انهم يكذبون - والله من ورائهم محيط
اى الله تعالى - قد احاط بهم فهم محصورون لا يستطيعون ان يدفعوا ما ينزل
عليهم من القهر والعذاب - بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ - رد و
ابطال لتكذيبهم واثبات لما هو حق عند الله - اى ليس الامر كما زعموا بل هو كتاب
مكرم بين الكتب الالهية ومجيد باعجازه فى نظمه واخباره بالمغيبات وغير ذلك من
محاسنه القدسية قرأ الجمهور ان قوله قرآن موصوف ومجيد صفته وقرأ ابن السميقع
بالاضافة - قال ابن خالويه سمعت ابن الانبارى يقول معناه بل هو قرآن رب مجيد كما
قال الشاعر: ولكن الغنى رب غفور: اى غنى رب غفور هذا ما ذكره ابوحيان
واللوح شئ لا يدرك حقيقته احد الا الله وقالت الصوفية هى النفس الكلية ومعنى المحفوظ
محفوظ عن التحريف والتصحيف - تم تفسير هذه السورة بعون الله الملك القادر المعتز بالقوة والصلوة على
نبيه خاتم الانبياء صاحب المقام المحمود وعلى آله واصحابه الذين هم ائمة اصحاب الكرم والجود

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ - وهو من طرق يطرق طروقاً اذا جاء ليلاً ثم استعمل في كل ما بدا في الليل قال الفرّاء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما اتاك ليلاً فهو طارق - وكذا قال المبرّد والزّجاج اختلف في هل هو نجم معين او جنس النجم - فقيل هو زحل - وقيل الثريا وذكر صاحب الصحاح هو كوكب الصبح - اقول ومنه قول هند بنت عتبة

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقِ ... لَا نَنْثَنِيْ لِوَامِقِ
نَمْشِيْ عَلَى النَّمَارِقِ ... الْمِسْكُ فِي الْمَفَارِقِ
وَاللّٰهُ فِي الْمَخَانِقِ ... اَنْ تُقْبِلُوْا نُعَانِقِ
اَوْ تُدْبِرُوْا نُفَارِقِ ... فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

اى ان ابا نا في الشرف والعلوّ كالنجم المضئ - وَمَآ اَدْرٰكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ - المضئ كانه يضيئ الظلام بضوئه - وهذا قول الفرّاء وقيل الثاقب زحل وقيل الثاقب هو الذى ارتفع على النجوم واختار بعضهم القول الاوّل وقال عبّر عنه اوّلا بوصف عامّ ثم فسّره بما يخصّه تفخيما لشانه وهذا ترجيح بلا مرجّح - اِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ - قرأ حفص في رواية عن عاصم اِنْ مخففة ولمّا مشدّدة وكذا قرأ حمزة والنخعي وقتادة وابن عامر وابو عمرو ونافع في رواية قال ابو على الفارسى وعلى هذه القراءة تكون ان نافية ولمّا بمعنى الا وذكر

فائدة: اختلف القراء والنحويين في قوله ان كل نفس لما عليها حافظ

ابن هشام فی المغنی ان لمّا تکون حرف استثناء فتدخل علی الجملة الاسمیة نحو قوله تعالی ان کل نفس الخ - و علی الماضی لفظا لا معنی نحو انشدک الله لما فعلت ای ما اسألک الا فعلک - قال الشاعر -

قَالَتْ لَهُ يَا ذَا الْبُرْدَيْنِ لَمَّا غَنَثْتَ نَفَسًا أَوِ اثْنَيْنِ

الغنث التنفس و قیل هی کنایة عن الجماع - قال الامام الرازی و روی عن الاخفش و الکسائی و ابی عبیدة انهم قالوا لم نوجد لمّا بمعنی الا فی کلام العرب - قال ابن عون قرأت عند ابن سیرین لما بالتشدید فانکره و قال سبحان الله سبحان الله - انتهی و ذکر الصحاح انها لا تجیئ بمعنی الا - اقول و قد ذکر صاحب اللسان و تکون بمعنی الا فی قولک سالتک لما فعلت بمعنی الا فعلت و کذا قوله تعالی - و ان کل نفس لما جمیع لدینا محضرون شددها عاصم و المعنی ما کل نفس الا جمیع لدینا - و قال الفراء لمّا اذا وضعت فی معنی الا فکانها لم ضمّت الیها ما فصارا جمیعا ان التی تکون جحدا فصارا جمیعا حرفا و خرجا من حد الجحد و کذلک لما قال ابو منصور و ممّا یدلّک علی ان لمّا تکون بمعنی الا مع ان التی تکون جحدا قول الله عز و جل ان کل لمّا کذب الرسل و هی قراءة قراء الامصار و قال الفراء و قراءة عبد الله ان کلهم کذب الرسل - قال و المعنی واحد - قال الکسائی و تکون بمعنی الا فی مکان تقول بالله لما قمت عنا بمعنی الا عنا و هو مذهب الکوفیین و هو لغة هذیل کما قال صاحب اللسان و العتبی و غیره کما اشار الیه ابو حیان و کذا قال الزجاج - انتهی ملخصا قال العلامة المغنی و فیه ردّ لقول الجوهری ان لمّا بمعنی الا غیر معروف فی اللغة - وقرأ جمهور

ان مخففة وكل مرفوع ولمّا خفيفة فهي عند البصريين مخفّفة من
الثقيلة وكلّ مبتدأ واللام هي الداخلة للفرق بين ان النّافية وإن
المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدأ وعليها متعلقٌ به قال ابو حيان
وحكى هارون انّه قرئ ان بالتشديد وكلّ منصوب فاللام هي الداخلة
في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر انّ وجواب القسم هو ما دخلت عليه
ان سواء كانت المخففة او المشدّدة والنافية لانّ كلّا منها يتلقى
به القسم فتلقّيه بالمشدّدة مشهور وبالمخففة تالله إنْ كدت لتردين
وبالنافية ولئن زالتا ان امسكهما - والمعنى ما من نفسٍ الّا عليها
حافظٌ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها ورزقها واجلها والمراد
بالحافظ هو الملك المسلّط على الانسان وقيل هو الله تعالى حقيقةً لانّ
الملك لا يحفظ الانسان الّا بحكمه فهو الحافظ الحقيقي على جميع اموره
وهذا هو الاصحّ - فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ - والمراد به الانسان المتولد الذي
مِمَّ خُلِقَ - اي من ايّ شيء خلق - خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ - قال الزجّاج معناه
ذو اندفاقٍ مثل دارعٍ بمعنى ذو درعٍ ونابلٍ معناه ذو نبلٍ وهذا قول
سيبويه والخليل وقال الفرّاء دافقٌ بمعنى مدفوق - لانّ اهل الحجاز
جعلوا الفاعل بمعنى المفعول وهو قول الاخفش - قال الازهري الدفق
في كلام العرب صبّ الماء وهو متعدٍّ يقال دفقتُ الكوزَ فاندفقَ
وهو مدفوق اي مصبوب والمراد بالماء ماء الرجل والمرأة - والانسان
متولّد منهما على الاكثر - هذا تنبيهٌ على ان الانسان يجب عليه أن
ينظر في بدو خلقه فانّ الله تعالى كيف يحفظه من المعاطب والمهالك
ولا يصيبه شيء من المصائب الّا ما قدّر الله عليه - قال الاطبّاء إنّ

ف: بيان الماء الدافق والبحث في العلقة المتعلقة واختلاف الحكماء والاطباء في هذه المسألة

النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وهي تنفصل عن الاعضاء ولذلك
يشابه اعضاء الولد باعضاء الوالدين - قال جالينوس وسائر الاطباء
ان لكل واحد من الذكر والانثى منيا والدليل عليه انه لو لم يكن
كذلك لكان خلقة الخصية والمجارى لها عبثا - ولما خلقت لها هذه
الاعضاء لا بد لها ان يفعل فعلا مناسبا كما هو حال سائر الاعضاء
والقوى وافعالها - فكذلك تفعل اعضائها المذكورة فعلا يتولد
منها المنى الا ان منيها ضعف الا انها ارق واشبه بدم الطمث ثم
الحكماء والاطباء اتفقوا على ان القوة العاقدة في منى الذكر
والمنعقدة في منى الانثى ثم اختلفوا في ان المنعقدة بل توجد
في منى الذكر ام لا والعاقدة هل توجد في منى الانثى ام لا فالحكماء انكروا ذلك والاطباء اثبتوه وقالوا
ان العاقدة في الذكر اقوى - واشد من عاقدة الانثى وكذا المنعقدة
في الانثى اقوى واشد من منعقدة الذكر - قالت الحكماء لو وجدت
القوتان في منى كان الشئ الواحد فاعلا ومنفعلا - وهو ليس بشئ
لان المراد من الشئ الواحد هو البسيط والمنى ليس بسيطا لانه خارج
من اعضاء مختلفة ولذلك يكون مبدأ للاشياء الكثيرة كالقوى
المتنوعة والاخلاط المختلفة فبهذا الاعتبار يجوز ان يكون فاعلا
ومنفعلا وذلك بجهتين مختلفتين - فلا استحالة فيه على اصولهم
ايضا - ثم استدل الحكماء على مذهبهم انه لو كان في منى واحد
قوتان لزم ان يكون احد المنيين كافيا في التوليد والتالى باطل
فالمقدم مثله - اما بيان بطلان تالى الشرطية بانه لا معنى للقوة
الفاعلة الا كونها موجد التغير في آخر من حيث اخر فاذا تلاقت

القوة الفاعلة المنفعلة من شخص واحد وجب ان یوجد فیهما التغیّر
لاکنه لم یوجد فیهما فلم یکن المنیّ الواحد مبدأً للفعل و الانفعال
و هذا خلف و بطلان التالی یلزم بطلان المقدم - اقول و هذا الاستدلال
ضعیف لانّ احد المنیین کما لا یکفی فی التولید کذلک التقاء القوتین
من ذکر و انثی و اجتماع منییهما لا یکفی لانعقاد الولد - لانّ کثیرًا
ما یُری التقائهما منهما من غیر ان ینعقد الولد فی الرحم و هذا امر
لا امتراء فیه عند مَن له قوّة مفرطة و شهوة شدیدة علی الجماع
بل من کان له ملکة فی هذا الامر اذا اراد التقاء المائین فعل و
لا استصعاب له فیه اصلًا و هذا امر لا یعرفه اکثر الناس - و لذلک
قال بعض الحکماء ان التقاهما لیست علة تامّة له بل هو شرط لانعقاده
فیکون المعنی انّ الله سبحانه متی اراد تکوین الولد لا یریده الا بعد
التقاء المائین - اقول و کل ذلک اذا کان الباری تعالی فاعلا موجبًا
اما اذا کان فاعلا مختارًا یجوز له تکوینه بغیر هذا الشرط علی طریق
خرق العادة کما خلق عیسی بن مریم علیهما الصلوٰة و السلام و اذا ثبت
ذلک یجوز لنا ان نقول انّ فی کل منهما قوتین فاعلتین و منفعلتین
و التولد الذی یکون علی طریق العادة یتوقّف علی التقاء مائین من
ذکر و انثی لاکن التولد الذی لا یکون علی طریق العادة یکفی فیه قوتان
من احدهما - و الیه مال جالینوس فی بعض اقواله - یَخْرُجُ مِنْۢ بَیْنِ
الصُّلْبِ وَ التَّرَآئِبِ - جمع تریبة و هی موضع القلادة من
الصدر قال امرؤ القیس -

مُهَفْهَفَةٌ بَیْضَآءُ غَیْرُ مُفَاضَةٍ تَرَآئِبُهَا مَصْقُوْلَةٌ کَالسَّجَنْجَلِ

هذا هو الذي ذهب اليه جمهور اهل اللغة - و قيل هي عظام الصدر وقيل ما بين الثديين والترقوتين قال الاغلب العجلي -

اشرف ثدياها على التريب   لم يعدوا التفليك في النتوب

التفليك إدارة الثدي كالفلكة - والنتوب النهود والارتفاع - وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان - وقيل الترائب اربع اضلاع من يمنة الصدر واربع من يسرته - قال سفيان وقتادة معناه من بين صلب الرجل وترائب المراة - قال الاطباء ان المني يتولد من جميع الاعضاء فلم خص الله سبحانه من بينها الصلب والترائب - قال الامام الرازي وجوابه لا شك ان لاعظم الاعضاء معونة في توليد المني وهو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامكم في كيفية تولد المني وكيفية تولد الاعضاء من المني محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله اولى بالقبول - انتهى - وهذه الاية تدل على تولد الانسان من النطفة وهو من اعظم الدلائل على وجود صانع العالم المختار وكمال قدرته وكذلك على اثبات الحشر والنشر لان اجزاء النطفة قبل تركيبها كانت بسائط منحلة فلما وقع التركيب فيها بمرء الصانع الحكيم وتفاوت عليها تقلبات كثيرة حدث بها صورة الانسان فكذلك اذا بلغ عمره الى نقطة النهاية يجوز ان يتحلل اجزاؤه بسبب تشتت تركيبه حتى تصير اجزاؤه كما كانت في البداية فيجوز ان ينضم الى بعضها الى هذه الاجزاء المتشتتة فيعيدها لتركيبها وتنظيمها ويتعلق بها

انسانا سويا كما كان قبل ذلك لان الاعادة ليست مستصعبة
من البداية فهذه الاية مع الاية السابقة مصححة لثبوت المعاد
في الحشر - والله اعلم - و لذلك قال الله سبحانه - إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ - الرجع من رجعت الشيء اذا رددته الى الحالة الاولى - قال مجاهد
و المراد بالرجع ان يرد الماء في الاحليل - و قال عكرمة و الضحاك
على ان يرد الماء في الصلب و روى عن الضحاك انه قادر على رد الانسان
ماء و قال مقاتل قادر على ان يرد الانسان من الكبر الى الشباب
و من الشباب الى الصبا - اقول وهذه الاقوال كلها ظنون واوهام
لا طائل تحتها فالصحيح ان المراد بالرجع هو الاعادة - قال ابو حيان
و روى عن ابن عباس و قتادة الضمير يرجع الى الانسان اى على رده
حيا بعد موته اى من نشأه اولا قادر على بعثه يوم القيامة انتهى
و يدل على صحة هذا القول قوله تعالى - يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ - الابتلاء
الاختبار اى تختبر السرائر - والسريرة كالسر يقال على عمل السر
من خير و شر - و منه بيت الاحوص -

سَيَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

و المراد بها ههنا الاعمال القبيحة - و معنى الاختبار ان الاعمال
التى يعمل عليها و يعتقد بانها وسيلة لنجاته و فلاحه و يعقل انه
يستحق الثواب بها فنظر يومئذ في تلك الاعمال لانه ربما تكون
ظاهرها حسنا و باطنها قبيحا كما يكون اعمال المرائين على هذه
الصفة فيكشف الله عنه حسناتها فاذا هي خلاف ما يتوهم يحزن
و ياسف على نفسه و هذا معنى الابتلاء و الاختبار - و هذا معنا ؟

تکشف لانّ الشئ وقت اختبارہ یکشف حالہ فالاختبار یکون سببًا لکشف احوال الاعمال - فاستعمل السببُ مقام المسبّب علی طریق المجاز - فَمَا لَهٗ مِنْ قُوَّةٍ وَّلَا نَاصِرٍ - ای لیس لہ قوۃ فی نفسہٖ علی دفع ما حلّ بہ من العذاب ولا ناصر ینصرہ فی الدفع عنہ - وھذہ الاٰیۃ من متمسکاتِ منکری الشفاعۃ - وجوابہ انّ شفاعۃ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم عندنا لاھل الکبائر - من الامّۃ المحمدیۃ فی اسقاط العذاب عنہم کما روی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم شفاعتی لاھل الکبائر من امّتی - وقال اللہ تعالی وتقدس تعلیما لنبیہ صلی اللہ علیہ وسلم واستغفر لذنبک وللمؤمنین والمومنات ولانتبھا فی جمیع الاوقات

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ - قال ابن عباس الرَّجْعُ السَّحَابُ فیہ المطر - وقال بعض اھل اللغۃ الرَّجْعُ المطر ومنہ قول الھذلی -

اَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رُسُوْبٌ اِذَا ۔۔۔ مَا ثَاخَ فِيْ مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِی

یصف سیفا ھو کماء المطر فی بیاضہ وصفائہ والرسوب الذی یرسب فی اللحم والمحتفلُ الاعظمُ موضع فی الجسد ویختلی یقطع وثاخ غاب وانّما سُمِّیَ بہ لانّہ یرجعُ مرّۃ بعد مرّۃٍ - وقال ثعلب لانّ السَّمَآءَ ترجعُ بالمطر سنۃً بعد سنۃٍ - وکذا قال الجبلانی - وقال الفرّاء تبتدی بالمطر ثم ترجع بہ کل عامٍ - قال ابو عبیدۃ الرّجعُ فی کلام العرب الماءُ وقال ابو الھثیم حاکیا عن الاسدی الرجع الرّعدُ - وقیل الملائکۃ لانّھم یرجعون الی السّمآء باعمال العباد - وقیل دورانہ من الموضع الذی یتحرک منہ فترجع الاحوال التی تتعلق بدورانھا وتنتظم امورُ اللیل والنّھارُ ومسیرُ الشمسُ والقمر والکواکب السیّارۃ من برج الی برج

و ترتیب الفصول و تنظیمها - و قال ابو حیان و قول الجمهور ان الرجع هو المطر - انتہی و هذا المعنی انسب لقوله - وَالْاَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ای ذات الانشقاق و مثله قوله تعالی فشققنا الارض شقا - قال ثعلب ای تنصدع الارض بالنبات و المعنی اقسم بالسماء التی هی ذات مطر وجود فتنصدع منه الارض و تخرج منها النبات و الاشجار و الخضروات فتنبع منها العیون و الانهار و تنبت به زروع و ارزاق للحیوان و الانسان - اِنَّهٗ - ای القرآن لَقَوْلٌ فَصْلٌ - ای قول مفصل للشرائع و الاحکام او قول یفصل الحق عن الباطل - و الفصل هو الحکم - وَمَا هُوَ ای القرآن - بِالْهَزْلِ - ای لیس فی باطنه هزل و لا فی ظاهره لهو - لان کلام الله کله فهو جد مملوّ بالحکمة و الموعظة یورث لقاریه عزا و وقارا و لسامعه خشیة و انکسارا - اِنَّهُمْ - ای کفار مکة - یَکِیْدُوْنَ ای یحتالون - کَیْدًا - احتیالا حین احتشدوا فی دار الندوة و تشاوروا فیما بینهم لاضرار رسول الله صلی الله علیه و سلم - و قال الزجاج یخاتلون النبی صلی الله علیه و سلم و یظهرون خلاف ما یسرونه - و قیل معناه یمکرون بالناس فی دعوتهم الی خلاف القرآن و یصد و نهم عن سبیل الله - وَاَکِیْدُ کَیْدًا - قال الزجاج کید الله لهم استدراجهم من حیث لا یعلمون - قال ابوبکر و کاد جاء بمعنی اراد و منه قول الافوه

فَاِنْ تَجْمَعْ اَوْتَادٌ وَاَعْمِدَةٌ وَسَاکِنٌ بَلَغُوْا الْاَمْرَ الَّذِیْ کَادُوْا

ای ارادوا - و قال فی معناه -

کَادَتْ وَکِدْتُ وَتِلْکَ خَیْرُ اِرَادَةٍ لَوْ کَانَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضٰی

قال معناه ارادت و اردت فیکون المعنی انهم یریدون اضراره

وانی ادید اضرارهم وهو عذاب الاخرة - وقیل معناه اجازی جزاء
کیدهم فانتقم منهم فی الدنیا بالخزی والخسران وفی الاخرة
بالنکال والنیران - فَمَهِّلِ الْكٰفِرِيْنَ - ای لا تستعجل فی دعاء تعذیبهم
وتنکیلهم - اَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا - ومثله قوله تعالی واملی لهم
ان کیدی متین - قیل وتکبیر رُوید رودٌ لضم الراء یقال فلان
یمشی علی رُود ای علی مهل قال الجموح الظفری -

تکاد لا تثلم البطحاء وطأتها کانها ثمل تمشی علی رُود

وقال ابو عبیدة تکبیره رودٌ بفتح الراء ومنه الارواد ومعناه الامهال
ولذلك قالوا رویدًا بدل من قولهم اِرْوادًا الذی بمعنی ارود
ای امهل فکانه تصغیر الترخیم بطرح جمیع الزوائد - قال ابن سیدة
وهذا مذهب سیبویه فی رُوید وفی هذه الکلمة ثلاثة اقوال -
احدها ان تکون اسماً للفعل وهو قول سیبویه قال وقالوا رویدًا
ای امهله ولذلك لم ینون ولم یجمع ولم یؤنث وثانیها قال
سیبویه وقد یکون رُوید صفةً فیقولون ساروا سیرًا رُویدًا
ویحذفون السیر فیقولون ساروا رویدًا یجعلونه حالاً له - -
قال الازهری ومن ذلك قول العرب ضعه رویدًا ای وضعاً رویدًا
وثالثها انها تجیئ مضافةً الی ما بعدها ....المصادر ...ضرب
الرقاب ومنه قول الشاعر

رُوَيْدَ بَنِيْ شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيْدِكُمْ تلاقوا غدًا خیلی علی سفوان

قال ابن عباس رضی الله عنهما معناه امهلهم امهالا رویدًا ای قریبًا
وقال قتادة قلیلا وعلی هذا تکون رویدا وصفا ....اذکر

فی القول الثانی - و قال صاحب الکشاف - ای امهلهم امهالاً یسیراً بسیراً - و کرر و غیر اللفظ الاول للتسکین و لنصبیر - و قال ابو حیان الاول مطلق و الثانی مقید - و قرئ و مهّلهم روید ا - و الله اعلم و علمه اکمل و اتم - تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله رب العالمین و الصلوة علی محمد رسول الله خاتم النبیین و علی اله الطّیّبین واصحابه الطاهرین

سورة الاعلی تسع عشرة ایة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى - ای نزّهه عن النقائص و العیوب قال ابن عباس صلّ باسم ربك العظیم - کما تقول ابدا باسم ربك العظیم - و انما قال ذلك لان التسبیح قد یکون بمعنی الصلوة و الذکر کما روی ان عمر رضی الله عنه جلد رجلین سبّحا بعد العصر ای صلّیا و منه قول الاعشی -

وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى ... وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا

یعنی الصلوة بالصباح و المسا و علیه فسر فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ - ای یامرهم الصلوة فی هذین الوقتین - و المشهور فی التسبیح هو التنزیه امر الله سبحانه لنبیه صلی الله علیه وسلم ان ینزهه تعالی عما لا یلیق بشانه فلا یجوز تسمیة الا بالاسماء

التي وردا لتوقيف بها فيجوز أن يقال انه كليم ولا يجوز أن يقال انّه ناطق فقس على هذا ثم التنزيه على اقسام الاوّل تنزيه ذاته تعالى عمّا لا يليق بها - فهو لا يحصل الا في مرتبة الاحدية لانّ الذات في هذه المرتبة منزّهة عن كل شأن واعتبار واسم وصفة فلا يطلق في هذه المرتبة انها باطنة او ظاهرة وسمّيت هذه المرتبة عند الصوفية مرتبة اللاتعين والثاني التنزيه باعتبار وحدانه عن اعتبار الكثرة وهي عبارة عن اتصافها بجميع الاسماء والصفات وهو التعيّن الاول عند اهل الحقائق - والثالث هو التنزيه باعتبار الوهيته تعالى وفي هذه المرتبة تنزه ذاته تعالى عن الصفات الاضافية كالخلق والتكوين مثلا وسميت هذه المرتبة بالواحدية والرابع هو التنزيه عن الصفات الامكانية كالجوهرية والعرضية والجسميّة وعن كون ذاته مكانية وزمانية وغيرها ومعناه ان يعتقد بان صفاته الحقيقية كلها ازلية ليست بمحدثة ولا متناهية ولما جمع اجمالي في المرتبة الالوهية والخامس هو التنزيه باعتبار الاسماء اى لا يطلق عليه تعالى اسم لم يرد في الشرع - بل يجب أن يتوقف على اسمائه التي نطق بها الشرع واختلفوا في انّ الاسم هل هو عين المسمّى والتسمية ام لا - قال بعضهم انّ الاسم هو المسمى ولاكنّه غير التسمية وقال بعضهم هو غيره ولاكنّه هو التسمية وقال بعضهم قد يكون عين المسمى كقولنا الله تعالى انه ذات وموجود وقد يكون غير المسمّى كقولنا انه خالق ورازق فانّهما يدلان على الخلق والرزق وكل واحد منهما غير ذاته وقد يكون لا هو

ولا غیرہ کقولنا انہ قادرٌ و عالمٌ فانھما ید لان علی قدرۃ و علم
و منشأ کل واحدٍ منھما ھو ذاتہ تعالیٰ - فالامر بالتسبیح یتعلق بالاسم
فالمسمّی عند من ذھب الی عینیتھما و یتعلق المسمّی عند من ذھب
الی غیریتھما - و یتعلق بھما من جھتین مختلفتین عند من ذھب الی انھا
لا ھی عینہ ولا ھی غیرہ و تفصیل ھذہ المسئلۃ [illegible] مرضی [illegible]
واما قولہ الاعلیٰ فمعناہ انہ الاعلی باعتبار [illegible]
من کل شئ لا باعتبار المکان کما ذھب الیہ المجسمۃ [illegible] کونہ
اعلی باعتبار الذات والصفات [illegible]
و کل ممکن فطرفاہ [illegible]
[illegible]
[illegible] ان یکون واجبًا لترجح جانب وجودہ [illegible]
محتاجا الیہ باعتبار [illegible] ذاتہ ولا [illegible]
[illegible] من المحتاج - و کذا [illegible] واجبہ [illegible]
الواجب تعالیٰ - [illegible]
قیام الحوادث بذاتہ تعالیٰ - [illegible]
و ھو باطل [illegible]
المجسمۃ انہ تعالیٰ علی [illegible] و ھو باطل [illegible] لانہ
لو کان اللہ تعالیٰ [illegible]
فی موضعہ و ھو باطل [illegible] و ھو بانہ اما ان یکون خلاءً محضًا ای
بعدًا مجردًا عن المادۃ او سطحًا باطنًا من الجسم الحاوی المماس
للسطح الظاھر من الجسم المحوی و کل واحد منھما باطل اما الاول فلانہ

لو وجد البعد مجرداً عن المادة لكان له غناء من كل وجه فلا يجوز
ان يكون محلاً لشئ اذ لو كان محلاً لبطل غناءه وبينا في تجرده فبطل ان
يكون المكان بعداً مجرداً - واما الثاني فهو ظاهر البطلان بالنسبة
الله تعالى - لانه يلزم به جسميته وكونه في جهة وزمان - قال الامام
الرازي ان المكان بهذا المعنى اما ان يكون متناهياً واما ان يكون
غير متناه فعلى الاول ان يكون فوقه متعالياً من الباري تعالى - فلا
يكون الاعلى من كل شئ من المكان - وعلى الثاني فالقول ببعد
غير متناه محال - اما الثالث فان معنى قولهم انه تعالى اعلى باعتبار
المكان هو ان مكانه اعلى من جميع الاماكن وهذا القول يستلزم
ان يكون له مكان فيلزم كونه مكانياً وهو باطل لانه لو كان مكانياً
لكان محتاجاً الى المكان لان المتمكن يستحيل ان يوجد بدونه فيلزم
ان يكون الباري ممكناً وهو باطل - والرابع لو كان مكانياً فهو اما
ان يتمكن في بعض احياز المكان او يتمكن في جميعه وكلاهما باطل
اما الاول فلتساوي الاحياز في انفسها فلو حصل في بعضها دون بعض
لزم الترجيح بلا مرجح - وهو باطل ولو حصل في جميع الاحياز يلزم
تداخل المتحيزات لان بعضها مشغول بالاجسام سوى الواجب تعالى
وتداخل المتحيزات باطل وايضاً يلزم مخالطة الواجب تعالى بالقاذورات
تعالى الله عنه فثبت ان الواجب تعالى ليس له مكان روى انه لما نزل
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى - قال اجعلوها
في سجودكم - وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي

السجود اللهم لك سجدت ثم الاعلى يجوز ان يكون صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون منصوبا - الَّذِي خَلَقَ فَسَوّٰى - صفة اخرى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدٰى - اى خلق الموجودات فسوّاها والمراد بالتسوية ان الله تعالى اوجدها على حسب ما يقتضيه علمه وارادته ولم يترك شيئا من نظامها واتقانها فسوّاها على شان منتظم ونهج بديع وقدّر احوالها فهدى اليها - قال الفرّاء اى قدّر فهدى واضلّ - اى قدّر منافع كل مخلوق ومضارّه ثم هداه الى اكتساب تلك المنافع والاجتناب عن تلك المضرات - قرأ الجمهور قدّر مشدّدةً والكسائى مخفّفةً - فعلى الاول يكون المعنى انه تعالى قدّر كل شئ على مقدار معلوم فهداه اليه - وعلى الثانى يكون معنى قَدَرَ ملك والملك يلزمه التصرف فيكون المعنى تصرف فيه على ما شاء فهداه الى منافعه ومصالحه وهذا المعنى يتناول كل مخلوق - وقال الزجاج خلق الانسان مستويا اى معتدلا فى كل خلق وقوة - كما قال الله تعالى اَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوّٰاكَ فَعَدَلَكَ - فالمراد بالتسوية انه جعل قامته مستوية معتدلة واعطاه حسنا وجمالا صورة ومعنى فحسن الصورى تناسب اعضائه وتناسق اجزائه والحسن المعنوى تزيينه بالعقل والشعور والقدرة والارادة فبهذه الفضائل الجليلة والاوصاف الجميلة حصل له الكرامة والفضيلة على كثير من المخلوقات ولذلك قال كرّمنا بنى ادم على كثير ممن خلقنا واعلم ان هذه الاية مع الايجاز تتناول كثيرا من الفوائد - قال الامام الرازى وتفصيل هذه الاية مما لا يفى بشرحه المجلدات - وَالَّذِيْٓ اَخْرَجَ الْمَرْعٰى فَجَعَلَهٗ

غُثَاءً اَحْوٰى - قال الفرّاء اذا صار النَّبتُ يَبَسًا فهو غثاءٌ والاصل فيه انّ الغُثَاءَ بالضمّ والمدّ ما يحمله السَّيلُ من القَمَشِ وكذلك الغثاءُ وهو ايضا الزَّبَدُ والقَذَرُ [illegible] الاشياء وقال [illegible] الهالك البالى من وَرَقِ الشجر الذي اذا خرج السَّيلُ رأيته مخالطا زبده - ومنه قول امرئ القيس

كَانَ ذُرٰى رَاسِ المُجَيمِرِ غُدْوَةً   مِنَ السَّيلِ وَالغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ

واَحوٰى من الحُوّة ومعناها سواد الى الخضرة - وقيل حمرة الى السواد وهذا قول الاصمعي - ومنه قول ذى الرمة -

لَمْيَاءُ فِى شَفَتَيهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ   وَفِى اللِّثَاتِ وَفِى اَنْيَابِهَا شَنَبُ

وقال زهير بن ابى سلمى -

فَقَالَ [illegible] بِقَفْرَةٍ   يُسْتَأنَسُ [illegible] حُوٌّ مَسَائِلُه

اى نبات [illegible] - والاستئناس ما طال من النبات والقريان مجاري الماء الى الرياض - والمعنى انه تعالى اخرج المرعى في النضارة والخضرة ثم جعله غثاء [illegible] اسود من العتق والقدم - ثم يفنيه ثم يخرج [illegible] العالم وهذا ادل واوضح على اعادة [illegible] ابن عباس والمعنى اى اسود لان الغثاء - [illegible] - [illegible] [illegible] من المرعى [illegible] الى النالى صفة [illegible] - سَنُقْرِئُكَ - قال المفسرون انّ الامر [illegible] لا يخرج الا بالقراءة فنسخ الله [illegible] ان القراءة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف

في نفسه حين ينزل عليه القرآن من نسيانه وكان يعجل
في القراءة كما يلوح لك من قوله تعالى - لا تحرك به لسانك لتعجل
به - وأنزل الله سبحانه هذه الآية تبشيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى انك يا محمد لا تعجل بالقراءة فانا سنقرئك ما نوحي اليك
بعد قراءة جبريل عليك او نجعلك قارئا بالهام فلا تنسى قط وما
كان النسيان صفة رديئة نفاها الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم
وقال - فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ - قال الإمام الرازي - قال الكلبي
انه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية قط - وقال ان هذا
الاستثناء غير حاصل وذكر انه قال الفراء انه تعالى ما شاء أن
ينسى محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر
هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يجعله ناسيا لقدر على
ذلك كما قال وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثم انا
نقطع بانه تعالى ما شاء ذلك - وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك
البتة - وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى عرفه قدرته
حتى يعلم ان عدم النسيان من فضله واحسانه لا من قوته [illegible]
[illegible] قال الله تعالى - وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ - [illegible]
[illegible] لا يجوز نسيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] وقال [illegible]
[illegible] كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء
[illegible] وهو من استعمال [illegible]

انتهی وهذا قول جماعة من النحویین - وقال بعضهم ان لا للنہی والالف فیه للفاصلة - قال ابو حیان وهذا القول ضعیف - اقول ومثل هذا موجود فی القرآن - کما قال الله تعالی - فاضلونا السبیلا وهذه قراءة عاصم وحفص - فما قال ابو حیان باطل - قال البیضاوی وقیل المرادُ به القِلّةُ والندرةُ لما روی انه علیه الصلوٰة والسلام اسقط آیةً فی قراءته فی الصلوٰة فحسبَ اُبَیٌّ رض انها نُسِخَتْ فسأله فقال نسیتُها - انتهی قال الزّجاج الا ما شاء الله ان یَنْسَی فانه یَنْسَی ثم یتذکّر بعد ذلک فلا یَنْسَی نسیانًا کلّیًا دائمًا - اِنَّهٗ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا یَخْفٰی - ای ما ظهر من احوالکم وَمَا بطنَ - والمراد انّه یعلم ما تجهر بالقراءة مع جبریل من خوف التفلّت وما تقرأ فی نفسک ویعلم الذی یعتریک انه مخافة ان تنسی الذی انزله الله الیک - فمن هو موصوف بهذه الصفة قادرٌ علی حفظه فی نفسک - وهذه الآیة تدل دلالة باهرة علی انه تعالی عالم بالجزئیات سواء کانت متشخصةً فی الخارج او فی الذهن وذلک لانها معلولة له تعالی - وان کانت معلولیتها بالواسطة کما ذهب الیه الفلاسفة - وَنُیَسِّرُکَ لِلْیُسْرٰی - حکی عن سیبویه یسّرہ ای وسّع علیه وسهّل والتیسیر یکون فی الخیر والشر فتیسّرک للیسری - فهو فی الخیر - وقیل التیسیر التوفیق ای وفقه للخیر - وقال الفرّاء التیسیر العود الی العمل الصالح - قال وان قال قائل کیف کان تیسّر للعسری - وهل فی العسری تیسیر - اقول هذا کقوله تعالی وَبَشِّرِ الَّذِیْنَ کَفَرُوْا بِعَذَابٍ فالبشارة فی الاصل الفرح فاذا اجتمعت فی کلامین احدهما خیر والآخر شرّ جاز التیسیر فیهما والمبشّر لیسّر

قال ابن سیدہ ہذا قول اہل اللغۃ - قال سیبویہ الیسریٰ من المصادر التی جاءت علی لفظ مفعول و نظیرہ المعسور - و قیل معناہ نوفقک للطریقۃ التی ہی الیسر و اسہل فی حفظ الوحی - و قیل للشریعۃ الحنیفیۃ السہلۃ - و ہو عطف علی قولہ - سنقرئک و قولہ انہ یعلم الجہر فجملۃ معترضۃ - فذکر - بعد ما استتب لک الامر - ان نفعت الذکری ہذہ الشرطیۃ انما جاءت بعد تکریر التذکیر و حصول الیاس عن البعض لئلا یتعب نفسہ و یتلہف علیہم کقولہ تعالی - و ما انت علیہم بجبار - و لذم التاصحین - و استبعاد تاثیر الذکری فیہم او للاشعار بان التذکیر انما یجب اذا امکن نفعہ و لذلک امر بالاعراض عمن تولی - و ذلک ان رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیہ وسلم کان شانہ اراءۃ الطریق و المراد بہ تبلیغ ما انزل اللّٰہ علیہ فلما بلغہم الاحکام المنزلۃ و اہداہم الی الجادۃ السویۃ زاد فیہم العتو و الاستکبار فحینئذ لا ینفعہم ہدایتک و لا یفید ہم رشادتک و مع ذلک ان ترج ہدایتک فیہم - فذکر ان نفعت الذکری و قال قطرب و ہو من تلامیذ سیبویہ ان ان بمعنی قد ای فذکر قد نفعت الذکری اذ بہ یحصل ایمان کثیر من الخلائق فلا یجوز لک ان تقتصر علی ایمان من امن اذ النبی مامور بالتذکیر مطلقا و علی ہذا الرأی یکون المعنی عظ یا محمد نفعت ذکراک او لم تنفع سیذکر من یخشی - من عذاب اللّٰہ فی الیوم الاخر فانہ یطیعک بذکراک - و یتجنبہا - ای الذکری - الاشقی الذی یصلی النار الکبری - ای فی الطبقۃ الہائلۃ من النار - قال علیہ

الصلوٰة والسلام هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم - ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا - فيستريح - وَلَا يَحْيَىٰ - حياة تنفعه - قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ - اي من تطهر من الكفر وتمكن من التقوى - فنال الفوز والفلاح - وقيل المراد بالتزكي صدقة الفطر والزكوٰة وقيل المراد بالتزكي هو التطهر عن الشرك - وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ - قيل اي صلى صلاة عيد الفطر - هذه الآيات تدل على وجوب صلوٰة عيد الفطر وصدقة لان الفلاح معلق على ادائهما - والمراد بالذكر تكبيرات صلوٰة العيد - ويحتمل ان يقال ان الفلاح موقوف على حصول طهارة القلب عن الشرك وذكر الله والصلوٰة ومتى اجتمع هذه الاشياء حصل الفلاح بَلْ تُؤْثِرُونَ - يا ايها الكفرة - الْحَيَاةَ الدُّنْيَا - على الآخرة مع ان الدنيا فانية - وحبها راس كل خطيئة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - اَلدُّنْيَا جِيفَةٌ وَطَالِبُهَا كِلَابٌ - فالذين يحبونها ويستأثرونها فهم في سكر الكلاب ليس لهم حظ من العقل والشعور ثم محرومون من نعيم الآخرة - ولذلك امر الامام المهدي الموعود عليه الصلوٰة والسلام برفض الدنيا ومتاعها فمن تركها وودعها وباشر في التعب الكدح فقد اجتلب النعمة الابدية وبقي في وصل الله ورحمه الله سبحانه وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ - فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل - فلا انقطاع له - إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ - اي ذكر البعث والدين وقيل قوله تعالى - قد افلح من تزكى الخ - صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ - بدل من الصحف الاولى - تم تفسير هذه السورة بحمد الله رب العالمين - والصلوٰة على رسوله سيد المرسلين وعلى آله واصحابه الكاملين

سورة الغاشیة ست وعشرون آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

قال الله تعالی - هَلْ اَتٰکَ حَدِیْثُ الْغَاشِیَةِ - قال بعضهم الغاشیة یوم القیامة لانه یغشی الجن والانس بالاهوال والشدائد - وانما ابتدأ خبرها بالاستفهام - لان القیامة وان اعلمها الله رسوله علیه الصلوة والسلام لکن احوالها التفصیلیة واهوالها المحرقة کانت مخفیة علیه فذکرها فی هذه السورة وفی مواضع شتی من القران لاطلاع رسوله وامته و قیل هل بمعنی قد وقد ذکر بحثه سابقا - وُجُوْهٌ یَّوْمَئِذٍ - ای یوم القیامة - خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ شرح فی اوصاف الاشقیاء بان لهم ثلاث صفات الاولی الخشوع والمراد به الذلة والصغار - والثانیة العمل والمراد به العمل الجسمانی بجر السلاسل والاغلال الثقیلة - والخوض معها فی النار والصعود فی تلالها وعقباتها - والثالثة نصبهم فی غایة التعب وقیل معنی الآیة انهم یخشعون بهول العذاب ویعملون فی النار ما یعذبهم وقیل ان المراد بهؤلاء هم العباد من الیهود والنصاری وعبدة الاوثان والمجوس والمعنی انها خشعت لله تعالی وعملت الاعمال الصالحة ونصبت فیها الصوم الدائب والتهجد الواصب الا انهم لم یوحدوا الله تعالی بل اشرکوا فیه ولم یعبدوا الله تعالی بل عبدوا ما وسوست الیه اهواؤهم الزائغة فجعلوا له اندادا فلاجرم ان لا ینفعهم تلک

العبادات الشاقة تَصْلٰى نَارًا حَامِيَةً - قرأ ابو عمرو ویعقوب وابوبکر تُصْلٰى من اصلاه الله - و قرأ بالتشدید مبالغة ای تدخل نارًا متوقدة متناهیة فی الحر والاحراق یقال حمیت النار حمیًا اذا اشتد حرها - تُسْقٰى مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ - یقال انی الماء اذا اسخن وبلغ فی الحرارة و یقال انی الحمیم ای انتهی حره فیکون معنی عین آنیة متناهیة فی شدة الحر ای یسقون من عین - لها فی الحر نهایة - لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ اِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ - الضریع نبات اخضر منتن خفیف یرمی به البحر وله جوف وقیل هو یبیس العرفج وقیل ما دام رطبًا فهو ضریع واذا یبس فهو الشبرق وهو مرعی سوء لا تعقد علیه السائمة ولا تزداد فیها شحمًا ولا لحمًا قال الفراء الضریع نبت یقال له الشبرق واهل الحجاز تسمونه الضریع اذا یبس - وقال ابن الاعرابی الضریع نحو الشبرق الرطب فاذا جف فهو عوسج فاذا دج موقًا فهو الخریز وذهب بعض اهل اللغة الی انه النبت الخبیث قال قیس بن عیزارة الهذلی

بدت الانف وسوء مرعاها -

وحبسن فی هزم الضریع فکلها حدباء دامیة الیدین حرود

ونحو ذلک انه لا تکاد تلذ بشدة الهزال - وقال بعض المفسرین الضریع طعام اهل النار وهذا لا تعرفه العرب - لَا يُسْمِنُ - ای لا یزید ذلک الضریع السمن بل یولد الهزال فی البدن - وَلَا يُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ ای لا یسد اکله الجوع و قال اهل التفسیر ان الکفار قالوا ان الضریع لتسمن علیه ابلنا فقال الله تعالی لا یسمن ولا یغنی من جوع وقیل المراد بالجوع اضطرارهم عند اضطرام النار فی اکبادهم واحتشائهم

في يحتاجون بل يضطربون الى شئ يطفي هذه النار والصحيح ان الحمل على الحقيقة اولى - واعلم ان الله تعالى شرع بعد احوال الاشرار احوال الاخيار فقال وُجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ - اى يوم تغشى الناس اهوال القيامة - نَّاعِمَةٌ - اى ذات بهجة وبهاء من نضارة النعيم كما قال الله سبحانه تعالى - تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ لفضل الله تعالى ولطفه - ومنه قول زهير -

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوْبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ

لِّسَعْيِهَا - اى لسعيهم في الدنيا وهو تزكية انفسهم وتصفيتها بالمجاهدات النفسانية والرياضات المتعبة في الاعمال الصالحة - رَاضِيَةٌ في الاخرة لتوفير ثواب اعمالهم وحسن جزائهم - فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ باعتبار الشرف اى باعتبار المكان لان في الجنة درجات بعضها فوق بعض لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً - قرأ الجمهور بفتح الفوقانية - ونصب لاغية وقرأ نافع لا تُسْمَعُ على البناء للمفعول ورفع لاغية واللغو الكلام الساقط قال الفراء والاخفش لا تسمع فيها كلمة لغو - وقال مجاهد هو الشتم - وقال الفراء ايضا واراد باللغو الكذب اى لا تسمع فيها حالفا يحلف بكذب - قال المفسرون ان كلام اهل الجنة ذكر وثناء على الله تعالى على ما رزقهم بالنعيم الابدي ولا ينكلمون بكلام ليس فيها حكمة ومصلحة - قال ابن عباس لا تسمع فيها اذى ولا باطلا - فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ - اى فيها عيون كثيرة لان تنكير العين يدل على الكثرة - واطلاقها للذهاب الوهم الى كل شئ من المياه واللبن والشراب - فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ - اي عالية

مرتفعة السمك حتى يبلغ الجالس بها في اي مكان يشاء - وَأَكْوَابٌ جمع كوبٍ وهو الكوز قال الفراء الكوب الكوز المستدير الراس لا اذن له قال عدي بن زيد -

مُتَّكِئًا تَصْفِقُ اَبْوَابُهُ يَسْعٰى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

وقال اٰخر

يَصُبُّ اَكْوَابًا عَلٰى اَكْوَابٍ تَدَفَّقَتْ مِنْ مَّائِهَا الْجَوَابِيْ

مَوْضُوْعَةٌ - على ما فات العيون في غاية النظام ليست كبيرة ولا صغيرة بل هي متوسطة بينهما - وَنَمَارِقُ - النمرق والنمرقة والنمرقة بالضم والكسر الوسادة وقيل وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التي هي فوق الرحل والجمع نمارق قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي

اِذَا بِسَاطُ اللَّهْوِ مُدَّ وَقُرِّبَتْ لِلَذَّاتِهِ اَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ

وقال الفراء هي الوسائد واحدها نمرقة بضم النون وكسرها ومنه قول زهير

كُهُوْلًا وَشُبَّانًا حِسَانًا وُجُوْهُهُمْ عَلٰى سُرُرٍ مَصْفُوْفَةٍ وَنَمَارِقُ

وفي حديث هند زوج ابي سفيان -

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِيْ عَلَى النَّمَارِقِ

مَصْفُوْفَةٌ - بعضها مع بعض - اينما يريد الجالس يجلس على وسادة ويستند الى الاخرى - وَزَرَابِيُّ - وهي جمع زربية ويراد بها كل ما بسط واتكئ عليه - وقيل هي الطنافس - وقال الزجاج الزرابي البسط - وقال الفراء هي الطنافس لها خمل رقيق وروي عن المؤرج ان زرابي النبت اذا اصفر واحمر وفيه خضرة - وقال ازرت فلما

را وأ الا لو ان فى البسط الفرش شبهوها بزرابى النبت وكذلك
العبقرى من الثياب والفروش مبثوثة - اى مبسوطة كل منزل
تام بان فى غاية الحسن والبهاء - واعلم ان هذه الآيات تمثيل
وتشبيه للاشياء التى وجدت فى الدنيا وطبائع المخاطبين مستانسة
بها لان التحريص لاحد لا يكون الا فى شئ يراه ويميل اليه ولا يمكن له
ان يحصله وكذلك المخاطبون كانوا يرون هذه الاشياء فى قصور
السلاطين والامراء ويتمنونها ولا يحصلونها فبقوا فى لواعج اشتياقها
مضطربين - وكذلك الاحاديث الصحيحة التى ثبتت بها نعم الجنة ونضرتها
من هذا القبيل - والحق ان النعيم الابدى الذى اعد الله للمؤمنين
شئ فوق المخائل والخطرات بل لا يعقله العقول - افلا ينظرون
الاستفهام للتفريع والتوبيخ والمراد به المنكرون لقدرته التامة فى ايجاد
المخلوقات التى تنطوى بعجائب الحالات وغرائب الصفات والنظر
هو التامل فى الشئ لادراك ما فيه من خواصه - من المنافع والمضار
فمن تامل فى مخلوقه وتفكر فى ملكه وملكوته رأى عجائب قدرته
وبدائع حكمته على حسب فهمه وادراك عقله - الى الابل كيف خلقت
الجملة فى محل الجر لانها بدل اشتمال من قوله الى الابل - ق اختلف
فى معنى الابل - قال المبرد الابل فى هذه الآية هى القطع العظيمة
من السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تاتى ارسالا كالابل
وتزجى كما تزجى الابل وهى فى هيئتها احيانا تشبه الابل وروى عن ابى عمرو
وابى جعفر والكسائى وقالوا انها السحاب رووا ذلك عن قوم من اهل
اللغة - قال صاحب الكشاف وانما رأى المبرد السحاب مشبها بالابل

أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
[illegible]

لانه كان كثيرًا في اشعارهم فجوّز ان يراد بها السحاب على طريقة التشبيه والمجاز انتهى - اقول والذي ذهب اليه ابوالعباس المبرّد بان المراد بالابل السّحاب مناسب لقوله تعالى الّذي بعده وهو الى السّمآء كيف رفعت - لانّ بينهما ارتباطًا وتناسبًا باعتبار كونهما في جهة العلو وليس ذلك التناسب اذا اريد بها الجمال - والغرابة الكائنة في تكوّن السحاب وفوائد خلقه ظاهرة لاخفاء فيها اذ لولا خلق الله السحاب لبطل المخلوق الذي له الماء كالغذاء لابل كالروح كالنبات والنجم والشجر والزرع والحرث وفي عالم النبات ففي عالم الحيوان والانسان - وقال اكثر المفسرين المراد بالابل الحيوان المخصوص الذي يحبّه العرب فانهم وذكر انهم شبابهم وكهولهم - وفوائده غير خفيّة - قال الامام الرازيّ الاولى منها ان الابل من الحيوانات التي يوكل لحمها - والثانية انّ لبنها قابلة للشرب والثالثة انّها طائعة للركوب في الحروب والاسفار والرابعة انها موضوعة لحمل الاثقال والاوقار والخامسة انّها تصبر عن العطش على خلاف اكثر الحيوانات والسادسة انّها تاكل من العلوفات التي لاتاكلها كثير منها - والسابعة انّها يهدي الضالّين الى الطريق والثامنة انّها منقادة للراكب واذ كان اضعف كالصّبي فانّه يقدر على ان يجرّها بخطامها من حيث يشاء - روي عن بعض الحكماء انّه حدّث عن البعير وقد نشأ في بلاد لاابل فيها فتأمّل وقال لابدّ ان تكون طوال الاعناق فهذه الصفات الكثيرة النّافعة لاتوجد في كثير من الحيوانات - ثم الابل امّا ان تكون حلوبة او ركوبة

او نوق اضحا او حمولة - وهذه الخلال الاربع توجد فيها ولا توجد
في غيرها فهي انفع الحيوانات بهذه الوجوه وهي اسم جمع لا واحد لها
وحكى سيبويه ابلان قال لان ابلا اسم لم يكسر عليه وانما يريدون
قطيعين - قال ابو الحسن انما ذهب سيبويه الى الايناس بتثنية
الاسماء الدالة على الجمع فهو يوجهها الى لفظ الاحاد ولذلك قال
انما يريدون قطيعين - واقل ما يقع عليه اسم الابل الصرمة
وهي التي جاوزت الذود الى الثلاثين ثم الهجمة اولها الاربعون
الى ما زادت ثم هنيدة وهي مائة من الابل - وَاِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ - اي رفعا بعيدا بلا امساك وعمد وما فيهما من عجائب
الملك والملكوت التي يتحير بها ناظرها - ولا يدرك ما فيهما من بدائع
صنعه وحكمته ومناظر غرائب خلقه وقدرته سوى ان يعترف بجلال
كماله وعظمته وهكذا في كل سماء من السموات من العجائب
والفوائد التي لا يحصرها عقول العقلاء كفوائد الشمس مثلا فانها
ينبوع الحرارة والضياء ومبدا حياة النباتات والحيوانات وبها يظهر
النهار حين ما تقع اشعتها على نصف كرة العالم - ويرخي الليل سدوله
حين ما تغيب تلك الاشعة والاضواء عنها - ويحصل من سيرها في المدار
المعتدلة الفصول الاربعة اعني الربيع والصيف والخريف والشتاء
وغيرها من الفوائد الشاملة والمنافع العامة التي لا نعلم اكثرها.
وكذلك كل كوكب من الكواكب له فعل خاص ينتفع به اهل الارض
كما بين في الطبعي والنجوم - ولا نريد بهذا البيان ان هذه الاجرام
العلوية تفعل افعالا مستقلة بانفسها لان هذا القول شرك محض وكفر

بحثٌ بل نرید بها انّها الاٰت تصدرُ منها صنائعُ قدرة الله وحکمته علی ما یشاء مشیئتهٗ و ارادته لانّ جمیع الممکنات مستندةٌ الیه باعتبار مدبّراته الذین هم الملٰئکة و هذه الاشیاء الاٰتهم بها تصدر الافعال باعتبار الظاهر۔ و الیه اشار الله سبحانه فالمدبّرات امرًا۔ وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۔ ای نصبًا ثابتًا فهی راسخةٌ لا تمیل و لا تزول۔ ثم الجبال وهی ارتفاعات وهی سطوح الاجزاء الصلبة من الاراضی المختلفة۔ تُری عالیة من سطوح الاراضی المنخفضة و لا یوجد الاستواءُ فیها لوجود التلال و الربوات المرتفعة۔ و یوجد فی بعضها سهولٌ عظیمةٌ و غاباتٌ جبلّیةٌ۔ و سطوح هذه السهول ربّما تکون محدّدةً باودیةٍ کثیرةٍ محدودةٍ بتلالٍ مهابطها تنبت فیها نباتاتٌ مختلفةٌ و خمائل متنوعةٌ و هذه التلال تاخذ فی الارتفاع تدریجًا حتی تقرب لان تکون عقبةً عظیمةً تختفی فی اقطار السّحاب من الجوّ۔ ثم انّ الجبال امّا ان تکون علی سطح الارض مجتمعةً او متسلسلة او منعزلةً۔ فالمجتمعة تظهر علی هیئة ارتفاعات عظیمة مطبقة فی محلّ واحدٍ و ینبعثُ من تلک العقبات اطرافٌ حادّةٌ مرتفعةٌ جدًّا و من قاعدتها سلاسل جبال تمتدّ الی مسافاتٍ مختلفة۔ و الجبال المتسلسلة هی التی لا تنقطعُ سلاسل عقباتها الواقعة علی اراضی بعیدة و المنعزلة هی اطوادٌ متباعدة بعضها من بعضٍ و هی سلاسل متوازیة او متقاطعة تقاطعًا صلیبیًّا و تفصیل الکلام فی هذا الباب لا یلیق بهذا المقام و فوائدها جمّةٌ منها جری الانهار المتنوعة بمیاهٍ حارّةٍ و باردة۔ علی اقسام مختلفة۔ و منها حدوث نباتاتٍ کثیرةٍ فی سطوحها

فی تکون الجبال

واطرافها - ومنها حدوث الاحجار والبراري ومنها اشجار عظيمة تصلح من اصول افنانها اهوية مفسدة لانها تجذب الى انفسها موادا فاسدة ومنها حدوث العقاقير النافعة والنباتات الصالحة التى استعملها الاطباء فى معالجاتهم - ومنها سطوح الثلوج التى تجرى فى فصل الصيف كالادوية - ومنها العيون والينابيع النابعة فى اصولها وفروعها ومنها تكون المعادن تحتها وغيرها من الفوائد التى ذكرها اهل طبقات الاراضى والمعادن - وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ - بعد ما دحاها الله تعالى على صورة السطح الكرى - قال اهل الهيأة والنجوم ان التضاريس الثابتة فى سطوحها لاتخرجها عن كرويتها لعدم اعتدادها بالنسبة الى هذه الكرة العظيمة - وهى ليست على طبيعة واحدة بل هى مركبة بطبائع كثيرة يوجد اختلافها بعد التجربة والمشاهدة واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال انه تعالى قبض من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها فلذلك يأتى بنوه اخيافا - اى مختلفين فى الهيئات والاشكال والالوان والاحوال ولذلك ترى فيهم قوى متباينة مستعدة لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات - وقد وقعت فيها تقلبات كثيرة وتغيرات مرة بعد اولى وكرة بعد اخرى وربما تعرض تلك التغيرات بكونها غير مسطحة باعتبار الحقيقة وباحوال الكهوف والمغارات - قال اصحاب الطبقات ان الارض كلها فى الابتداء سائلة ثم جمدت باسباب خارجية كتموج الاهوية مثلا ذكر الشيخ الرئيس ابن سينا فى الشفاء ان للارض ثلاث طبقات - منها طبقة تميل الى محوضة الارض وهى

فوائد اهل الارض

الارض الاصلیۃ - و منها طبقۃ مختلطۃ من الارض الاصلیۃ و من الاجزاء النباتیۃ و الحیوانیۃ و المائیۃ و تسمّی طبقۃ طینیۃ - و منها طبقۃ منکشفۃ عن الماء مجاورۃ من الھواء وھی ممتزجۃ اشد امتزاجا من المولید الثلاثۃ وھی منبت النبات و مقرّ الحیوانات - ھذا ملخص ما ذکرہ الشیخ و لیس ھذا مقام التفصیل - و کل ھذہ الاشیاء تدل علی ان صانعھا ھو العلیم الحکیم القادر علی ابداع مثل ھذہ المخلوقات فمن تفکر فیھا و تامّل فی عجائبھا و حادثت نفسہ فی احوال ابداعھا اھتدی الی ان یعترف ان للعالم صانعا حکیما علیما خلق الاشیاء علی ما ارادہ و کوّنھا علی ما شاءہ - فذکّر - ابداع ھذہ الاشیاء لانھا دلائل علی صنعتہ - انّما انت مذکّر - فانک لست ھادیا بل بعثت ناصحا و مذکرا - فذکرھم من المواعظ و الشرائع و احوال المعاد و اھوالہ لست علیھم - ای علی الناس بمصیطر - و المصیطر بالصاد و المسیطر بالسین المسلّط علی الشیء لیشرف علیہ و یتعھّد احوالہ و یکتب عملہ و اصلہ من السطر - لانّ الکتاب مسطر - و قد تقلب السین صادا لاجل الطاء و قال الفرّاء فی قولہ تعالی ام عندھم خزائن ربک ام ھم المسیطرون کتابتھا بالصاد و قراءتھا بالسین - و قال الزجاج ھم الارباب المسلّطون - و قال اللیث ھو الرقیب الحافظ علی الشیء - و قرأ ھشام بالسین علی الاصل - و حمزۃ بالاشمام - و المعنی لست علیھم بمسلط بان توصلھم الی الھدایۃ و الارشاد اکراھا و قسرا لانک لست منصوبا علی ھذا المنصب بل بعثت لاراءۃ منھاج الھدایۃ و تبلیغ ما اوحی الیک من الشرائع و الاحکام و مثلہ قولہ تعالی - انا انت

تکرہ الناس حتی یکونوا مومنین - قال اکثر المفسرین انها منسوخة بایة القتال وهو لیس بصواب لان القتال لم یشرع للاکراه علی الایمان بل للدفاع عن حوزة الاسلام وقت الضرورة ولنعم ما قال زهیر بن سلمی فی هذا المعنی

ومن لا یذد عن حوضه بسلاحه ❊ یهدم ومن لا یظلم الناس یظلم

الا من تولی وکفر - الا استثناء منقطع - ای لکن من تولی عن الحق وکفر بالله ورسوله - وقیل متصل فان جهاد الکفار وقتلهم تسلط علیهم وکانه اوعدهم بالجهاد فی الدنیا وعذاب النار فی الاخرة - فیعذبه الله العذاب الاکبر - هو عذاب الاخرة قیل والمراد به هو العذاب فی الدرک الاسفل من النار - وقرئ الا من تولی بحرف التنبیه قیل وهو ابن عباس رضی الله عنه وزید ابن علی - ان الینا ایابهم - قدم الجار والمجرور لافادة الحصر - قرأ الجمهور ایابهم بتخفیف الیاء مصدر آب یؤوب - وقرأ ابو جعفر بتشدید الیاء مصدر فیعل علی وزن فیعال وهو قول الزجاج واصله ایواب فانقلبت الواو یاء ثم ادغمت الیاء فی الیاء - وقال الفراء هو بتخفیف الیاء والتشدید فیه خطأ - وقال الازهری لا ادری من قرأ ایابهم بالتشدید والقراء علی ایابهم ثم ان علینا حسابهم - ای یوم الحساب - وتقدیم الخبر للتخصیص والمبالغة فی الوعید - وثم للتراخی ولیس تراخیا زمانیا بل هو تراخ فی الرتبة والله اعلم وعلمه اتم - لقد تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله ذی الفضل والاحسان - واصلی واسلم علی النبی الذی هو سید الانس والجان - وعلی اله واصحابه الذین هم ائمة اهل الدین والایمان

سُوْرَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَّاٰيَاتُهَا تِسْعٌ وَّعِشْرُوْنَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَالْفَجْرِ - اى اقسم الله بالصبح وانفلاقه - وهو مثل قوله تعالى والصبح اذا تنفس - او بصلوة الفجر - والصبح قسمان - صادق وكاذب - اما الصادق فهو يطلع فوق الارض اذا لقى من سير الشمس الى دائرة الافق اثنا عشر درجة من دائرة منطقة البروج - ونوره يبدو عريضا فى الافق لنشر فى نشر يتزائد ساعة فساعة حتى يجلى دائرة الغبار - وقال بعضهم ان المراد به صلاة الفجر - وانما اقسم بها لان وقتها مبارك يجتمع فيه ملائكة الليل وملائكة النهار واليه اشار الله سبحانه ان قران الفجر كان مشهودا - وقال بعضهم هو الفجر من يوم النحر وقيل فجر ذى الحجة وقيل فجر المحرم - وقيل اراد بالفجر فجر العيون - وقيل فجر عرفة وقيل فجر عشر الاواخر من رمضان ذكر ابو حيان قيل والاظهر قول ابن عباس رض للحديث المتفق على صحته قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل فى اواخر رمضان شد مئزره واحيا ليله - وايقظ اهله - قال التبريزي اتفقوا على انه العشر الاواخر من رمضان لم يخالف فيه احد فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم - وَلَيَالٍ عَشْرٍ - قال صاحب الكشاف والمراد بها عشر ذي الحجة انتهى لانها اوقات القربات والكرامات وانما نكرها لانها مخصوصة بفضيلة وهى تحصل بالتنكير - وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ - ذكروا فيها اقوالا - الاول هو

الذي روي عن ابي ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الشفع يوم عرفة والاضحى والوتر ليلة النحر والثاني ما روي عن
جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - الشفع صلوة الفجر
والوتر صلوة المغرب والرابع ان المراد بالشفع هو المخلوق وبالوتر
هو الخالق - قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو والباقون بفتحها
وَالَّيْلِ اِذَا يَسْرِ - قسم بجنس الليل ويسري معناه يذهب ومثله
قوله تعالى وَالَّيْلِ اِذْ اَدْبَرَ - قال الاخفش وابن قتيبة - ان قوله
يسري مثل قولنا ليله نائم ونهاره صائم - قيل ويراد به ليلة القدر
قرأ الجمهور بحذف الياء في الوقف والوصل - وقرأ نافع وابو عمرو
البصري بحذفها وقفا واثباتها وصلا - وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن
محيصن باثباتها فيهما - وذهب الخليل الى اسقاطها موافقة لرؤس
الآيات - وقال الزجاج اسقاط الياء احب الي من اثباتها لانها
فاصلة - قال الفراء العرب ربما تحذف الياء اكتفاء بكسر ما قبلها
هَلْ فِيْ ذٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِيْ حِجْرٍ - الاستفهام لتقرير تعظيم القسم وفيه
نهاية تعظيم لمن يقسم بهذه الاشياء - قال الامام الرازي والمراد
به التاكيد - كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة -
والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله تعالى به من هذه
الاشياء ففيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق
بان يقسم به لدلالته على خالقه انتهى - قال مقاتل هل هنا في موضع
جواب القسم تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر - انتهى قال ابو حيان
وهو قول لم يصدر عن تأمل لانه على هذا التقدير يبقى قسم بلا مقسم عليه

علیه لان هذا القول المقدر لا یصح ان یکون مقسمًا علیه انتهی والصحیح هو الذي ذکره الامام الرازي وهو الذي ذهب الیه ابوحیان وهو قول صاحب الکشاف - قال الجمهور الحجر هو العقل وهو قول الفراء ومنه قول الشاعر

وَاَخْفَیْتُ مَا بِیْ مِنْ صَدِیْقِیْ وَاِنَّهٗ ۝ لَذُوْ نَسَبٍ دَانٍ اِلَیَّ وَذُوْ حِجْرٍ

ای ذو عقلٍ - والحاصل ان من کان ذو لبٍّ وخبرةٍ اذا تامل في هذه الایات ومعانیها اذدجروا اعتبر بها وعلم ان الاشیاء التی قسم بها الله سبحانه وان کانت من ذکر ذاته لکن فیهما فوائد دینیة و دنیاویة تحضض البصیر الحازم الخبیر علی شکره فیقرب بربوبیته و وحدانیته وینجی من وبال فسقه وکفره اَلَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ - الاستفهام للتقریر والرویة بمعنی العلم قیل ومنه قول زهیر بن ابی سلمی -

اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَهْلَکَ تُبَّعًا ۝ وَاَهْلَکَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِیَا

قال الاصمعی ولیس هذا الشعر من کلام زهیر بل هو لصرمة الانصاری وقد تکون بمعنی الرؤیة بالعین - فعلی المعنی الاول تتعدی الی المفعولین وعلی المعنی الثانی تتعدی الی مفعول واحدٍ - والخطاب للنبی صلی الله علیه وسلم - وقیل عامٌ یتناول کل واحدٍ من الناس وهو ضعیف لان دلیل الخطاب یابی عن ذلک وهو اضافة الرب الی الکاف بِعَادٍ

اِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِیْ لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهَا فِی الْبِلَادِ - وفي ارم اقوال الاول ارم جد عاد الاولی - والثانی قال مجاهد وقتادة ارم قبیلة قبل عاد ومنهم عاد - والثالث ان ارم اسم ابی عاد والرابع هو اسم مدینة عظیمة لعادٍ کانت بالیمن وهو قول الجمهور ثم اختلف فیها

بیان ارم ذات العماد والبحث في وجودها

فقال محمد بن كعب هي الاسكندرية - وقال سعيد بن المسيب هي دمشق - واختلف القراء في عاد فقرأ جمهور القراء على الاضافة وارم بكسر الهمزة وفتح الراء غير منصرف لسببين التانيث والعلمية وذلك لانه اسم القبيلة - وعاد وان كان اسم القبيلة الا انهم جعلوها بمعنى الحي فمن قرأ منصرفا جعله عطف بيان او بدلا والحسن منع صرفه مضافا الى ارم وعلى هذا يكون حد القبيلة او مدينة وقرأ ابن الزبير بعاد ارم بالاضافة بفتح الهمزة وكسر الراء وهي لغة في معنى المدينة وقرأ الضحاك منصرفا وغير منصرف وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان قوله ارم فعلا ماضيا معناه بلي يقال رم العظم وارم - وحكى عن مجاهد ارم بارم اى هلك يهلك - هذا ما ذكره المفسرون والصحيح ان ارم اسم قبيلة كما مر واختلف في ذات العماد على اقوال الاول ما روى عن ابن عباس هي كناية عن طول ابدانهم ومنه رفيع العماد - بمعنى ان قدودهم مشبهة بالاعمدة يقال رجل عمد وعمدان اى طويل القامة وعلى هذا القول تكون ذات العماد صفة لعاد وهو قول المبرد - وابي عبيدة والثاني معناه ذات البناء الرفيع المعمد ومنه قول عمرو بن كلثوم

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ عَلَى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا

والثالث قال الفراء انهم كانوا اهل عمد ينتقلون الى الكلاء حيث كان ثم يرجعون الى منازلهم والرابع قال ابن زيد اعمدة بنيانهم اى ابنيتهم ذوات اعمدة - واذا كانت صفة للمدينة يراد بها اعمدة الحجارة التي بنيت بها - وذكر المفسرون انها مدينة بناها

شدّاد بن عاد لمّا سمع ذکر الجنّة و وصفها و کانت مُزیّنةً غایة التزیّن - و الیه اشار الله سبحانه التی لم یُخلَق مثلها فی البلاد و کانت عاد فی قوّةٍ و شکیمةٍ لم یخلق مثلهم فی البلاد - و المعنی انّ قوم عادٍ لم یکن مثلهم فی البلاد فی القوّة و الجلادة و اسباب المعیشة و رَووا انّه کان لعاد ابنان شدّاد و شدید فلمّا مات شدید خلص اَمرَ الحکومة لشدّاد فعلی امره فی الدنیا و استوی فی حکمه علی ملوکها فطغی و استکبر فخضعت الجبابرة لسطوته و دانت العمالقة کلهم لشوکته و عظمته - فسمع ذکر الجنّة و قال ابنی جنّة فی الدنیا التی لا یوجد فیها مثلها فبنی بستان اِرَمَ فی صحراء فسیحة من صحاری عدن و هی مدینة عظیمة قصورها من الذهب و الفضّة و عمدها من الزبرجد و الیاقوت و حصباءها اللآلی و جواهر و ترابها بنادق المسک و غرس فیها اشجارًا مثمرةً ثمارها اطیب و اجری الانهار التی کان ماءها احلی و اصفی و اعذب فلمّا اتم تعمیرها سار الیها باهل مملکه فلما کان علی مسیرة یوم و لیلة بعث الله علیهم صیحةً من السماء فهلکوا جمیعًا هذا هو الذی ذکره اعاظم المفسرین کالطبری و صاحب الکشاف و الامام الرازیؒ و من تبعهم و خالفهم آخرون کما ذکر ابن کثیر فی تفسیره انّ هذه المدینة تنتقل فتارة تکون بارض الشّام - و تارةً بالیمن و تارة بالعراق و تارةً بغیر ذلک من البلاد - فانّ هذا کله خرافات الاسرائیلیین من وضع بعض زنادقتهم لیختبر وا بذلک عقول الجهلة من النّاس ان صدّقوهم فی جمیع ذلک و قال و ذکر الثعلبی و غیره ان رجلا من الاعراب و هو عبد الله بن قلابة فی زمان

معاوية ذهب في طلب ابل له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها اذا اطلع على مدينة عظيمة لها سور وابواب فدخلها فوجد فيها مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وانه رجع فاخبر الناس فذهبوا معه الى المكان الذي قال فلم يروا شيئا قال وليس بصحيح اسناد هذه الرواية ولو صح فيمكن ان يقال ان ذلك الاعرابي فقد يكون اختلق ذلك او انه اصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد ان ذلك له حقيقة في الخارج - وذكر ابن خلدون في تاريخه وابعد من ذلك في الوهم ما ينقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما للمدينة وصفت بانها ذات عماد اي اساطين وهكذا وكذا ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة رض من الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها الى اخره وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه - ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم - ولو قالوا انها درست فيما درس من الآثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان عادا ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسحر هي مزاعم كلها اشبه بالخرافات - اقول ان الحديث الذي روي عن ابي قلابة رض موقوف غريب جدا ان ثبت اسناده اليه فلا يفيد الا الظن بعد كون رواته عدولا ولا اولى ثقة

و مثل هذا الحدیث یجب ان لا یکون مخالفا للدرایة ان کان من باب المعاملات و الاخبار و القصص و کذا لا یکون مخالفا لما ثبت من الدلائل العقلیة القاطعة - فاذا کان الخبر الواحد علی هذه الصفة یحتج به و الا فلا - و الاعتذار بانتقال هذا البلد من موضع الی موضع یخرجه من الضعف الی الوضع و الاختراع - و اخفائه لکونه غریبا فی الصنعة باطل - اوان کل شیئ ذات ذلک لبلد و تمتعه هو الذی خلقه الله تعالی و کل شیئ من هذه الاشیاء ظاهر غیر مخفی عن اعین الناس فلا معنی لخفائه بهذا الوجه ثم الذی ظهر لنا من هذه الآیة ان المدینة التی سمیت بارم کانت ابهی و احسن من جمیع مدائن الدنیا و لذلک قال الله تعالی - لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهَا فِی الْبِلَادِ - و لکن کونها موجودة الی هذا الآن لم یثبت بالکتاب و السنة لجواز خرابها و اندراسها بعد مرور من الزمان - و الله اعلم - وَ ثَمُوْدَ الَّذِیْنَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ - هم قوم صالح علیه السلام - و کان جدهم ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح علیه و علی نبینا الصلوة و السلام - فسموا باسم جدهم - و کانوا یسکنون بین الحجاز و تبوک و یعبدون الاصنام مثل عاد - و کانوا اصحاب القوة عظیمة یستأنسون بالغابات و العقبات و الجبال و الهضبات - قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف علی انه اسم للقبیلة ففیه المعرفة و التانیث - و قرأ یحیی بن وثاب بالصرف علی انه اسم لجدهم وَ الْجَوْبُ الْقَطْعُ - و الخرق - یقال جبت المدینة و الارض ای قطعتها و منه قول الشاعر -

وَ لَا رَأَیْتُ قَلُوْصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ سِتِّیْنَ وَسْقًا وَ لَا جَابَتْ بِهَا بَلَدًا

والمعنى خرقوا الصخور والأحجار واتخذوا منها بيوتا كما قال الله تعالى
وتنحتون من الجبال بيوتا - وقيل هم أول من نحت الجبال والصخور
والرخام - وروى انهم بنوا الفا وسبع مائة مدينة كلها من الأحجار
وهذا القول كما ترى وبالواد متعلق بجابوا اى جابوا الصخر حال كونها
بالواد فهو حال بقوله الصخر والمراد بالواد وادى القرى وقد يحذف
المضاف فانيه كما في قول الأعشى -

مَنعَتْ قِيَاسُ الْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ بِسِهَامِ يَثْرِبَ أَوْ سِهَامِ الْوَادِي

والمراد به وادى القرى - وهو موضع بقرب المدينة والوادى مفر
بين الجبال والتلال والآكام سمى بذلك لسيلانه فيكون مسلكا
للسبيل ومنفذا له لان معنى ودي هو السيلان - قرأ الجمهور بالواد
بحذف الياء وصلا ووقفا - وابن كثير باثباتها فيهما - وقرأ بعضهم
باثباتها في الوصل دون الوقف - وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبِلَادِ - وهذا هو فرعون موسى عليه السلام الوتد بالكسر
والفتح وهو ما رزّ في الحائط او الارض من الخشب وغيره والمراد
بالاوتاد اوتاد خيام الجنود وقيل اراد بالاوتاد جنوده ويؤيده
ما روي عن ابن عباس رض الاوتاد الجنود الذين يشدون امره - وقال
كثير من المفسرين وانما سمى بذى الاوتاد لانه كان يعذب الحابين
او من غضب عليهم بين الاوتاد يشد اليها ايديهم وارجلهم ثم
يعذبهم او يقتلهم وقيل لانه عذب امراءته وكانت مومنة
بين الاوتاد الاربع حتى هلكت وماتت وقيل كذا عذب زوجة
حزقيل عليه السلام وكانت ممن امن موسى عليه السلام - قيل وكانت

ماشطة بنت هذا الطاغي فبي ذات يوم كانت ترجل رأسها - اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله - فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي - فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض هو الله وحده لا شريك له - فقمت ودخلت على ابيها باكية - فقال فرعون من يبكيك فقالت ما جرى بينها وبين الماشطة فارسل اليها وسألها - فاجابته كما ذكر - فحبسها وحرضها على ان تؤمن به فقالت معاذ الله فانكرت - فشدها بين الاوتاد وذبح بنتها الكبيرة على صدرها ثم قال أقري بالوهيتي - فابت وكرهت - فوضع بنتها الصغيرة على صدرها وكانت ترضعها - وقال لو بي وارجعي - فاصرت على ما كانت عليه - فلما اراد ان يذبحها جزعت المرأة فانطق الله الصغيرة فقالت يا أماه لا تجزعي لان الله تعالى بنى لك قصرا في الجنة فاصبري فذبح الصغيرة - فارتعدت المرأة وماتت - الذين طغوا في البلاد - صفة لعاد وثمود وفرعون اطغت هؤلاء كلهم حين بعث الله تعالى اليهم رسله فتمردوا وكفروا - ويجوز ان يكون الموصول خبر لمبتدأ محذوف اي هم الذين او منصوب على الذم فاكثروا فيها - اي في ديارهم الفساد - بالكفر والمعاصي - فصبّ اي فافرغ - عليهم ربك سوط عذاب - السوط خلط الشئ بعضه ببعض ومنه قول كعب بن زهير -

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع واخلاف وتبديل

اي كأن هذه الاخلاق قد خلطت بدمها - وسمي السوط سوطا لانه اذا سيط به انسان او دابة خلط الدم باللحم - وقولهم ضربت

ذ يلاً اسوطاً اى ضربته ضربةً بسوطٍ - اى صبّ الله عليهم عذاباً يوم المهم مثل ضرب السوطِ وقد يُرادُ بالسوط الشدّة - فيكون المعنى اشدّ عذاب - قال الفرّاء هذه الكلمة تقولها العربُ لكل نوع من العذاب يدخل فيه السَّوطُ جرى به الكلام والمثل - ويروي انّ السّوطَ من عذابهم الذى يعذبون فجرى لكل عذابٍ اذكان فيه عندهم غاية العذابِ - ويجوز أن يقال انّ السوطَ هو العذاب بمعنى ان السّوط كما يضرمن السيوكذلك هذا السّوطُ ضرمن اجزاء العذاب فصار السوط هو العذابُ ففيه تشبيه بليغ يدلّ على غاية العذاب - واليه ذهبَ الزجّاجُ - حيث قال جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب - إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ - قال ابو منصورٍ معناه على كل طريق فيكون المعنى اى بالطريق الذى ممرّك عليه ومنه قول عدي -

وَاِنَّ الْمَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصَدٍ

وقال الزّجّاجُ اى يرصد من كفرَ به وصدّ عنه بالعذاب - وقال ابن عرفة اى يرصدُ كلَّ انسانٍ حتى يجازيهُ بفعله - قال ابن الانباري المرصاد الموضعُ الذى ترصد الناس فيه كالمضمار الذي يضمرفيه الخيل من ميدان السّباق - و قال الاعمش في تفسير هذا القول ان المرصاد ثلاثة جسور خلف الصراط جسرٌ عليه الامانة - وجسرٌ عليه الرحم وجسرٌ عليه الربّ والحاصل انّ الله يرصد اعمال العباد خيراً اوشرّاً ثم يجازي على حسبها وهذه الاٰية تدل على كونه تعالى عالماً بالجزئيات سواء كانت مادّيةً اوغير ماديةٍ

بحيث لا يفوت منها شيء - واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة
ثلاث قصص الاولى قصة عادٍ - والثانية قصة ثمود والثالثة قصة
فرعون وظاهر ان هؤلاء كانوا في غاية العتو والطغيان وبداية
الاشراك والكفران فبعث الله عليهم القهر وانعذاب فهلكوا
جميعًا حلوا في عذاب الله فيا ايها المشركون ويا ايها الكافرون
اعتبروا بهذه القصص وما فيها من التهديد والانذار فلا تكونوا
كالذين دمرهم الله ودخلوا في جهنم داخرين - فاما الانسان
متصل بقوله تعالى - إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ - اى انّه تعالى يرصد اعمال
النّاس فلا يريد الّا سعى الانسان في العمل الصالح - لكنه
لا يرومه - بل يحاول الدنيا وزينتها - فقال الله فامّا الانسان
إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ - اى اختبر بالمال والثرى - فَأَكْرَمَهُ - عند
الناس باسباب الدنيا وزخارفها وامتعتها - وَنَعَّمَهُ - بالجاه
والمرتبة العالية - والنعمة الدنياوية - فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
اى فضلنى بما اعطانى من النّعم الجزيلة بين اكفائى ومجدنى بين
امثالى وقرنائى فهو راضٍ عنّى - والامر ليس كما يزعمه لانّ الله
تعالى لا يرضى عن كدّهم وجهدهم في الدنيا الا سعيهم في الامور
الاخروية ومكابدتهم في ترك امور الدنيا وزبرجاتها لانّها
سبب خسران الانسان واقتحامه في النّيران - والفاء في قوله
فيقول للجواب لانّ امّا تتضمّن معنى الشرط - وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ - اى ضيّقه - فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ - قرأ
الجمهور بحذف الياء في اكرمنى واهاننى وصلاً ووقفًا

والاصل هو الاثبات لكونها اسمًا - و قرئ باثباتها وصلًا وحذفها وقفًا قرأ الجمهور فقدر بالتخفيف و قرئ بالتشديد وهما لغتان و قرأ ربي بسكون الياء و قرئ بفتح الياء واما معنى اهانن فاذلني و تقدير الرزق قد يكون موجبًا لكرامة الدارين وقد يكون سببًا للشقاوة في الكونين فان الانسان اذا استحب الدنيا و كدّ في تحصيلها و سعى في الامور العاجلة فقد لا يكون فائزًا اذا كان مخالفًا لما اراده الله فيصير في الخيبة و الحسران فيقول في نفسه ان ربي خذلني و افقرني - وهذا القول لقصور نظره في الامور الاخروية والحياة الابدية ولولا ذلك لا توجه الى ثروة الدنيا و نعمها و لم يلتفت الى كثرة الاموال و الامتعة واعلم ان العاقل يعقل انه لا استلزام بين سعة الرزق و الكرامة لان الاولى قد توجد بدون الثانية كالكافر المتمول و كذا الثانية قد توجد بدون الاولى كالولي المقتر و قد توجدان معًا كالمومن المتمول و كذا لا استلزام بين ضيق الرزق والهوان - كما بيّنا فليس قوله ربي اهانن الا بالنظر الى حب الدنيا - كلّا - هي كلمة ردع و زجر - قال الفراء ان كلّا في هذا الموضع - بمعنى انه لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا - و المعنى ان توسعة الرزق و تقديره ليس سببًا للاكرام والاهانة - قرأ ابن عامر الشامي و عاصم و حمزة و الكسائي اكرمن واهانن بغير الياء في الوصل و الوقف و كذا قرأ ابو عمرو و قرأ نافع في الوقف مثل الكوفيين - و قرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم - بالنفقة و المبرة و لا تحسنون اليه

تتر حمًا وشفقة على حاله - وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ای لا تحثون اهلهم علی ان یطعموه - والمسکین هو المفتقر الذی یخفی حال فقره - مرضاة الله تعالی وهو اعلی ممن لیس علی هذه الصفة قرأها عاصم والاعمش بالالف وفتح التاء وقرأ نافع وغیره من اهل المدینة ولا یحضون بالیاء وبغیر الالف وقرأ الحسن ولا تحضون بالتاء وبغیر الالف وقرأ بعضهم ولا تُحاضون برفع التاء والالف قال الفراء وکل ذلک صواب - فمن قرأ تُحاضون - فمعناه یحافظون ومن قرأ تحاضون بفتح التاء فمعناه یحض بعضکم بعضا ای یحث - ومن قرأ تحضون فمعناه تامرون باطعامه وکذلک یحضون بالیاء - وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ - ای المیراث والتراث تاؤه بدل من واو کالتکلة من توکلت والتخمة من توخمت ومنه قول سعد بن ناشب الحماسی -

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا

وقال عمرو بن کلثوم

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِينَا

والورث للمال والارث للحسب کما قال الشاعر -

فَإِنْ تَكُ ذَا عِزٍّ حَدِيثٍ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ إِرْثُ مَجْدٍ لَمْ تَخُنْهُ زَوَافِرُهْ

قیل کانوا یاکلون ما جمعه المیت وهم عالمون بذلک فیجمعون بین الحلال والحرام ویسرفون فی الانفاق - وکانوا لا یورثون النساء ولا صغار الاولاد فیاکلون نصیبهم ویقولون لا یاخذ المیراث الا من یقاتل ویحمی الحوزة - اَكْلًا لَّمًّا - قال الفراء اللم الجمع ومعنا

اکلاً شدیداً - و قال الزجاج تأکلون تراث الیتامی لماً ای بجمیعہ
و فی الصحاح اکلاً لماً ای نصیبہ و نصیب صاحبہ قال ابو عبیدۃ یقال
لممتہ ای جمعتہ - حتی اتیت علی آخرہ - و فی حدیث المغیرۃ تأکل لماً
و توسع ذمّاً ای تاکل کثیراً مجتمعاً - قال الفراء اصلہ لمّاً فلما کثرت فیہ
المیمات حذفت منہا - وَتُحِبُّوْنَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا - قال ابو عبیدۃ ای
کثیراً و منہ قول ابی خراش الہذلی -

اِنْ تَغْفِرِ اللّٰهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ⁂ وَاَیُّ عَبْدٍ لَکَ لَا اَلَمَّا

و حاصل معنی ہذہ الآیۃ ان ما زعمہ الانسان ان نعیم الدنیا و سعۃ
الرزق اکرام من اللہ تعالی لعبدہ و افتارہ فیہما اہانتہ و صغارہ باطل
بل الاکرام لا یحصل للعبد الا بفضل اللہ علیہ و یجمعہ مع الاقتار
او بنعیم الدنیا - کما قدمنا و المعتبر فی الہوان ہوان الآخرۃ - و کذا
القول فی نعیم الدنیا لانہما تقبلان الفناء و الزوال فلا اعتبار لہما و فی
الآیۃ امور الاول عدم اکرام الیتیم و الثانی الحث بالارادۃ علی
غصب طعام المسکین و الثالث حب المال - و علۃ حدوث ہذہ
الامور استحباب الدنیا و مؤاثرتہا علی الدین فمن اتصف بہا لم یفرق
الحلال من الحرام و لا یبالی ان یکتسب الحلال التی بیّن الشارع حرمتہا
بالدلائل القاطعۃ و البراہین اللامعۃ فلا مریۃ فی کفرہ - قال مقاتل
نزلت فی امیۃ ابن خلف فانہ کان لا یدفع حق الیتیم الذی کان فی حجرہ و یرغب
الی طعام المسکین و تاکل میراث الغیر - کَلَّا اِذَا دُکَّتِ الْاَرْضُ
دَکًّا دَکًّا - دکت الارض و الجبال زلزلتہما - و مثلہ قولہ تعالی
وَحُمِلَتِ الْاَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُکَّتَا دَکَّۃً وَّاحِدَۃً - و المعنی سوّی

صعودها وهبوطها - وقيل صارت بالزلازل كانها رمل وقيل كانت هباءً منثوراً - والمعنى ان الارض اذا زلزلت اندكت فتفسد كل شئ كان على ظهرها بالقلع والقطع والكسر والبتر - وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا - اي وجاء امر ربك والملائكة مصطفون صفا صفا اي يحيطون الجن والانس من كل جانب ويحتمل ان يكون معناه وجاء وعد ربك بالحشر والنشر - وَجِايْٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ - روي عن عبد الله بن مسعود انه قال تقاد جهنم يومئذ بسبعين الف زمام بيد سبعين الف ملك لها زفير وتغيظ تنصب عن يسار العرش فيخاف من يكون من اهل العرض من سطوة اشتعالها وشدتها - اقول ويمكن ان يقال ان المراد من مجيئها بروزها وانكشافها بحيث يراها من كان من اهل العرض ومثله قوله تعالى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَّرٰى والله اعلم - يَوْمَئِذٍ - وهو بدل من قوله اذا دكت الارض - اي يوم القيامة - يَّتَذَكَّرُ الْاِنْسَانُ - اي الكافر يتذكر قبائح معاصيه وخبائث سرائره فيخاف بها ويندم على ما فات منه وَاَنّٰى لَهُ الذِّكْرٰى - اي اين ينفعه الذكرى اي اتعاظ - واستدل به من عدم قبول التوبة وقت مشاهدة العذاب ومن قال مطلقا فقد لغا - قالت المعتزلة ان قبول التوبة واجب عليه تعالى وهو باطل لان قبولها تفضل منه - وهو ليس بواجب عليه تعالى - يَقُوْلُ - اي الكافر - يٰلَيْتَنِيْ قَدَّمْتُ لِحَيَاتِيْ - اي اعمالا صالحة في الدنيا - فهذا التمني محال بالنسبة الى المتمني وان كان ممكنا في نفسه فيندم حين لا ينفعه الندم لان دار الآخرة دار النتيجة - ودار العمل - انما هي الدنيا فاذا المريد توجه فيها الى طاعة الله واسترضائه لا بد له

ان يبقى خاسرا في دار النتيجة لان الدنيا مزرعة الاخرة استدلت المعتزلة بهذه الاية على ان العبد قادر على ايتان افعاله وصدورها معلق بارادته والا لا يستقيم معنى قوله تعالى - يٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي - واجيب ان قوله تعالى - يليتني قدمت ليس قول الله تعالى حقيقة بل هو قول الكافر ينقله الله تعالى عبرة للمؤمنين - فاستدلالهم باطل والعجب من صاحب الكشاف بانه كيف يخفى عليه هذا المعنى مع كونه غواصا في بحر المعاني - فَيَوْمَئِذٍ - اى في يوم المجازاة - لَّا يُعَذِّبُ - قرأ الجمهور مبنيا للفاعل - عَذَابَهُ - اى عذاب الله تعالى أَحَدٌ - من الملائكة الموكلين عليه والمراد بهم الزبانية والمعنى انه لا يملك احد من الزبانية مثل عذاب الله - وقيل الضمير في عذابه يعود على الكافر اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبون الكافر لانه يدخل نار جهنم فعذابه اكبر واعظم من عذاب غيره وهو الذى لا يدخل النار كالمؤمن الفاسق الذى مات بغير التوبة فانه يمكن ان يعذبه الله في القبر او في موقف من مواقف الحشر لان الايمان بالله ورسوله وبما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من ضروريات الدين ينجيه من عذاب النار - فمثل هذا الايمان هو الشيء العظيم والخير الكثير فاذا كان الخير القليل ينفع صاحبه كما قال الله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - فكيف لا يكون الخير الكثير الذي هو الايمان ينجي صاحبه من النار - فلا يدخل المؤمن الفاسق النار - وقد قال الله جل ذكره - لا يصلىها الا الاشقى الذي كذب وتولى والاظهر

ان المومن الفاسق ليس ممن كذب وتولى - وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ

ای ولا یوثق بالسلاسل والاغلال احد مثل وثاقه - ویجوز فیه الاحتمالان المذکوران - وقرأ الکسائی ویعقوب وابن سیرین لا یعذّب ولا یوثق مبنیا للمفعول - قرأ ابو جعفر ونافع وثاقه بکسر الواو والجمهور بفتحها - روی انّ هذه الآیة نزلت فی ابی ابن خلف وقیل فی امیّة ابن خلف والجمهور علی ان المعذب هو الکافر فیدخل تحت عمومها کل کافر وهو الاصحّ - فلمّا ذکر الله سبحانه تعالی بیان احوال الکافرین شرع فی احوال المؤمنین فقال - یٰۤاَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ - ویحتمل ان یکون المنادی هو ملک یأمره الله ان یقول للانسان یا ایتها النفس المطمئنة الخ - والظاهر ان المنادی هو الله تعالی - کما یدل علیه قوله - فَادْخُلِیْ فِیْ عِبٰدِیْ وَادْخُلِیْ جَنَّتِیْ - وهذا هو الصحیح - قرأ الجمهور - ایّتها بتاء التانیث وقرأ زید بن علی بدونها یعنی یا ایّها النفس قال ابو حیّان ولا اعلم احدا ذکر انها تذکر وان کان المنادی مؤنثا الّا صاحب البدیع وهذه القراءة شاهدة بذلک ولذلک وجه من القیاس - وذلک انه لم یثنّ ولم یجمع فی نداء المثنی والمجموع فلذلک لم یؤنث فی نداء المؤنث انتهی - ثم النفس هی جوهر لطیف یتعلّق بالبدن تعلّق التدبیر والاصلاح وهی ماهیة نوعیة عند الحکماء الالهیین خلافا للامام الرازی فانّه ذهب الی انّ نفس زید مباینة لنفس عمرو فی الحقیقة وعندهم حقیقتهما واحدة لاکنهما تفترقان عندهم بالعوارض التی تلحقها بواسطة البدن - امّا القرآن فهو یدل علی ان النفس جسم لطیف من عالم القدس یتصف بالصفات الجسمانیة کالدخول فی الجسم بالنفخ - کما قال الله تعالی - ونفخ فیه

بیان تعریف النفس واقسامها

مِنْ رُوْحِيْ - و كما قال وَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُوْحِنَا - و لخروجها من البدن
بحكم الله الى العالم العلوى و لرجوعها الى ربها - كما قال الله تعالى
اِرْجِعِيْ اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً - و لدخولها فى الجنة - كما قال الله
تعالى - وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ - و لارسالها الى البدن و امساكها الى مدة
معينة - كما قال تعالى الله - يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا وَالَّتِيْ لَمْ
تَمُتْ فِيْ مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِيْ قَضٰى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاُخْرٰى اِلٰى
اَجَلٍ مُّسَمًّى - و غيرها من الآيات فالنفس عند اهل الشرع هى التى
يتصف بهذه الصفات لا كما ذهبت اليه الفلاسفة الالهيون
و قد فصلنا هذا البحث فى بعض رسائلنا كرسالة علم النفس و رسالة
الشهادة و هى على اقسام الاول هى التى لا تصدر منها الا الشرور
و القبائح و هى تسمى الامارة كما اخبر الله سبحانه بحالها وما ابرئ
نفسى ان النفس لامارة بالسوء - و الثانى هى التى يصدر منها
الخير و الشر الا انها تندم بعد ارتكاب الشر و تلوم و تسمى النفس
اللوامة - كما قال الله تقدس - لَا اُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَلَا اُقْسِمُ
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ - و هى نفس عامة المؤمنين - و الثالث هى
المؤمنة الموقنة المصدقة بما قال الله تعالى - الخاضعة لامر الله
و طاعته الخاشعة بوعيده و نقمته - الراضية بقضائه المبتغية
لرضائه فهى النفس المطمئنة التى قال الله فى شانها - لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ - و الرابع هى التى الهم الله اليها من الامور
الواقعية الثابتة فى علم الله لافادة الناس و هدايتهم الى
طريق الفلاح و تزكيتهم بالاعمال الروحانية ترشدهم الى مرضاة

الله و تسمّی النفس الملهمة و هی نفس النبیّ ان کانت ماذونة لتزکیة نفوس الناس و نفس الصدیق و الولی ان لم یکن ماذونة بها-
اِرْجِعِیْٓ اِلٰی رَبِّکِ رَاضِیَةً - ای الی موعد ربّک او الی مرضاة ربك مَّرْضِیَّةً - قال المبرّد و الاصل مرضوّة لانّه من الرضوان - والمعنی یا ایّتها النفس المطمئنّة ارجعی الی موعد ربك راضیة بما اعطیت من الثواب و مرضیة عنها بعملها لانه کان سببًا لرضوان الله تعالٰی کلمة ارجعی تشیر ان الی النفوس الناطقة مخلوقة قبل الابدان و کانت تجاور الملئکة عند حظیرة القدس ثم نفخت فی الابدان و لما خرجت منها نادی الله لکل منها ارجعی الی ربك ای الی محل کنت فیه - روی انّه اذا توفی المؤمن الصالح الذی اطمئنّ قلبه بذکر الله تعالی - ارسل الله تعالٰی الیه ملکین بتحفة من الجنة یهدی الیه الله تعالی - قائلین بانّ ربّك راض عنك و اعمالك مرضیّة عنده فارجعی یا ایّتها النفس الی ربّكِ رَاضیة مرضیّة - فَادْخُلِیْ فِیْ عِبٰدِیْ - الصالحین المقرّبین و کونی منهم لانك صالحة زکیة - وَادْخُلِیْ جَنَّتِیْ معهم - قیل یقال لها ارجعی الی ربك راضیة مرضیة - اذا خرجت من الدّنیا و یقال لها فادخلی فی عبادی وادخلی جنتی یوم القیمة - تم تفسیر هذه السورة بعون الله و کرمه فالحمد لله ربّ العالمین - و الصّلوة علی سید المرسلین و اله الطاهرین و اصحابه الکاملین

سورة البلد عشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عزوجل - لَآ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ - لا زائدة وزيادته مطردة في القسم وقد تزيد في غير القسم كقول الشاعر -

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... وكاد ضمير القلب لا يتصدع

اى يتصدع - ومن ذلك - قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد اى أن تسجد وقال مجاهد ان لا ردّ على من انكر البعث ثم ابتدأ وقال اقسم ليس الامر كما زعمتم من انكار البعث وقرئ لأُقسم - قال الرازي البلد كل موضع مستحيز من الارض عامرًا وغير عامر خال او مسكون والطائفة منها بلدة - قال المفسرون والمراد بالبلد مكة وفضائل مكة معروفة - اوّلها ان الله تعالى جعلها حرمًا امنًا فقال ومن دخله كان امنًا - وثانيها انّه تعالى جعل ذلك المسجد قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ - وثالثها إنّه تعالى شرف مقام ابراهيم كما قال وَاتَّخِذُوا من مقام ابرٰهيم مُصَلًّى ورابعها انّه تعالى امر الناس بحج الكعبة وهى فى ذلك البلد كما قال وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ - وقال تعالى فى البيت إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا - وخامسها انّه تعالى حرّم فيها الصّيد - هذا ملخص ما ذكره الامام الرازى - وقيل ان السورة مدنية والمراد بالمدينة مدينة الرسول عليه السلام - والاول هو الّذي ذهب اليه

اکثر العلماء وھو یذکر و یؤنث و جمعه بُلدان و بلاد - ثم ذکر
فی مزیة فضلها وقال - وَاَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ - الحِلُّ والحلال
والمحل واحد ای انت حالٌ فیه - ذھب الجمھور الی انّ المراد بالحل
فیه ھو الحل بعد الفتح قال البیضاوی - وقیل لا بحلول الرسول صلی
الله علیه وسلم فیه اظھارا لمزید فضله واشعارا بان شرف المکان
بشرف اھله انتھی فیکون المعنی ان مکة وان کانت فی غایة الفضیلة
ولکن امة الا ان البلدة التی انت فیھا صارت افضل البلاد واشرفھا
لحلک فیھا - وقال بعضھم انّ المراد بالحل حِلُّ القتال ای حلال لك
ان تفعل ساعة من النھار ما ترید - قال بعض المفسرین وفیه
تھدید للمشرکین وذلك لانّھم کانوا یکرمون ھذا البلدَ یعظمون
البیت الحرام ویحرّمونه ویحترمونه بالاتفاق ثم انھم یزمعون
علی ایذائك ویجمعون علی اضرارك ویحرصون الناس علی ضربك
وقتلك لکنھم لا یقدروا علی ھذا لانّ الله یحرسك ویصونك
عن اعدائك وَوَیل لھم انھم کانوا یاتفون عن قتل الصید ویحرّمونه
علی انفسھم [illegible] عضد الشوك من ارضه ویستحلّون
قتل النبی صلی الله علیه وسلم - وَوَالِدٍ وَّمَا وَلَدَ - قیل والمراد
بالوالد ادم علیه السلام وبما ولد ذریته من الصالحین لان الطالحین
لا حرمة لھم - وقیل المراد بالاول ابراھیم علیه الصلوة والسلام وبالولد
سیدنا النبی صلی الله علیه وسلم - والتنکیر للتعظیم وانما قال ما
ولم یقل من لانشاء التعجب کما فی قوله تعالی - وَاللهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وقال ابو حیان وقال الفراء وصلحا ما للناس کقول الله تعالی ما طاب لکم

وَمَا خلق الذكر و الانثی - قال الامام الرازیؒ - قال بعض المفسرین اقسم الله بهم لانهم اعجب ما خلق الله علی وجه الارض لما فیهم من البیان و العقل و التدبیر و استخراج العلوم و فیهم الانبیاء و الاولیاء و الصالحون و الدعاة الی الله و الانتصار للدینه و کل ما فی الارض مخلوق فهو لاجلهم و امر الملائکة بالسجود لادم علیه السلام و علمه الاسماء کلها فیکون قد اقسم بجمیع الادمیین صالحهم و طالحهم انتهی - و کذا ذهب ابن جریر الی انه عام فی کل والد و ولده - وخص بعضهم الصالحین من ولده و من کان له نفس لوامة - لانه تعالی - قال و لا اقسم بالنفس اللوامة - و المراد بها مومن فاسق - قد تاب الی الله فهو داخل فی عموم مفهوم القسم اما غیرهم من الکافرین فلیس لهم حرمة و لا شرف فلا یدخلون فی عموم مفهوم الولد - و یؤیده ما قال الله تعالی - فی قصة نوح علیه الصلوة و السلام مخاطبا له فی شان کنعان ولده فانه لیس من اهلک - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْ کَبَدٍ - هذه الجملة جواب القسم و المراد بالانسان نوعه - قال الزجاج و المعنی اقسم بهذه الاشیاء - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْ کَبَدٍ یکابد امر الدنیا و الاخرة - و الکبد لشدة و المشقة - قال الفراء و معناه خلقناه منتصبا و معتدلا و یقال فی کبد ای انه خلق یعالج و یکابد امر الدنیا و الاخرة و قیل فی کبد ای خلق فی بطن امه و راسه قبل راسها فاذا ارادت لولادة انقلب انولد الی اسفل واصل هذا التاویل هو الذی قال المنذری سمعت ابا طالب یقول الکبد الاستقامة و الاستواء - و جاء فی الحدیث قال بلال رضؓ اذنت فی لیلة باردة فلم یات احد - فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم

اكبادهم البرد اى شق عليهم وضيق من كبد بالفتح وهى الشدة الضيق منه قول لبيد -

يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا و قام الخصوم فى كبد

اى فى شدة وعناء و المعنى ان الانسان يكابد المحن و المشقات و يتضرر فى الاحزان و المضرات و يقاسى اقسام الشدائد و يتحمل انواع الكرائب و الجنادع فاذا كان بالسعادات العاجلة و النعم الهائلة يختال على اخيه و يهينه و لا يشعر انها زائلة بائدة لا يليق لصاحبها الافتخار بها - و فيه تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم بما كان يكابده من اولى قرابته ومن قريش - ايحسب - والضمير يرجع الى الانسان الشديد المختال و الاستفهام للانكار - ان لن يقدر عليه احد - ان مخففة من الثقيلة و اسمه ضمير و هو محذوف اى انه لن يقدر عليه احد - اى هو لشدة شكيمته وجلادته يتخيل فى نفسه انه قوى عزيز - لا يقاومه احد - و لا ينازع من يده شئ لكونه مستعصما بقوته وعدته قيل ان هذه الاية نزلت فى اسيد بن كلدة فانه كان جلدا قويا - كان يبسط له اديم عكاظى فيقوم عليه و يقول من ازالنى فله كذا - فيجذبه عشرة فلا ينتزع منه الا قطعة متقطعة منه و لا يزل قدماه - و قيل نزلت رجل من بنى جمح وقيل فى الحارث بن نوفل وقيل فى الوليد بن المغيرة - يقول - على سبيل الافتخار - اهلكت مالا لبدا - اى مجتمعا بعضه على بعض - قال الفراء اللبد الكثير وقال بعضهم واحدته لبدة و لبد جمع و قيل هو على زنة قثم و حطم واحد و على الوجهين معناه الكثير - و قرأ ابو جعفر مالا لبدا -

بالتشدید فکانه اراد مالا لابداً او ما لا ان لابدات و اموال لُبَّدٌ- والاموال والمال قد یکونان بمعنی واحدٍ - و قرأ زید بن علی لُبْداً بسکون الباء ومجاهدٌ و ابن ابی الزناد بضمهما - و کان اهل الجاهلیة اذا انفقوا مالاً کثیراً فی عداوة احد او فی میسر او خمر یتباهون بها و یسمونه مکارم- قیل ان الحارث بن نوفل اذا جنی جنایة - اتی النبی صلی الله علیه و سلم- و یقول جنیت فقل لی کفارة فیامره بالکفارة فقال لقد اهلکتُ مالاً لُبَداً فی الکفارات و التبعات منذ تبعت محمداً صلی الله علیه و سلم- هذا ما ذکره ابو حیان و لم یذکره ثقات المفسرین علی انه خلاف درایة - اَیَحۡسَبُ - ایظن ذلک الانسان اَنۡ لَّمۡ یَرَهٗۤ اَحَدٌ - ای لم یره الله من این کسب ذلک المال و فی ای موضع انفقه او لم ینفقه اهو صادق فی هذا القول ام کاذبٌ الاستفهام للانکار بلی یری الله سبحانه انه انفق ما انفق فی عداوة بنیه ایذاءً له - اَلَمۡ نَجۡعَلۡ لَّهٗ عَیۡنَیۡنِ - یبصر بهما ما حوله من الاشیاء وَ لِسَانًا - ینطق به - وَّ شَفَتَیۡنِ - یستر بهما اسنانه اذا طبقهما علی فیه و یستعین علی تکلم بعض الحروف و جعلنا هما زینةً لوجهه قال الزجاج المر نفعل به ما یدل علی ان الله تعالی قادرٌ علی ان یبعثه - و الشفة محذوفة اللام و اصلها شفهة بدلیل شُفَیۡهَةٍ و الجمع شِفاه بالهاء قال ابو منصور و العرب تقول هذه شفةٌ فی الوصل و شفهٌ فمن قال شفة قال کانت فی الاصل شفهةٌ- فحذفت الهاء الاصلیة و بقیت هاء العلامة للتانیث و من قال شَفَهٌ بالهاء ابقی الهاء الاصلیة- وَ هَدَیۡنٰهُ النَّجۡدَیۡنِ - النجد الارض المرتفعة و منه شعر امرئ القیس

غداة غدوا فساءت بطن نخلة   وآخرون منهم جانح نجد كبكب

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما النجدان الخير والشر
وكذا روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة
ابي وائل وابي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني
قال ابن ابي حاتم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما - ان النجدين هما
الثديان - لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه - قال صاحب
اللسان فمثل النجدين الطريقين الواضحين - ثم النجد اذا اريد به
الشيء المرتفع وفسر النجدان بالخير والشر يلزم ان يكون الشر مرتفعا
وهو غير ملائم - واما اذا اريد بهما الثديان فهو اشد مناسبة للمعنى
ويناسبه لانه تعالى ذكر نبأه على الانسان ولسانه وشفتيه الا
ان الانتفاع بهذا القوى لا يحصل له الا بعد ان يكون مرزوقا
من رزق الله فقال وهديناه ... الى ... يرزق منهما
ما رزقه الله من فضله فيمنى ويقوى ... الله ...
على ذلك وقال بعضهم ان القول الاول هو الانسب وهو ان يراد
بالنجدين الخير والشر لان الله تعالى - قال مثل ذلك في سورة الدهر
وهو قوله تعالى - انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا - ويمكن
ان ... كفورا ... عن
ابن عباس ... الاولى ام
هو ...
وجمعه ... رضي الله
...

البحث في لا في قوله فلا اقتحم العقبة
وما ادراك ما العقبة.

و قال إنّ للخصومة قحمًا - و منه قول ساعدة بن جؤيّة

والشّيبُ داءٌ نجيسٌ لا دواء له ... للمرء كان صحيحًا صائبَ القُحَم

فيكون معنى الاقتحام هو الدخول في الأمور العظام - العقبة واحد

عقبات وهو الجبل الطويل - يعرض للطريق فيأخذ فيه - وهو طويل

صعب شديد وإن حزمت بعد أن تسند وتطول في السماء في صعود

وهبوط أطول من النقب وأصعب مرتقى - وقيل هو طريق وعر

في الجبل - وما أدراك ما العقبة - استفهام لتعظيم بيان الذي يأتي

بعد وهذه الجملة معترضة - فكّ رقبة - هذا هو تفسير العقبة و

المعنى فلا هو اقتحم العقبة والعرب إذا نفت بلا فعلًا كررتها كما

قال الله تعالى فلا صدّق ولا صلّى - ولم يكررها هاهنا لأنّه أضمرها

فعلًا دلّ عليه سياق الكلام كأنّه قال فلا آمن ولا اقتحم العقبة والدليل

عليه قوله بعد - ثم كان من الذين آمنوا - هذا ما ذهب إليه الفرّاء

والزجّاج - وقال صاحب الكشاف هي بمعنى لا متكررة في المعنى لأن

المعنى فلا اقتحم العقبة فلا فكّ رقبة ولا أطعم مسكينًا ألا ترى

أنّه فسّر اقتحام العقبة بذلك انتهى واعترض عليه أبو حيّان وقال

ولا يتم له هذا إلّا على قراءة من قرأ فكّ فعلًا ماضيًا - وقرأ ابن كثير

والنحويان فكّ فعلًا ماضيًا ورقبةً منصوبة أو أطعم فعلًا ماضيًا

وباقي السبعة فكُّ مرفوعًا ورقبةٍ مجرورًا وإطعامٌ مصدر منوّن

معطوف على فكّ انتهى فيكون على قراءة ابن كثير وأبي عمرو البصري

والكسائي فكّ وأطعم بدلًا من قوله فلا اقتحم وعلى قراءة باقي

السبعة وهي فكّ بالرفع وكذا الإطعام يكون بدلًا أو تفسيرًا

الاقتحام العقبة والتقدیر وما ادرٰک ما اقتحام العقبة فهو فکّ رقبة او اطعام مسکین - فالمعنی الذی ذکره صاحب الکشاف لا یتم علی من اعاد بلفی السبعة - هذا اذا اعتبرنا معناها حقیقة - اما اذا جعلت بمعنی لم کما ذهب الیه المبرّد - وابو علی الفارسی لم یحتج الی تکرارها لنفی لانّ ذلک من خواصّ لا وهو قول مجاهد - قال صاحب اللسان ومنه قول الشاعر -

اِنْ تَغْفِرِ اللّٰهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَاَیُّ عَبْدٍ لَکَ لَا اَلَمَّا

انتهی وهو قول الزّجّاج ویرجع الی هذا التاویل قول ابی عبیدة وهذا الشعر لابی خراش الهذلی - قاله حین یطوف الکعبة - والمعنی لم یلمم - اقول والقول هو الذی قاله الفرّاء والیه ذهب ابن هشام فی المغنی - قیل لا دعائیة دعاء علیه ان لا یفعل خیرا وقیل انها للتحضیض والاصل فالّا اقتحم - قال ابن هشام وهذا ضعیف - وقال ابو حیّان ولا یعرف انّ لا وحدها تکون للتحضیض ولیس معها الهمزة واختلف فی تفسیر العقبة قال الحسن هی جهنّم لا ینجی منها الا هذه الاعمال - وقال ابن عباسؓ ومجاهد وکعب هی جبل فی جهنّم - قال قتادة هی قحمة شدیدة فی جهنّم - وقال ابن عباسؓ العقبة النار وایضا روی عن کعب وقتادة هی نار دون الجسرة - وایضا قال الحسن هی مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشیطان - وقال الضحاک الکلبی هی الصراط الذی یضرب علی جهنّم کحدّ السیف والقول الآخر للحسن هو المرضی عندنا الفکّ تخلیص الشیئ من الشیئ - ومنه قول الحارث ابن حلزة الیشکری -

وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ ۞ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ

وفك الاسیر فكاكة فصله من الاسر وجاء فی الحدیث عودوا المریض وفكوا العانی ای اطلقوا الاسیر ویجوز ان یراد به العتق فیكون معنى فك رقبة اطلاق ربقة العبودیة من الرقبة ای عتقها - اَوْ اِطْعٰمٌ فِیْ یَوْمٍ ذِیْ مَسْغَبَةٍ یَّتِیْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ - قال ابن عباس رض مسغبة مجاعة علی مفعلة وهو قول الفراء و قال النخعی فی یوم ذی مسغبة ای عزیز فیه الطعام - یقال اسغب الرجل اذا دخل فی الجوع و قیل لا یكون السغب الا مع التعب و ذی مسغبة صفة یوم ای فی یوم ذی مجاعة و یتیما مفعول لاطعام - قال ابن عباس رض یقال ذو قرابة وذو مقربة والیتیم الفرد و یقال الیتم والیتیم لفقدان الاب قال ابن السكیت الیتم فی الناس من قبل الاب و فی البهائم من قبل الام و لا یقال لمن فقد الام من الناس یتیم و لكن منقطع قال ابن بری الیتیم الذی یموت ابوه والعجی الذی تموت امه واللطیم هو الذی یموت ابواه - قال النبیث الذی مات ابوه فهو یتیم حتی یبلغ فاذا بلغ زال عنه اسم الیتیم و یقال للمرأة یتیمة - قال ابو سعید یقال للمرأة یتیمة لا یزول عنها اسم الیتم ابدا - و قال ابو طالب بن عبد المطلب فی قصیدة انشدها فی صفة رسول الله صلی الله علیه و سلم -

وَاَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهٖ ۞ ثِمَالُ الْيَتَامٰى عِصْمَةٌ لِّلْاَرَامِلِ

و قال ابو عبیدة تدعی یتیمة ما لم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم الیتم و یؤید ما ذهب الیه ابو سعید المفضل -

اَفَاطِمُ اِنِّیْ هَالِكٌ فَتَبَيَّنِیْ ۞ وَلَا تَجْزَعِیْ كُلُّ النِّسَاءِ يَتِيْمٌ

الاقتحام العقبة و التقدیر وما ادراك ما اقتحام العقبة فهو فك رقبة او اطعام مسکین - فالمعنی الذی ذکره صاحب الکشاف لا یتم علی من اعاده بلفظ السبعة - هذا اذا اعتبر لا بمعناها حقیقة - اما اذا جعلت بمعنی لم کما ذهب الیه المبرد - وابو علی الفارسی لم یحتج الی تکرار النفی لان ذلك من خواص لا وهو قول مجاهد - قال صاحب اللسان ومنه قول الشاعر -

ان تغفر اللهم تغفر جما وای عبد لك لا الما

انتهی وهو قول الزجاج ویرجع الی هذا التاویل قول ابی عبیدة وهذا الشعر لابی خراش الهذلی - قاله حین یطوف الکعبة - والمعنی لم یلمم - اقول والقول هو الذی قاله الفراء والیه ذهب ابن هشام فی المغنی - قیل لا دعائیة دعاء علیه ان لا یفعل خیرا وقیل انها للتحضیض والاصل فالا اقتحم - قال ابن هشام وهذا ضعیف - وقال ابو حیان ولا یعرف ان لا وحدها تکون للتحضیض ولیس معها الهمزة واختلف فی تفسیر العقبة قال الحسن هی جهنم لا ینجی منها الا هذه الاعمال - وقال ابن عباس رض ومجاهد وکعب هی جبل فی جهنم - قال قتادة هی قحمة شدیدة فی جهنم - وقال ابن عباس رض العقبة النار وایضا روی عن کعب وقتادة هی نار دون الجسرة - وایضا قال الحسن هی مجاهدة النفس وهواه وعداوة الشیطان - وقال الضحاك الکلبی هی الصراط الذی یضرب علی جهنم کحد السیف والقول الاخر للحسن هو المرضی عندنا الفك تخلیص الشیء من الشیء - ومنه قول الحارث ابن حلزة الیشکری -

وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ   بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ

وفك الاسير فكاكة فصله من الاسر وجاء في الحديث عودوا المريض وفكوا العاني اى اطلقوا الاسير ويجوز ان يراد بها العتق فيكون معنى فك رقبة اطلاق ربقة العبودية من الرقبة اى عتقها - اَوْ اِطْعٰمٌ فِيْ يَوْمٍ ذِيْ مَسْغَبَةٍ يَّتِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ - قال ابن عباس رضـ مسغبة مجاعة على مفعلة وهو قول الفراء و قال النخعي في يوم ذى مسغبة اى عزيز فيه الطعام - يقال اسغب الرجل اذا دخل في الجوع و قيل لا يكون السغب الا مع التعب و ذى مسغبة صفة يوم اى في يوم ذى مجاعة وَيَتِيْمًا مفعول لاطعام - قال ابن عباس رضـ يقال ذو قرابة وذو مقربة واليتيم الفرد و يقال اليتم واليتيم لفقد ان الاب قال ابن السكيت اليتم في الناس من قبل الاب و في البهائم من قبل الام و لا يقال لمن فقد الام من الناس يتيم و لكن منقطع قال ابن برى اليتيم الذي يموت ابوه والعجى الذي تموت امه واللطيم هو الذي يموت ابواه - قال الليث الذي مات ابوه فهو يتيم حتى يبلغ فاذا بلغ زال عنه اسم اليتيم و يقال للمرأة يتيمة - قال ابو سعيد يقال للمرأة يتيمة لا يزول عنها اسم اليتم ابدا - و قال ابو طالب بن عبد المطلب في قصيدة انشدها في صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم -

وَاَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ   ثِمَالُ الْيَتَامٰى عِصْمَةٌ لِلْاَرَامِلِ

و قال ابو عبيدة تدعى يتيمة ما لم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم ويؤيد ما ذهب اليه ابو سعيد المفضل -

اَفَاطِمُ اِنِّيْ هَالِكٌ فَتَبَيَّنِيْ   وَلَا تَجْزَعِيْ كُلُّ النِّسَاءِ يَتِيْمُ

وقد يقال اليتيم هو الذي مات ابواه كما قال قيس بن الملوح العامري

الى الله اشكو فقد ليلى كما شكا ... الى الله فقد الوالدين يتيم

أو مسكينا ذا متربة - يقال ترب تربا اذا لزق في التراب وهو
المصدر على مفعلة وكذا المغربة - وقيل لصق بالتراب من الفقر -
وفي حديث فاطمة بنت قيس - واما معاوية فرجل ترب لا مال له
اي فقير - وقيل المسكنة والفاقة فيكون المعنى او مسكينا ذا مسكنة
وفاقة لاصق بالتراب - وقال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس
ولا غيره - وقال عكرمة هو المديون - وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
الذي ليس له بيت - ثم كان من الذين آمنوا - عطف على المنفي بلا
وجاء بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام لانه اصل لجميع الطاعات
ولا تصح بدونه - وتواصوا بالصبر - اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر
على المكاره او على طاعة الله او على مخالفة اهل البغي والعناد - وتواصوا
بالمرحمة - اي بالرحمة بين المؤمنين لانهم اخوان في الدين
وهو مصدر على مفعلة - أولئك أصحاب الميمنة - اي الموصوفون بالايمان
والتواصي بالصبر والمرحمة اصحاب اليمين اي يعطى صحائفهم في ايمانهم - او من
اليمن اي هم اصحاب البركة - والذين كفروا بآياتنا - من كتاب الله ودلائل
قاطعة - هم أصحاب المشأمة - اي اصحاب الشؤم وهم الذين يعطى صحائفهم في شمائلهم
والذين لا يفضيون الغضبة داخلون فيهم - عليهم نار مؤصدة - من اوصدت الباب
اذا اغلقته واطبقته - قال ابو عبيدة يقال أصدت واوصدت اذا اطبقت قرأ حمزة وحفص
موصدة بالواو وقرئ بالهمزة - قال ابن عباس رض معناها مغلقة الابواب - تم تفسير هذه السورة
فالحمد لله العظيم والصلاة على نبيه الكريم وعلى آله واصحابه الذين ارشدوا الناس الى الصراط المستقيم

سُورَةُ الشَّمْسِ هِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحٰهَا - قال ابو حيان قيل تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وأقسم ههنا بشيء من العالم العلوي والسفلي وبما هو آلة التفكر في ذلك وهو النفس انتهى والمعنى اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها - وهو قول الزجاج قيل تقدير الكلام - ورب الشمس وكذا في البواقي وهو ليس بشيء لان المعنى على هذا التقدير يكون ان الله تعالى اقسم برب الشمس وكذا في البواقي وهو لغو محض وكفر صريح - والشمس كوكب سيار مضيء على الفلك الرابع ينور باشعته الموجودات التي تكون تحت فلك القمر - وضحاها ضوءها وقال مجاهد هو ارتفاع الضوء وكماله وقال مقاتل حرها - وقال قتادة هو النهار - قال ابو حيان وهذا ليس بجيد لانه قد اقسم بالنهار - وقيل والضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها - والضحاء بالفتح والمد اذا ارتفع النهار واشتد وقع الشمس - اما الضحوة فهو ارتفاع - قال الفراء الضحى بالضم والقصر فوقه وبه سميت صلوة الضحى - وقد يقال ضحى لغة في الضحاء قال الشاعر -

طَرِبْتَ وَهَاجَتْكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ ... تَمِيْلُ بِهَا ضَحْوًا غُصُوْنٌ يَوَانِعُ

قال الجوهري الضحى مقصور يؤنث ويذكر - قال ابو حيان وما نقل عن المبرد من ان الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس والالف مقلوبة

من الحاء الثانية - وكذلك الواو في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية لعله مختلق عليه لان المبرد اجل من ان يذهب الى هذا وهما مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى - اقول ذكر صاحب اللسان - قال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس قال واصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء - وقالوا الضح قال ومثله القن اصله قني من القينة ثم ذكر وقال الازهري والصواب ان اصله الضحي من ضحيت الشمس - وقال الازهري في كتابه وكذلك اللحة اصلها الوحة فاسقطت الواو وابدلت الحاء مكانها فصارت لحة بحاءين - انتهى فما اعترض ابو حيان على المبرد وهو امام الادب والنحو باطل - وهذا الرجل ليس من اهل اللغة والادب ثم اقول والظاهر ان النور ليس ضياء كما قال الله تعالى جعلنا الشمس ضياء والقمر نورا - لان الضياء هو الاشراق الذي فيه احراق وحرارة والنور ليس فيه احراق وحرارة - فهما شيئان متغائران - والقمر اذا تلاها - وهو كوكب يطلع في فلك الدنيا ونوره ينفع ما كان تحت فلكه - قال الزجاج يقال تلى القمر اذا استدار وكمل نورها وقال الفراء تلاها اخذ منها يعنى ان القمر ياخذ من ضوء الشمس وكان لها تابعا للمنزل والضياء والقدر لانه ليس في الكواكب شئ يتلوا الشمس في هذا المعنى غير القمر - وقال قتادة انما ذلك البدر تغيب هي فيطلع هو - والمعنى ان القمر يتلو بعد غروب الشمس فيكون قائما مقامها في افادة النور والمنافع الاخر - والنهار اذا جلاها - قال الزجاج اي اضاءها لان الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء

فكانّه جلّاها - وعلى هذا التقدير يرجع ضمير المؤنث الى الشمس وقيل انّه يرجع الى الظّلمة او الى الارض او الى الدنيا وعلى هذه التقادير الضمير في جلّى يعود على النّهار - قال الفرّاء معناه اذا جلّى الظلمة فجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر في اوّله لانّ معناها معروف الا ترى انك تقول اصبحت باردةً وامست عريةً وهبّت شمالًا فكنّي عن مؤنثاتٍ لم يجر لهنّ ذكرٌ لانّ معناها معروف - والنّهار هو مدّة كون المخروط الّذي هو ظل الارض تحت الارض - والتجلّية هي الاظهار - وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰهَا - اى يغشى الشمس فيذهب ضوئها ويظلم الافاق وقيل والضمير عائد على الارض والانسب ان يعاد جميع الضمائر على الشمس - ويؤيده ما ذكره القفال وقال ان القسم بالشمس باعتبار اوصافٍ اربعةٍ - ضوءها عند ارتفاع النّهار - وتلو القمر لها باخذه الضوء - وتكامل اضوائها في النهار وغيابها بمجيء الليل هذا ملخص ما ذكره ابو حيّان - وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنٰهَا - وقال ابو حيان وما في قوله وما بناها وما طحيها وما سوّاها - بمعنى الّذى قاله الحسن ومجاهد وابو عبيدة واختاره الطبري - قالوا لانّ ما تقع على اولى العلم وغيرهم - وقال المبرّد والزّجاج وغيرهما انها مصدرية وقالوا انها لا تقع على اولى العلم - اقول وتفصيل الكلام في هذا الباب انّه اختلف في ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها - فقال بعض المفسرين انّها مصدرية وهو قول القاضى والمبرد والزجّاج وذلك لانّ قوله وما بناها - لا يجوز ان يكون المراد منه هو الله تعالى لانّ ما لا تستعمل في خالق السّماء الّا على ضربٍ من المجاز ولانّه لا يجوز منه تعالى

أن يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه ولأنه لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه فاذن لا بد من التأويل وهو مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وما بناها - واعترض عليه صاحب الكشاف وقال لو كان الأمر كذلك لزم من عطف قوله فألهمها عليه فساد النظم - قال الامام الرازي هذا الاعتراض حق - فذهب عليه صاحب الكشاف والامام الرازي الى انها موصولة - وأجابه أبو حيان وقال ولا يلزم ذلك لأنا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عائد على الله تعالى أي بناها هو الله تعالى ابقى ل انها اذا كانت مصدرية كان المعنى والسماء وبنائها فلا يكون فيه الضمير العائد على الله تعالى - واما ما قال ابو حيان ان ما ومن ليس فيهما معنى الوصفية فهو مخالف لما ذهب اليه ائمة النحاة فانهم ذهبوا الى ان الوصفية ليست في معنى من بخلاف ما فانه يوجد فيها معنى الوصفية والتفصيل في كتب النحو وهو مذهب صاحب الكشاف - واما ما يلزم من تقديم القسم بغيره على قسمه بنفسه تعالى فلوجيهه على ما ذكره الامام الرازي - وهو والذي يخطر ببالي في الجواب عنه أن أعظم المحسوسات هو الشمس فذكر سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالة على عظمها ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه للسماء والأرض وللمركبات ونبه على ذلك بذكر اشرفها وهي النفس والغرض من هذا الترتيب هو أن يتوافق العقل والحس على عظم جرم الشمس ثم يحتج العقل الساذج بالشمس بل بجميع السماويات والأرضيات والمركبات

على اثبات مبدئ لها فلا يخطئ العقل ههنا بادراك جلال الله وعظمته
على ما يليق به والحس لا ينازعه فيه فكان ذلك كالطريق الى جذب
العقل من حضيض عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء
الصمدية فسبحان من عظمت حكمته وكملت كلمته - والارض وما
طحاها - يقال طحى الشئ يطحاه طحيا اى بسطه - قال الازهرى الطحو
كالدحو وهو البسط وفيه لغتان طحا يطحو وطحا يطحى - قال الفراء طحاها
ودحاها واحد - قال شمر ومعناه ومن دحاها فابدل الطاء من الدال
قال ومعناه وسعها - قال ابن سيده واما قراءة الكسائى طحيها بالامالة
وكذا فى قوله تعالى تلاها - وان كانت من ذوات الواو فانما جاء
ذلك لانها جاءت مع ما يجوز ان يمال وهو يغشاها وبناها على انهم
قد قالوا مظلة مطحية فلولا ان الكسائى امال تلاها - من قوله والقمر
اذا تلاها - لقلنا انه حمله على قولهم مظلة مطحية - ونفس وما سواها
قال صاحب الكشاف فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما
ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم عليه السلام كأنها
قال او واحدة من النفوس والثانى ان يريد كل نفس وينكر للتكثير
على الطريقة المذكورة فى قوله علمت نفس اعترض ابو حيان على التقدير
الاول وقال وهذا فيه بعد للاوصاف المذكورة بعدها فلا تكون
الا للجنس الا ترى الى قوله قد افلح من زكاها - وقد خاب من دساها -
كيف يقتضى التغاير فى المزكى والمدسى - اقول قال الامام الرازى
قدس سره فى توجيه ما قاله صاحب الكشاف وبيانه انه يجوز ان يريد بها
نفسا خاصة من بين النفوس وهى النفس القدسية النبوية - وذلك

لان کل کثرة فلا بدّ فیه من واحد یکون هو الرئیس فالمرکبات جنس تحته انواع و رئیسها الحیوان والحیوان جنس تحته انواع ورئیسها الانسان والانسان اصناف ورئیسها النبی والانبیاء کانوا کثیرین فلا بد ان یکون هناك واحد یکون هو الرئیس المطلق فقوله ونفس هواشارة الی تلك النفس التی هی رئیسة لعالم المرکبات ریاسة بالذات انتهی - واقول ان النوع لا یدلّ الا علی حقیقة واحدة فلا کثرة فیه باعتبار هذا المعنی فهذه الحقیقة اما ان تصدق علی فرد واحد کشمس او تصدق علی افراد شتی - مثل انسان مثلاً فان له افراداً کثیرة یقال علی کل واحد منها انه انسان الا انه لا یصدق علی جمیع الافراد فی حالة واحدة لانه لا عموم فیه فلا یراد بقولنا جاء انسان جاء کل واحد من الانسان او جاء جماعة منه - ولا یتأتی ذلك الا بعد ان یدخل علیه ال او یقدّر قبله کلّ فتحقق بهذا انّ الاصل فیه هو الوحدة ولذلك قال صاحب الکشاف قلت فیه وجهان احدهما ان یرید بها نفساً خاصة الخ وبهذا اندفع ما قال ابو حیّان فالهمها ای الهمها الله - فجورها وتقوٰها - والمراد بالالهام هو الافهام بانّ احد الشیئین حسن والاخر قبیح ومنشأ هذا الافهام - هو العقل فالله تعالی وتقدّس لمّا اعطاها العقل فقد اعطاها الافهام فالواجب علی الانسان ان یتفکر فی التقوی والفجور ویختار منهما ماشاء هذا ما ذهب الیه المعتزلة - هذا اذا ارید بالالهام الافهام والاعقال کما ذهب الیه صاحب الکشاف - قال ابو حیّان وفیه وسیسة الاعتزال ولم یقل غیر هذا فی جوابه اقول لا نسلم ان الالهام هو الافهام لانّ

الهم في الاصل هو الابتلاع - قال صاحب اللسان وهذا قول الليث
ومنه الالهام وهو ما يلقي الله في النفس امرًا يبعثها على الفعل او على
الترك وهو نوع من الوحي وهو غير مختص بفرد من افراد الانسان
بل يكون لكل فرد من افراده - وهذا الالقاء من جملة قضائه
وقدره - فاذا كان ايمان المومن وكفر الكافر من قضائه وقدره كان
الهام التقوى - في نفس المؤمن والهام الفجور في نفس الكافر ايضًا من
قضائه وقدره فيلقي توفيق الايمان في نفس المؤمن والخذلان
في نفس الكافر - على ان الله تعالٰى - لما قال خالق كل شئ فاعبدوه والهام
التقوى شئ من الاشياء فاذا كان كل شئ مخلوقًا الله تعالى - كان الهام
التقوى والفجور مخلوقًا الله تعالٰى - ثم الافعال الاختيارية وان كانت
موقوفة على اختيار - الا ان الاختيار اما ان يكون واجبًا واما ان
يكون ممكنًا والاول محال فثبت الثاني وهو كونه ممكنا فاذا كان
ممكنًا وجب ان يكون محتاجًا في وجوده الى الله تعالٰى فيكون الاختيار
ايضًا مخلوقًا الله تعالٰى - فانك فعم ما قال صاحب الكشاف - اما ابو حيان فلعله
لا يعرف سوى النحو والقراءات فما وجدنا في تفسيره سوى مقاصد هذين
العلمين - قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰهَا - اى قد فاز من زكّى نفسه - واصل
الزكوة - في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح - والزكوة
وزنها فعلة كالصدقة فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت
الفًا فيكون المعنى على هذا التقدير قد فاز من انماها وطهرها من
ادناس الذنوب - قال الشيخ الاكبر في تحفة السفرة الاية
تدل على الوصول الى المقامات ولا تحصل الا بتزكية النفس و

تصفية القلب وتجلية الروح والمقصود بالذات هي تجلية الروح ولا يحصل تجلية الروح الا بتصفية القلب وتصفية القلب لا تحصل الا بتزكية النفس فالتزكية هي الواجب - انتهى فالصفات النفسانية مبتعها هو عصيان النفس عن اطاعة الله فمتى ازداد عصيانها عنها ازداد سواد القلب حتى يسود بالكلية فاذا اسود كله انسد عليه ابواب الفيوض الالهية - قال الشيخ الاكبر اما انجلاء سواده فلا يكون الا بنور الايمان - روى عن علي رضي الله عنه انه قال الايمان يبدو لمظة كالنكتة البيضاء في القلب فمتى ازداد الايمان ازداد اللمظة - ثم الايمان وان كان هو التصديق الا ان كماله لا يحصل الا بالعبادات كما هو مذهب اهل التحقيق - وافضلها معرفة قول لا اله الا الله فاذا حصلت معرفته لا يبقى في الوجود الا الله وهذا هو حق اليقين عند اهل المعرفة فمثل هذا العارف يعرف معنى قوله عليه الصلوة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة واختلف في ان قوله قد افلح من زكاها - هل هو جواب القسم ام لا قال الزجاج وغيره هذا جواب القسم وحذفت اللام لطول الكلام والتقدير - لقد افلح وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثن - وقال صاحب الكشاف تقديره ليدمدمن الله عليهم اى اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا عليه السلام اما قوله تعالى - قد افلح من زكاها - فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها - على سبيل الاستطراد - وليس من جواب القسم في شيء انتهى قال ابو حيان والظاهر ان فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من قاله

الحَسَنُ وغیرہ ویجوز ان یکون ضمیر للہ تعالی و عاد الضمیر مؤنثا باعتبار
المعنیٰ من مراعاۃ التانیث - وفی الحدیث ما یشہد لھذا التاویل کان
علیہ السلام اذا قرأ ھذہ الایۃ - قال اللھم آت نفسی تقوٰھا وزکّھا
انت خیر من زکّاھا انت ولیّھا ومولاھا - وفی ھذا الاستدلال بحثٌ
وقال الزمخشری واما قول من زعم ان الضمیر فی زکّی ودسّی للہ تعالی
وان الضمیر المؤنث الراجع الی مَنْ لانّہ فی معنی النَّفْس فمن تعکیس
القدریۃ الذین یورّکون علی اللہ قدرًا ھو برئ منہ ومتعال عنہ
ویحیون لیالیھم فی تمحّل فاحشۃ ینسبونھا الیہ تعالی انتہی - قال
ابو حیّان فجری علی عادتہ فی سبّ اھل السنۃ وقائل ھذا ھو بحر العلم
عبد اللہ بن عباسؓ والرسول صلی اللہ علیہ وسلم - وھو قولہ وزکّھا
انت خیر من زکّاھا - انتہی قیل وعلی تقدیر کون ضمیر زکّی ودسّی عائدا
علی اللہ تعالی یکون تحقیقا لمذھب اھل الجبر ذلک لان العبد لیس
فی اختیارہ شئ لان کل ما سوی اللہ تعالی - فھو واقعٌ بقضائہ وقدرہ
وداخل تحت ایجادہ وتکوینہ - اقول ان الھام التقوی والفجور فی
قلب العبد لا یستلزم ایجادھما منہ بل قذفھما فی قلبہ لیس الا امتحانا
وتکلیفا کما قلنا فمن مال الی التقوی یکون مومنا ومَنْ مالَ الی
الفجور یکون کافرا فالمیلان ھو الذی کان مناط ثوابہ وعقابہ فلا جبر
وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّٰھَا - دسّٰھا اصلہ دسّسھا أبدلت السین بالیاء
فصار دسّٰھا والتدسیس الاخفاء - قال ثعلبٌ سألت ابن الاعرابی
عن تفسیر ھذہ الایۃ فقال معناھا من دسّ نفسہ مع الصالحین
ولیس ھو منھم قال وقال الفرّاء خابت نفسٌ من دسّاھا اللہ عزّوجلّ

قال الازهري اراد الله عز وجل بهذا الموؤدة التي كانوا يدفنونها
وهي حية - اقول والقول ما قال الفراء - وفيه رد لما ذهب اليه
صاحب الكشاف وهو الذي ذكرناه آنفًا - فإن قلت ان تزكية
النفس اذا أسندت الى النفس بلا واسطة ثبت مذهب المعتزلة
لانهم ذهبوا الى ان افعال العباد مخلوقة لهم وكذا القول في التدسيس
قلت ان ميل النفس هو شئ من الاشياء فهو داخل في عموم معنى قوله
تعالى - خالق كل شئ فاعبدوه فيكون ميل نفس العبد مخلوقًا لله تعالى
وكذا مشيته العبد لتخرج من القوة الى الفعل الا بمشية الله كما
قال الله تعالى - وَمَا تَشَاؤُنَ اِلَّا اَنْ يَّشَاءَ اللهُ - في تزكية النفس وتدسيسها
لا تصدر من العبد الا بمشية الله تعالى - أما نفس الميل الى الشئ فهو
مسند الى العبد والى ذلك قد يكون من الله واعى وهي ايضًا مخلوقة
لله تعالى - لكن البيان هو الاصل في باب الثواب والعقل وتمام هذا
القول بفصله وتفصيله ذكرناه في محله - كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ بِطَغْوٰهَا
قرأ الجمهور بطغواها بفتح الطاء وهو مصدر من الطغيان - وقرأ
الحسن بضم الطاء كالرجعى - قال الزجاج اصل طغواها طغياها لان
فعلى اذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واوًا ليفصل بين
الاسم والصفة تقول تقوى وانما هي من تقيت والبقوى وهي من
بقيت - وقال الواحدي اي لانه مصدر - قراءة قد جاء طغيا - قال
ابو بكر الطغيا البغي والكفر والنعمة -

نان زكيته صحيا ثم وتملئه فليس علي اب الي غيرهم بلا ريب

قال الفراء معناه الطغيان لانه الطغوى اشكل برؤس الآيات

فاختير لذلك و المعنى أنّ ثمود كذّبوا بالله و رسوله بطغيانهم في
نعم الدنيا و نسوا الله فاهلكهم الله - إِذِ انْبَعَثَ أَشْقٰهَا - يقال
انبعث فلان لشأنه اذا ثار و مضى ذاهبًا لقضاء حاجته اى خرج
لعقر الناقة - و الناصب لاذ كذّبت - و المراد بالاشقى قدار بن سالف
قال ابو حيان و قد يراد به الجماعة - لان افعل التفضيل اذا اضيف
الى معرفة جاز افراده و ان عنى به جمع - انتهى - فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ
اللهِ - الضمير في لهم يرجع الى ثمود - و قيل يجوز ان يعود على اشقها - اذا
اريد به معنى الجمع - و المراد برسول الله صالح عليه السلام - نَاقَةَ
اللهِ - قرأ الجمهور ناقة الله بالنصب وهو منصوب على التحذير اى اتقوا
ناقة الله - وهو قول الفراء و قال الزجاج ذروا ناقة الله - وَ سُقْيٰهَا
معطوف على قوله ناقة الله - اى ذروا سقيا يا و لا تخفروا عهدكم
وهو ان لها شرب يوم و لهم شرب يوم - السّقي مصدر و السّقيا
اسم - فَكَذَّبُوْهُ - تحذيره عليه السلام - فَعَقَرُوْهَا - اى قتلوها
قال الفراء عقرها اثنان منهم - اقول و كذا روى احمد بن حنبل في
مسنده - فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ - قرأ الجمهور فدمدم بميم - و ابن
الزبير فدهدم بهاء بينها - يقال دهدم الشيء اذا قلب بعضه على
بعض - و هذه قراءة شاذة قال ابن الانباري دمدم اى غضب
و قال ابو زيد معناه دمّر و منه قول الاعشى -

سَاقَ شِعْرِيْ لَهُمْ قَافِيَةً وَ عَلَيْهِمْ صَارَ شِعْرِيْ دَمْدَمَه

و قال بعض المفسرين معنى دمدم ارجف الارض بهم - و قال ابو اسحق
معناه اطبق عليهم العذاب يقال دملمت على الشيء اى اطبقت عليه

وكذلك دمدمت عليه القبر اي سوّيت عليه - قال صاحب الصّحاح معناه الزق عليهم يقال دمدمت الشيء اي الزقته بالارض - بذنبهم اي بسبب عقر الناقة والاستكبار عن الله ورسوله - فسوّٰها الضمير المؤنث يعود على ثمود وعشيرتهم اي فاهلكهم جميعًا وطحطح صغيرهم وكبيرهم وذكورهم ونساءهم وهذا قول الفرّاء - قال المفسرون ولم يفلت منهم الا من كان مع صالح عليه السلام - ولا يخاف عقبٰها قيل والضمير في يخاف يرجع الى الاشقى الذي عقر ناقة الله فهو لا يخاف عقبى نفسه لانه لم يلتفت الى وعيد الله - بل كذّب به - وقيل يعود على الدمدمة - اي لا يخاف عاقبة الدمدمة - او عاقبة هلاك ثمود فيبقى بعض الابقاء - وعلى هذا التقدير يرجع الضمير في قوله لا يخاف الى الله فيكون الخوف بالنسبة الى الله تعالى من الصفات السلبيّة - وقيل الضمير في لا يخاف يعود على صالح عليه السلام يعني انّ صالحًا عليه السّلام - لا يخاف عاقبة اهلاك قومه لانّه قد انذرهم قبل - والظاهر انّ في قول الاوّل والثالث انتشار الضمائر لان فاعل دمدم هو الله تعالى - وفاعل لا يخاف صالح عليه السّلام - فالقول الثاني هو الاولى - وهو قول اكثر المفسرين وهذه الجملة حال من فاعل دمدم - قرأ الجمهور بالواو ونافع وابن عامر بالفاء اي فلا يخاف عقبٰها - تمّ تفسير هذه السورة فالحمد لله ربّ العالمين - والصلوٰة على محمّد سيد المرسلين وعلى اله الكاملين المكملين وعلى اصحابه

الفاضلين المتفضّلين

سورة الليل مكية وآياتها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ - اقسم الله سبحانه بالليل الذي فيه سبات ثنا سكون لكل حيوان بعد التردد في النهار لتحصيل ما يفتقر اليه ومفعول يغشى محذوف وهو النهار او كل ما يواريه بظلامه والليل عبارة عن كون المخروط الذي هو الظل فوق الارض وبين الشمس تحتها فيبدو الظلمة على وجه الارض فهذه الظلمة تعبر بالليل - وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ بطلوع الشمس او بزوال الظلمة وتجلى النهار اى انكشف وقرأ الجمهور تجلى فعلاً ماضيا - فاعله ضمير النهار - وقرئ تُجلّى بضم التاء وسكون الجيم اى الشمس - وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ - اختلف في ما فقيل مصدرية وقيل بمعنى الذى - والظاهر عمومه في الذكر والانثى - وقيل يراد بهما بنو آدم - وقال ابن عباس رضى الله عنهما والكلبي والحسن رض هما آدم ع وحواء - والثابت في مصاحف الامصار وهي القرأة المتواترة وجاء بجر الذكر والانثى كما روى في الصحيحين وهذه القراءة نقلت من آحاد قال ابو حيان وذكر ثعلب ان من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر الذكر - قال صاحب الكشاف وعن الكسائي وقد خرج على البدل من ما على تقدير والذى خلق الله - وقد يخرج على انه المصدر اى وخلق الذكر والانثى كما قال الشاعر -

تَطُوفُ الْعُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ ... كَمَا طَافَ بِالْبِيعَةِ الرَّاهِبُ

بجرّ الراهب على توهّم النّطق بالمصدر اى كطواف الراهب بالبيعة
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى - جمع شتيت - من شتّ الامر يشتّ شتًّا وشتاتًا
تفرّق - و الشتيت المنفرق - و منه قول روبة يصف ابلا -
جَاءَتْ مَعًا وَاطْرَقَتْ شَتِيتًا وَهِيَ تُثِيرُ السَّاطِعَ السَّخْتِيتًا
و قيل للمختلف شتى لتباعد مابين بعضه و بعض و سعيكم مصدر
مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنىً اى مساعيكم مختلفة فى اكتساب
جزائكم - اى ان سعى الانفاذ نفسه عن النار فلعلّ الله ينقذه عنها
و ان سعى فى اقتحام نفسه فى النار - فيدخله الله فيها كما روى
ابو مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم - انه قال
كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها - اى مهلكها
و المراد بسعى الانسان فى الشئ ارادته فيه لان كل شئ مخلوق
لله تعالى كما قال الله تعالى - خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ - اى خلقكم و خلق
اعمالكم لان الخالقية صفته تعالى على التحقيق فلا يتصرف بها غيره تعالى
قطعًا - فَاَمَّا مَنْ اَعْطٰى - اى انفق ماله فى سبيل الله بخلوص النية
اختلف فى شان نزول هذه الاية - فقال بعضهم انها نزلت فى ابى بكر
الصديق رضى الله عنه لانه كان يعتق العبيد الذين اسلموا وكانوا
فى ايدى الكفار وهم يعذبونهم بكونهم مسلمين - وهو قول
عبد الله بن ابى اوفى و قال السدى نزلت فى ابى الدحداح الانصارى
رضى الله - انه كان يعلق بالمسجد صدقةً للفقراء و الايتام وروى
ان النخلة من الجنة كانت اغصانها تشرف على بيتهم فيسقط منها
رطب فياخذه الايتام فمنعهم المنافق - فجاء ابو الدحداح وقال

يا رسول الله انا اشتری النخلة التی فی تلك الجنة بهذه فاشتراه
واجاز الايتام من اكل رطبها - وحذف مفعول اعطى لان الثناء بنی
على فعل العطاء ولا يحتاج فيه لبيان المعطى له واختلف فی مقدار
العطاء فقيل المراد به انفاق جميع المال كانفاق ابی بكر الصديق
رضی الله عنه - وقيل المراد به بعضه كانفاق غيره من الصحابة
رضی الله عنهم - وَاتَّقٰى - محارم الله - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنٰى - ای ايقن
بالحسنى قال المجاهد والمراد بالحسنى الجنة - وقال ابن عباس رضی الله
عنهما - والضحاك هی كلمة لا اله الا الله - فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْيُسْرٰى - قال
الفراء ای سنهيئ قال العرب قد يسرت الغنم اذا ولدت او تهيأت
للولادة للخصلة التی هی حسنى والمراد بها طاعة الله ومرضاته
قال القسطلانی والسين فی كلا الموضعين للتلطيف - وَاَمَّا مَنْ
بَخِلَ - ولم ينفق ماله فی سبيل الله - وَاسْتَغْنٰى - عن الآخرة ورضی
عن شهوات الدنيا - وَكَذَّبَ بِالْحُسْنٰى - ای بالجنة او بكلمة
لا اله الا الله - فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْعُسْرٰى - فسنهيئه للخطة العسرى
والمراد بها الشر الذی يوصل عامله الى عذاب الله - قال الفراء
لقائل ان يقول كيف قال ذلك وهل فی العسرى تيسيرا - قيل فی جوابه
انه اذا كان معنى التيسير التهيئة وذلك يكون فی اليسرى والعسرى
ويؤيده ما قال النبی صلی الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر
لما خلق له - فالايمان ميسر للمؤمن والكفر للكافر - وَمَا يُغْنِىْ عَنْهُ
شَيْئًا - مَالُهٗ - الذی كان يبخل به - اِذَا تَرَدّٰى - يقال ردى فی
البئر وتردى اذا سقط - وقيل معناه مات وقال بعضهم اذا تردّى

ای اذا سقط فی النار وھو قول قتادۃ وابو صالح - وقال قوم معناہ تردی فی اکفانه - من الردی - ومنه قول مالک بن الذئب

وَخَطَّا بِاَطْرَافِ الْاَسِنَّةِ مَضْجَعِیْ وَرُدَّا عَلٰی عَیْنَیَّ فَضْلَ رِدَائِیَا

اِنَّ عَلَیْنَا لَلْهُدٰی - والمراد بالھدایة ھی الایصال الی البغیة - ای انا نرشدکم الی الھدی - قالت المعتزلة ان کلمة علی للوجوب فدل علی انھا واجبة علی اللہ تعالی - اقول ان الوجوب بالمعنی المتعارف وھو الذی یستحق تارکه الذم والذی یستحق تارکه العذاب فلیس شیٔ علی اللہ تعالی - واجب بھذین المعنیین لان البارئ عز اسمه عنا فاعل مختار فلا یجب علیه شیٔ من الاشیاء فالوجوب بمعنی اصلاح العبد ایضا لا یجب علیه قال الزجاج علینا ان نبین طریق الھدی من طریق الضلال - قال الفراء من سلک الھدی فعلی اللہ سبیله لقوله وعلی اللہ قصد السبیل - وقال الفراء ایضا ان علینا الھدی والاضلال فحذف الاضلال - کقوله سرابیل تقیکم الحر ای الحر والبرد

وَاِنَّ لَنَا لَلْاٰخِرَةَ وَالْاُوْلٰی - ای نحن مالک الدین والدنیا فنتصرف فیھما کیف نشاء - فالھدایة الی الدین والمیل الی الدنیا لیس الا بقدرتنا وارادتنا والعبد لیس فی قدرته الا اکتساب ما قدرنا له فان اراد الخیر والھدی درکه قدرتنا فاھتدی واختار الصراط المستقیم الذی یوصله الی الجنة والنعیم وان مال الی الضلال والعمی ادرکه قدرتنا فغوی - واثر السبیل الذی یؤدیه الی نار الجحیم - فَاَنْذَرْتُکُمْ علی لسان الرسل - نَارًا تَلَظّٰی - الانذار التخویف بشیٔ یوجد فی الاستقبال - تلظی اصله تتلظی فحذف احدی التائین تخفیفا وقری

على الاصل اللّظى النار وقيل اللهب الخالص قال الاعشى -

في موقف ذرب الشبا وكانما فيه الرجال على الاطائم واللظى

وتلظّى النار تلهّبها - ونار تلظّى اى تتلهّب و تتوقد - لا يصلها - صلى يصلى اى دخل يدخل - اِلّا الاشقى الذي كذب وتولّى قال الفرّاء معناه الا من كان شقيًّا في علم الله انتهى - ويدل هذه الآية ان النار لا يصلاها احد من الناس الا من يوجد فيه هاتان الصفتان احداهما التكذيب وثانيتهما التولّي فمن كان فيه هاتان الصفتان فانّه هو الاشقى - فليس مكانه الا النار - ومن وجد فيه احداهما فهو ايضا في النار لانّ كل واحدة منهما توجب دخول النار - ومن لم توجدا فيه لم يدخل النار لانتفاء علة موجبة له وسيجنّبها الاتقى - قال اكثر المفسرين ان المراد به ابوبكر الصديق رضي الله عنه واليه ذهب الواحدي في تفسيره - قالت الشيعة انها نزلت في شان علي بن ابي طالب رضي الله عنه - والدليل عليه قوله تعالى - ويؤتون الزكوة وهم راكعون - فقوله الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى اشارة الى ما في تلك الآية من قوله يؤتون الزكوة وهم راكعون - قال الامام الرازي في جوابه ان المراد من هذا الاتقى افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم - والاكرم هو الاتقى والامة مجتمعة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبكر الصديق رضي الله عنه فيكون هو الاتقى انتهى - فقول الشيعة ان المراد به علي من هذين القولين باطل - لانه لو كان كذلك لما جنّب النار على رضي الله عنه

امّا الباقون من الصحابة رض واهل بيته صلى الله عليه وسلم فانهم لا يجنبون النّار - بل يدخلونها هذا على تقدير ان يراد بالاتقى ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه لو جنّب ان لا يجنب النّار الا هو - واما ما عداه من الصحابة واهل البيت فانّهم لا يجنّبون النّار - والعجب من الامام الرازى رض كيف قال مثل هذا القول مع تبحّره - واما ما قال الامام الرازى رض انّ افضل الخلق بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم هو ابو بكر الصديق رض فهو ايضا باطل لانه قد تقرّر ان عيسى عليه السلام - ينزل فى هذه الامّة قرب قيام السّاعة ولا مرية فى كونه رسولا وخليفة الله على الامّة المحمّدية وان كان لا يبعث بكونه رسولا بل يبعث بكونه تابعا للنبى صلى الله عليه وسلم - الا انّه اكرم الامّة واشرفها بكونه خليفة الله وظاهر انه بكونه خليفة الله معصوما عن الخطاء فلابدّ ان يكون عليه السّلام - افضل من ابى بكر الصديق رضى الله عنه - لكونه خليفة رسول الله وعدم عصمته - قال الامام الرازىّ رض والدليل على كونه افضل الخلق قوله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ - اقول انّ المخاطبين اما انْ يكونوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيلزم ان يكون الدليل اخصّ من الدعوى وهو باطل - وامّا انْ يكونوا هم المؤمنون الى يوم القيامة فيلزم انْ يكون الاكرم وهو ابو بكر رضى الله عنه افضل من عيسى عليه السلام - والمهدى عليه السّلام - لانّهما يبعثان فى هذه الامّة وهما بكونهما خليفتين لله تعالى افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ان يكون ابو بكر رض افضل الخلق والحق انّ الانبياء عليهم السّلام اكرمون وليسوا افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم - لانّ افضل

الحق بالاجماع هو نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبطل
أَنْ يكون هذا الاتقى افضل الخلق - فما ذهب اليه الامام الرازي
وغيره باطل قطعا - والصحيح أنّ الاتقى عام يتناول كل من يؤتي الزكاة
ويتزكى ماله والله اعلم - اَلَّذِيْ يُؤْتِيْ مَالَهٗ يَتَزَكّٰى - اي يعطي ماله
في وجوه الخير والانسب أَنْ يقال يعطي ماله يتزكى وَ يتزكى
في محل الحال - قرأ الجمهور يتزكّى من تزكّى يتزكّى - وقرأ علي
ابن الحسين رضى الله عنهما - بادغام التاء في الزاء - وَمَا لِاَحَدٍ
عِنْدَهٗ مِنْ نِّعْمَةٍ - اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها أَنْ
تُجْزٰى - اي نجازي - اِلَّا ابْتِغَآءَ - اي طلب - وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلٰى
استثناء منقطع اي لايجزى الامن اتى ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى
بخلوص النية وصدق الارادة لاعلى قصد الاجر والثواب
قرأ الجمهور ابتغاء بالنصب والمد وقرئ بالقصر - وقال
الفراء ويجوز الرفع في ابتغاء على انه بدل من
محل قوله من نعمة - وَلَسَوْفَ يَرْضٰى
بما نعطيه من الاجر الجزيل واللام
هي المؤطئة للقسم اي بالله
لسوف يرضى
تم تفسير هذه السورة فالحمد لله الودود - والصلوة على
من هو محمد ومحمود - مشفع المذنبين في يوم الموعود
وعلى اله واصحابه الذين كانوا حوله في المقام المحمود

سورة الضحى احدى عشرة اية وهي مكية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحٰى - اى اقسم بالضحى وهو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار وقيل ان الضحى من طلوع الشمس الى ان يرتفع النهار وتبيض الشمس جدًا ثم بعد ذلك الضحاء الى قريب من نصف النهار - قال الفراء وضحاها نهارها وكذلك قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى هو نهاره كله - قال الجوهرى الضحى منصوبة تونث وتذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن - وبه سميت صلوة الضحى - قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضحوا بصلوة الضحى اى صلوها لوقتها ولا تؤخروها الى ارتفاع الشمس - وَالَّيْلِ اِذَا سَجٰى - قال الفراء معناه اذا اظلم وركد فى طوله كما يقال بحر ساج وليل ساج اى اذا اظلم وركد ومعنى ركد سكن وهو قول ابن الاعرابى ومنه قول الاعشى

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم ... وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

ومنه حديث على المرتضى رضى الله وكرم وجهه لا ليل داج ولا بحر ساج اى ساكن - قال الزجاج سجا سكن - وانشد لحارثى

يا حبذا القمراء والليل الساج ... وطرق مثل ملاء النساج

قال الاصمعى سجو الليل تغطيته للنهار - مثل ما يسجى الرجل بالثوب ... ليلة ساجية اذا كانت ساكنة البرد والريح والرواءة

ساجیۃٌ و عین ساجیۃٌ و سجواء ای فاترۃ الطرف ساکنۃ - وجاء فی الحدیث لما مات النبیّ علیه الصّلاۃ و السّلام سُجّیَ ببردحبرۃ ای غُطّی

ای اقسم باللیل الذی اذا اظلم و سکن - مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلٰی قال المفسّرون ان الیهود سالت رسول الله صلی الله علیه و سلم عن الروح و ذی القرنین و اصحاب الکهف فقال ساُخبرکم غدًا و لم یقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحی قیل اثنا عشر یومًا و قیل خمسة وعشرون یومًا فاشتهر ابطاءُ الوحی بین الکفّار فقالوا قد قلاہ الله و وَدَّعه فانزل الله تعالٰی هذہ الاٰیة - و روی عن ابن عباس رضی الله عنهما - ابطاء الوحی مرّةً علی الرّسول علیه الصلاۃ و السّلام و هو بمکّة حتی شقّ ذلک علیه - فقالت امّ جمیل امرأۃ ابی لهب یا محمّد ما اری شیطانك الّا ترکك فنزلت وقال زید بن اسلم انّما احتبس عنه جبریل علیه السلام لجرو کلب کان فی بیته - قرأ الجمهور ما ودّعك بتشدید الدّال ای ما ترکك و الودع الترك والتودیع مبالغة فیه - ومنه قول الشاعر

وَکَانَ مَا قَدَّمُوْا لِاَنْفُسِهِمْ اَکْثَرَ نَفْعًا مِنَ الَّذِی وَدَعُوْا

وما قال ابو حیّان فی تفسیرہ وَاسْتَغْنَتِ العرب فی فصیح کلامها بترك و دع و وذر وعن اسم فاعلهما بتارك و عن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وهو منظور فیه اقول قال صاحب اللسان و فی حدیث ابن عباس رضی الله عنهما - ان النبی صلی الله علیه وسلم قال لینتهینّ اقوام عن ودعهم الجمعة لیختمنّ علی قلوبهم عن ترکهم ایاها - و قد جاء فی بیت انشادہ ابی علی الفارسی فی البصریات

فَأَيُّهُمَا مَا أَتْبَعَنَّ فَإِنَّنِي   حَزِينٌ عَلَى تَرْكِ الَّذِي أَنَا وَادِعٌ

وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

وَسَارَتْ الْمَطِيَّةَ مَوْدُوعَةً   تُضْحِي دُوَيْدًا وَتُمْسِي دُوَيْدًا

وهذه الشواهد تدل على ان الودع ومشتقاته من الفاعل والمفعول كانت مستعملة وكان استعمالهم صحيحًا فی القیاس والوجه ان اکثر کلامهم قد ضاع فی الحروب والاغارات والارتحال من مربع الی مربع فبقی منه اقل قلیل - ولهذا قال ابن الاثیر ان المصدر ومشتقاته تستعمل قلیلًا - فما زعم ابو حیان وبعض النحاة ان الودع وبعض مشتقاته اماتها العرب ضعیف ومن یکون افصح العرب من رسول الله صلی الله علیه وسلم فانه قال عن ودعهم الجمعة - ولذلك قرأ عروة بن الزبیر وابنه هشام ودع بالتخفیف والقلی البغض یقال قلاه یقلیه قلی - وحکی سیبویه قلی یقلی قال صاحب اللسان وهو نادر واحکی ابن جنی قلاه وقلیه قال وأری یقلی انما هو علی قلی بکسر اللام - انتهی ویقال فی المصدر قلاء بالمد ومنه قول نصیب -

عَلَيْكِ السَّلَامُ لَا مُلِلْتِ قَرِيبَةً   وَمَا لَكِ عِنْدِي إِنْ نَأَيْتِ قَلَاءُ

قال الفراء وقوله ما قلی التابع الذي یکون معه ولذلك قال المشرکون قد ودع محمدًا ربه وقلاه - فانزل الله تعالی ما ودعك ربك وما قلی اذا دعما فلوك فالقی الکاف فد اعطیتك واحسنت والمعنی واحسنت الیك فیکتفی بالکاف الاولی من اعادة الاخری

قال الزجاج ومعناه لم ینقطع الوحی عنك ولا ابغضك - وللاخرة

خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ - ای من الدنیا - وذلک لان الاخرة باقیة خالصة عن الشوائب والمکارہ والدنیا مملوّة بالاکدار والمضار قال صاحب الکشاف فان قلت کیف اتصل قوله وللاخرة خیر لک من الاولی بما قبله قلت لما کان فی ضمن التودیع والقلی - ان الله مواصلک بالوحی الیک وانت حبیب الله ولا ترى کرامة اعظم من ذلک ولا نعمة اجل منه اخبرہ ان حاله فی الاخرة اعظم من ذلک واجل وهو السبق والتقدم علی جمیع انبیاء الله ورسله وشهادة امّته علی سائر الامم - ورفع درجات المؤمنین واعلاء مراتبهم بشفاعته - وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ - قال ابو حیّان واللام فی قوله للاخرة ولسوف لام ابتداء اکدت مضمون الجملة ای ولانت سوف یعطیک وهو مبتدأ - انتهی - وجمعهما مع سوف للدلالة علی ان العطاء کائن لامحالة وان تاخر والمراد بالعطاء عطاء الدارین - امّا العطاء فی الدنیا فهو ظهور امرہ واعلاء دین الاسلام - وفتح مکة وفتوح البلدان والامصار بعد وفاته مثل روم وفارس وغیرهما - وامّا فی الدین فهو اجابة شفاعته فی حق اهل الکبائر من امّته وتقدمه علی سائر الانبیاء والمرسلین علیهم الصلاة والسلام - وارتقائه من مقام الحامدیّة الی المقام المحمود ولیس فوقه مقام عند اهل الحق والتحقیق - ثم ذکر الله سبحانه ما افاض علیه من نعمه السابغة - أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ - الوجود بمعنی العلم ای الم یعلمک یتیمًا فاوی فی فضله ورحمته او بمعنی المصادفة ای الم یصادفک یتیمًا وعلی هذا

یکون یتیماً حالاً - والمعنی الم تکن یتیماً وذلک ان اباه مات وهو جنین قد اتت علیه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنین فکفله عمه ابو طالب وعطفه الله علیه فاحسن تربیته هذا ما ذکره صاحب الکشاف - قرأ الجمهور فاٰوی یقال اٰوی یؤدی ایواءً وابو الاشهب اوی ثلاثیاً بمعنی رحم - قال الشاعر

اَرَانِیْ وَلَا کُفْرَانَ لِلّٰہِ اٰیَةً ۔ لِنَفْسِیْ لَقَدْ طَالَبْتُ غَیْرَ مُنِیْلِ

اراد اویت لنفسی ایة ای رحمتها ورققت لها وهو اعتراض غیر منیل ای مقلق من الفزع - وقال ذوالرمة

عَلٰی اَمْرِ مَنْ لَمْ یُشْوِنِیْ ضُرُّ اَمْرِهٖ ۔ وَلَوْ اَنَّنِیْ اَسْتَاوِیْتُهٗ مَا اَوٰی لِیَا

وَوَجَدَکَ ضَآلًّا فَهَدٰی - قال الزجاج معنی ضالاً لم تکن تدری القرآن ولا الشرائع فهداک لذلک ولیس لانحراف به عن الحق فهذا کقوله تعالی ما کنت تدری ما الکتاب والایمان - قال الفراء معناه وجدک فی قوم ضلالٍ فهداهم الله بک وهو بقول الکلبی والسدی - وقیل ضلاله من حلیمة مرضعته - قال ابوحیان معناه علی حذف المضاف ای وجد قومک ضالاً - نحو قوله تعالی واسئل القریة - قال الامام الرازیؒ وروی مرفوعاً انه علیه الصلاة والسلام قال ضللت عن جدی عبد المطلب وانا صبی ضائع کاد الجوع یقتلنی فهدانی الله ذکره الضحاک وذکر تعلقه باستار الکعبة وقوله -

یَا رَبِّ رُدَّ وَلَدِیْ مُحَمَّدًا ۔ اُرْدُدْهُ رَبِّیْ وَاصْطَنِعْ عِنْدِیْ یَدًا

فمازال یردده هذا البیت عند البیت حتی اتاه ابن جهل علی ناقته

وبیان قوله تعالی ووجدک ضالا فهدی ووجدک عائلا فاغنی

و محمد بين يديه و هو يقول ما ذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب
و لم قال انى انخت الناقة و اركبته من خلفى فابت الناقة ان تقوم
فلما اركبته امامى قامت الناقة - قال ابن عباس رض رده الله الى جده
بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه اقول والضلال
هو النسيان كما قال الله تعالى ممن ترضون من الشهداء ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى معناه ان تنسى و هذا قول الزجاج
والاية تدل على ان سبحانه تعالى تعاهد اصلاح محمد صلى الله عليه
و سلم - و تربيته على نفسه فلذلك قال الم يجدك يتيما فاوى
اى جعل له ماوى عنده فرباه باحسن تربية و اصلحه اصلح تهذيب
ثم قال ووجدك ضالا اى ناسيا كنه نفسه لانه صلى الله عليه و سلم
لم يكن عارفا ان نفسه ازكى و ابهى و اصفى من نفوس جميع الانبياء
و الرسل عليهم السلام - حتى انها كانت مراة لتجليات صفاته
بل لذاته فهداه رب العالمين الى معرفة نفسه حتى توصله الى
معرفة ذاته تعالى - و اليه اشار النبى صلى الله عليه و سلم من عرف
نفسه فقد عرف ربه - ووجدك عائلا فاغنى - و العائل
هو الفقير - و منه قول جرير -

الله نزل فى الكتاب فريضة لابن السبيل و للفقير العائل

وجاء فى الحديث ان الله يبغض العائل المختال - من عال يعيل
عيلة - اى افتقر يفتقر افتقارا و منه قوله تعالى - و ان خفتم
عيلة - قال احيحة -

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل

ای یفتقر - قال مقاتل فاغنی رضاک بما اعطاک من الرزق وقیل اغناک بالقناعة والصبر - وقیل بالکفاف - اقول وَوَجَدَكَ عَآئِلًا ای محتاجًا وذلک لانّ کل ممکن محتاج الی من هو جاعله ومربیه فاغناک ای اوصلک من مقام العیلة والفقر الی مقام الغنی حتی جعلک غنیًا فهذه الآیة تدل علی انّ الرسول صلی الله علیه وسلم عروجًا من الامکان الی مقام الغنی والصمدیة وهذا منتهی سیر الممکن وعروجه والله اعلم بالصواب - فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ قال مجاهد لا تحتقر الیتیم فقد کنت یتیمًا - قال الفرّاء والزّجّاج لا تقهره علی ماله فتذهب بحقه لضعفه - قال الاخفش لا تسلط علیه بالظّلم ادفع علیه حقّه واذکر یتمک - قرأ الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود رضی الله عنه بالکاف ای فلا تکهر - قال ابو حیّان وهی بمعنی قرأة الجمهور - وزعم یعقوب انّ کافه بدل من قاف تقهر - ولکهر هو الانتهار جاء فی حدیث معاویة بن الحکم السلمی انّه قال ما رأیت معلّمًا احسن تعلیمًا من النبی صلی الله علیه وسلم - فبابی هو وامّی ما کهرنی ولا شتمنی ولا ضربنی - قال ابن الاثیر هکذا ابوة فی کتب الغریب - ومنه شعر زید بن الخیل -

وَلَسْتُ بِذِي كَهْرُورَةٍ غَيْرَ أَنَّنِي ۔ اِذَا طَلَعَتْ اُوْلَی الْمُغِيْرَةِ اَعْبَسُ

وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ - النّهر هو الزّجر والمخاطب فی هاتین الآیتین وان کان الرسول صلی الله علیه وسلم - الا انّ هذا الحکم عام بیننا ولا الامّة - وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ قال الاکثر انّ المراد بالنعمة القرآن والیه ذهب الفرّاء

وقال الزجاج هي النبوة وعلى الاول يكون اقرء القرآن
على الناس اهداهم اليه - وعلى الثاني حدث الناس بانك
نبى وبلغهم ما انزل الله اليك من الاوامر والنواهي والوعد
والوعيد - والزواجر والمواعظ - قال صاحب الكشاف -
المراد بالتحديث بالنعم شكرها - واشاعتها يريد ما
ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وماعدا
ذلك انتهى - اقول والاية تدل على ان التحديث بنعمة الله
لا للرياء والسمعة فيه امر مشروع ومنه قول النبى صلى
الله عليه وسلم - اعطيت جوامع الكلم واوتيت علم الاولين
والاخرين - وقال انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال انا اكرم الاولين
والاخرين وغيرها - فلا اعتراض على الصالحين الذين
حدثوا بما اعطاهم الله من المراتب العالية

تم تفسير هذه السورة بعون الله الذي
هو الظاهر والباطن والصلوة
على النبى الذى بعث الى الانس والجن وعلى اله و
اصحابه الذين هم سادة لكل
مسلم ومومن

سورة الم نشرح هي ثمان آيات مكية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك - الهمزة للانكار - فافاد التقرير فيكون المعنى قد شرحنا لك صدرك - يقال شرح الشيء يشرحه شرحا - اى فتحه وبيّنه وكشفه - قال الراغب واصل الشرح بسط اللحم يقال شرحت اللحم ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وكشف قدسي - ومنه قوله تعالى - فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام - اى يبسطه ويلقي فيه نورا يهدى به الى الاسلام - ولذلك قال الشيخ الاكبر نور العقل لا يهدى اعاقل الى تصديق وحدانية تعالى والايمان بانبيائه ورسله عليهم السلام - بل يهتدى اليه بنور يلقيه الله تعالى بفضله في نفس عبد لا قام من بالله ورسوله كما قال الله تعالى - افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه - وقيل شرح الله صدره اى اعده الله لقبول الخير - وفيه اشارة الى شق جبريل عليه السلام صدره في صباه او في ليلة المعراج وغسله بماء زمزم وازالة ما فيه من الميل الى الصفات الحيوانية والقائه منها وملاه علما وايمانا - وانما قال صدرك ولم يقل قلبك لان محل الوسوسة الصدر ومنه قوله تعالى - يوسوس في صدور الناس - فلذلك ناسب ان يقال صدرك - قال الامام الرازي قال محمد ابن على الترمذى القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي

يفسده الشيطان ويحيي الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد فيه مسلكا اغار فيه ونزل جنده فيه وبث فيه الهموم والحرص فيضيق القلب ح ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واعلم ان الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم لطفا مزيدا وفضلا واسعا لانه تعالى شرح صدره ملاء نورا وحكمة وهذا فضل خص به بين الانبياء عليهم السلام - لان موسى عليه السلام مع كونه نبيا جليلا مرسلا لم يعطه الله هذا الكرامة حتى دعا ربه وقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري - قرأ الجمهور الم نشرح بجزم الحاء - وقرأ ابو جعفر بفتحها وخرجه ابن عطية في كتابه على انه الم نشرحن فابدل من النون الفا ثم حذفها تخفيفا - كما قال الشاعر

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

وقال صاحب الكشاف لعل ابا جعفر اشبع الحاء في مخرجها فظن السامع انه فتحها - انتهى قال ابو حيان ولهذه القراءة تخريج حسن من هذا كله وهو انه لغة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره وهي الجزم بلن والنصب بلم - وانشد قول عائشة بنت الاعجم تمدح المختار بن ابي عبيد - وهو القائم بثار الحسين ابن علي رضي الله عنهما -

قد كان سمك الهدى ينهد قائمه حتى اتيح له المختار فانعمدا
في كل ما هم امضى رأيه قدما ولم يشاور في اقدامه احدا

بنصب يشاور - اقول وما قال صاحب الكشاف اوجه وتخريج

القراءة على لغة نادرة غير مستحسن - والمعنى قد شرحنا لك صدرك - وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ - الوزر بكسر الواو الثقل والذنب وكذا الوَزَر بفتح الواو ويقال وزر يزر وزرا اذا احمل ما يثقل الظهر من الاشياء المثقلة ومنه قوله تعالى - ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الاخفش اى نفس آثمة ذنب نفس أخرى - والوضع الحط - اى حططنا عنك ثقلك ما سلف منك قبل النبوة من الزلات ومثله قوله تعالى - لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ - الَّذِيْٓ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ - قال ابو حيان قال اهل اللغة يقال انقض الحمل ظهر الناقة اذا اسمعت له صريرا من شدة الحمل - ومنه قول عباس مرداس

وَأَنْقَضَ ظَهْرِيْ مَا تَطَوَّيْتُ مِنْهُمُ   وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ مُشْفِقًا مُتَحَنِّنًا

فيكون المعنى اى جعله يسمع له نقيض من ثقله - قال مجاهد والاصل فيه ان اذا اثقله الحمل سمع له نقيض يقال قد انقض ظهر فلان اذا سمع له نقيض وكل صوت لمفصل واصبع ورحل نقيض ومنه قول الشاعر

وَحُزْنٌ تُنْقِضُ الْاَضْلَاعَ مِنْهُ   مُقِيْمٌ فِي الْجَوَانِحِ لَنْ يَزُوْلَا

وقال ذو الرمة

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ اِيْغَالِهِنَّ بِنَا   اَوَاخِرِ الْمَيْسِ اِنْقَاضُ الْفَرَارِيْجِ

اراد كان اصوات اواخر الميس انقاض الفراريج - اذا اسرعت الركاب بنا والايغال الاسراع - واعلم ان الذنب هل يقع من الانبياء ام لا - قال العلماء اجمع اهل الملل والشرائع كلهم على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب اذ لو جاز عليهم التقول

لادّى الى ابطال دعوتهم فلا فائدة في بعثتهم - واختلف في صدوره سهوًا او نسيانًا فقال يجوز وقال بعضهم لا يجوز واليه ذهب الاستاذ ابو اسحق وغيره من الائمة - وهو الصحيح واما ما سوى فهو اما ان يكون كفرًا او يكون غيره - امّا الكفر فاجمعت الامة على عصمة الانبياء منه والشيعة يجوّزون اظهاره تقية عند خوف الهلاك وهو باطل لانّه يفضى الى ترك تبليغ الرسالة فانقلب الموضوع امّا غير الكفر فهو اما كبائر واما صغائر وكل منهما اما ان تكون عمدًا او امّا ان تكون سهوًا - امّا الكبائر فلا تصدر منهم عند الجمهور من اهل السنّة وعند المعتزلة لا عمدًا ولا سهوًا وامّا الصغائر ففيه اختلاف قيل يجوز صدورها وقيل لا يجوز والصحيح ان الصغائر لا يجوز ان تصدر منهم عمدًا امّا صدورها سهوًا فهو جائز اتفاقًا لانهم لا يستقرون عليهم بالالقاء والالهام - والصغائر الخسيسة كسرقة حبّة او لقمة فلا ينبغى صدورها منهم لا سهوًا ولا عمدًا هذا بعد ان يبعثهم الله واما قبل البعث فلا يمتنع ان يصدر منهم الكبيرة عقلًا وسمعًا هذا مذهب اهل السنّة - وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ في الدنيا والاخرة اما في الدنيا ففى الاذان والاقامة والتشهد والصلوة والخطب وفي القران وتسميته برسول الله ونبىّ الله وفي كتب الانبياء الاولين وباشاعة دين الاسلام شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا وبانّه تعالى وتقدس جعل اسمه منضمًا باسمه في كلمة الشهادة - ولنعم ما قال حسان بن ثابت

رضی اللہ عنہ فی قصیدتہ -

اَغَرُّ عَلَیْہِ لِلنُّبُوَّۃِ خَاتَمٌ مِنَ اللّٰہِ مَشْھُوْدٌ یَلُوْحُ وَیَشْھَدُ
وَضَمَّ الْاِلٰہُ اسْمَ النَّبِیِّ مَعَ اسْمِہٖ اِذَا قَالَ فِی الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ اَشْھَدُ
وَشَقَّ لَہٗ مِنْ اِسْمِہٖ لِیُجِلَّہٗ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُوْدٌ وَھٰذَا مُحَمَّدُ

اما فی الآخرۃ فلکونہ مبعوثاً فی المقام المحمود - کما قال اللہ تعالی عَسٰۤی اَنْ یَّبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَّحْمُوْدًا - فَاِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْرًا اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْرًا - قال الفراء والزجاج العسر مذکور بالالف واللام ولیس ھناک معھود سابق فینصرف الحقیقۃ فیکون المراد بالعسر فی اللفظین شیئا واحدا - واما الیسر فانہ مذکور علی سبیل التنکیر فکان احدھما غیر الآخر وزیف الجرجانی ھذا وقال اذا قال الرجل ان مع الفارس سیفا یلزم ان یکون ھناک فارس واحد ومعہ سیفان ومعلوم ان ذلک غیر لازم من وضع العربیۃ - وجاء فی الحدیث لن یغلب عسر یسرین - فَاِذَا فَرَغْتَ - من تبلیغ احکام القران فَانْصَبْ الی عبادۃ اللہ واجتھد فیھا او اذا فرغت من فرضک فانصب الی النفل او اذا فرغت من المکتوبات فانصب الی التھجد وَاِلٰی رَبِّکَ فَارْغَبْ - الی ذکرہ وراقب - او فارغب الی فضلہ وکرمہ - قرأ الجمھور فرغت بفتح الراء وابو السمال بکسرھا وھی لغۃ قال صاحب الکشاف - لیست بفصیحۃ - وقرأ فانصب بسکون الباء - وقرأ آخرون من الامامیۃ فانصب بکسر الصاد بمعنی اذا فرغت من الرسالۃ فانصب خلیفۃ - قال ابو حیان

ان مع العسر یسرا

قال ابن عطية وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم انتهى - وقرأ زيد بن علي فارغب امراً من رغّب بتشديد الغين ومعناه فرغب الناس الى الله - وقال الزجاج معنى قوله فارغب اجعل رغبتك خصوصًا الى الله وحده - اقول وهذه الآية تدل على التوكل وتفويض الامور الى الله جل شانه فامر نبيه صلى الله عليه وسلم - والى ربك فارغب ولا ترغب الى ما سواه - وقدّم قوله والى ربك لافادة الحصر كما في قوله تعالى - إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نستعين - والله اعلم بالصواب - تم تفسير هذه السورة بحمد الله وكرمه فالحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين

سورة التين ثمان آيات وهي مكية عند الجمهور وهي مدنية وقيل وآية وهو الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ - وفيه اقوال الاول هو التين الذي يأكله الناس غذاءً ودواءً وهو اطيب الفواكه واحلاها والذها اسرعها هضماً الينها طبعاً يقوي الكبد وينقي الكلية وقيل يطول الشعر يأمن اكله من بلاء الفالج والاسترخاء - والثاني هو دمشق والزيتون فلسطين والثالث هو الجبل الذي يقرب من دمشق - والرابع هو بلاد الشام والخامس هو مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي -

وَالزَّيْتُونِ - روي عن قتادة انهما جبلان بالشام على احدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس - قال ابو حيان وفي شعر النابغة ذكر التين وشرح بانه جبل مستطيل قال النابغة -

صهب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيماً قليلاً ماؤه شبما

انتهى يصف السحائب التي لا ماء فيها - وقال ابن عباس رضـ هو تينكم وزيتونكم - وقيل جبلان وقيل مسجدان - قال الفراء سمعت رجلاً من اهل الشام وكان صاحب تفسير قال التين جبال ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام - والاقوال في تفسيرهما مضطربة لا فائدة في ذكرها - وهو من الزيت والنون فيه زائدة وهو مثل فيعول من القاع كذلك الزيتون شجر الزيت وهو الدهن وارض كثيرة الزيتون على فيعول مادة على حيالها

والاكثر فعلون من الزيت - والواحد زيتونة - قال ابن جني
هو مثال فائت - قال صاحب اللسان ومن العجب ان يفوت
الكتاب وهو في القرآن العزيز وعلى افواه الناس - يقال لشجرتها
زيتونة ولثمرتها زيتونة - وَطُورِ سِينِينَ - سينا وسينين
اسمان للمكان الذي حصل فيه الجبل قال صاحب اللسان
والسينينة رمال مرتفعة تستطيل على وجه الارض وجمعها
سنائن قال الطرماح - . وَأَرْطَاةِ حِقْفٍ بَيْنَ كِسْرَى سَنَائِن
وقيل اسم موضع فيه الطور - قال قتادة سنين بلغة الحبشة
المبارك الحسن قال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال الكلبي
سينين كل جبل فيه شجر مثمر - قال الاخفش طور جبل وسنين
شجر واحدته سنينة - قال ابو علي الفارسي هو على فعليل كرر فيه
اللام اي النون وهو اسم غير منصرف قال كعب الاحبار هو
الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام - قرأ الجمهور
سِينِينَ بكسر السين وابن اسحق وابو رجاء بفتح السين قيل هي
لغة تميم قال صاحب الكشاف سَينُون وبَيرون في جواز الاعراب
بالواو والياء والاقرار على الياء تحريك النون بحركات الاعراب
انتهى - وقرأ عمر رضي الله عنه وعبد الله وطلحة سِيناء بكسر
السين والمد وزيد ابن علي بفتحها والمد - وانما اقسم الله تعالى
بها لشرفها وكرامتها ذكر ابو حيان فمنبت التين والزيتون
مهاجر ابراهيم عليه الصلوة والسلام ومولد عيسى عليه السلام
والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى عليه الصلوة والسلام

و مكة مولد رسول الله صلى الله و مبعثه و مكان البيت
الذى هو هدى للعالمين انتهى وكذا ذكر ابن كثير فى تفسيره
وقال و ذكر هذه الاماكن الثلثة فى اخر التورات انه جاء الله من طور
سيناء يعنى الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام واشرق
من ساعير يعنى جبل بيت المقدس الذى بعثه الله منه عيسى
عليه السلام واستعلن من جبال فاران يعنى جبال مكة التى
رسل الله منها محمدا صلى الله عليه و سلم فذكرهم مخبرا بهذا
الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم فى الزمان ولهذا اقسم
بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما - انتهى - اقول
واما ذكر من كون رسول الله صلى الله عليه و سلم اشرف من
موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام فهو صحيح معتقد به
واما كون عيسى عليه السلام اشرف من موسى عليه السلام
فلا دليل عليه من كتاب وسنة - ولا اجمع الامة عليه و الترتيب
فى الذكر لا يدل على كرامة المتأخر و شرفه الا ترى ان قولك
جاء نى زيد فعمر ولا يدل على ان عمرا اشرف من زيد واكرم
منه - وما قال الشيخ الاكبر فى الفتوحات فى جواب السؤال
الخامس والاربعين ومائة وليس فى الرسل اكثر اتباعا من
موسى عليه السلام - كما اخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم
فى الصحيح حين راى سوادا اعظم فسأل فقيل له هذا موسى عليه السلام
وامته وقد قال صلى الله عليه و سلم انه سيد الناس يوم القيامة
فاقول ان هذا الحديث خبر واحد و يخالف الامر البديهى وهو كون

النبی صلی اللہ علیہ وسلم - اکثر اتباعاً امتہ علیہ السلام لکونہ مبعوثاً علی کافۃ الناس فلا یحتج بہ - واما کونہ علیہ السلام سید الناس یوم القیامۃ فمعناہ انہ سید بنی اسرائیل یوم القیامۃ والا فالنبی صلی اللہ علیہ وسلم مقدم جماعۃ الرسل والانبیاء علیہم السلام - فی ذلک الیوم وھو امر مجمع علیہ - وَھٰذَا الْبَلَدِ الْاَمِیْنِ - وھو مکۃ وھی التی قال اللہ تعالیٰ فی شانہ المبارک مَنْ دَخَلَہٗ کَانَ اٰمِنًا وھو قول ابن عباس ومجاھد وابراھیم النخعی وابن زید وکعب الاحبار رض - وقال الفراء الامین بمعنی الامن او فعیل بمعنی المفعول ای مامون من الغوائل - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْۤ اَحْسَنِ تَقْوِیْمٍ - ھذا جواب القسم - قال ابراھیم النخعی ومجاھد وقتادۃ احسن صورتہ وحواسہ وقیل انتصاب قامتہ - ذکرالواحدی فی شرح البسیط ان اللہ خلق کل ذی روح مکبّاً علی وجھہ الا الانسان خلقہ مدید القامۃ - انتہی - اقول ان قولہ کل ذی روح یتناول الملک والجنّ وانھما لم یخلقا مکبّین علی وجھہما - کما ھو مذکور فی الروایات الکثیرۃ - قیل والمراد بالتقویم التعدیل فی الاعضاء والتناسب فی القوی - قال ابو حیان واحسن صفۃ لمحذوف ای فی تقویم احسن انتہی - اقول والانسان اذ اخلقہ اللہ تعالیٰ وتقدّس ونفخ فیہ من روحہ واستخلفہ فی الارض یجب ان یکون حاملاً لاعباء خلافتہ ولا یمکن لہ ان یتحمل ذلک الا بعد کونہ قوام مرایا لظلال صفات اللہ تعالیٰ واسمائہ

فلا بد ان تکون اعضاءہ فی احسن تقویم - وقوام فی اعدل مزاج - واللہ اعلم - ثُمَّ رَدَدْنٰهُ اَسْفَلَ سٰفِلِیْنَ - قال عکرمۃ والضحاک والنخعی بالھرم وذھول العقل وتغلب الکبر حتی یصیر لا یعلم شیئا - قال صاحب الکشاف فی تفسیر ھذہ الآیۃ فقال فی احسن تعدیل لشکلہ وصورتہ وتسویۃ اعضائہ ثم کان عاقبۃ امرہ حین لم یشکر نعمۃ تلک الخلقۃ الحسنۃ القویمۃ السویۃ اذ رددناہ اسفل من سفل خلقا وترکیبا یعنی اقبح من قبح صورۃ واشوھہ خلقۃ وھم اصحاب النار واسفل من سفل من اھل الدرکات - او ثم رددناہ بعد ذلک التقویم والتحسین اسفل من سفل فی حسن الصورۃ والشکل حیث نکسناہ فی خلقہ فقوس ظھرہ بعد اعتدالہ وابیض شعرہ بعد السواد وتشنن جلدہ وکان بضا وکل سمعہ وبصرہ وکانا حدیدین وتغیر کل شیء فیہ فمشیہ دلف وصوتہ خفات وقوتہ ضعف وشھامتہ خرف انتھی - اِلَّا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَلَهُمْ اَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُوْنٍ - قیل والاستثناء منقطع والمعنی لکن الصالحین منھم الذین امنوا وعملوا الصلحت فلھم اجر غیر مقطوع وروی فی الحدیث ان المؤمن اذا بلغ مائۃ ولم یعمل کتب لہ مثل ما کان یعمل فی صحتہ ولم تکتب علیہ سیئۃ وفیہ ایضا ان المؤمن اذا رد الی اخر العمر کتب لہ ما کان یعمل فی قوتہ اقول ان اخر ھی ان کانوا من اھل الشعور ولم یخرجوا من حکم المکلفین فعلیھم ان یواظبوا علی الطاعات قیاما

او قعودًا واستلقاءً وان لم یکونوا شاعرین فلیسوا مکلّفین
فلهم حکم المجانین والمعتوهین - وقیل هو استثناءٌ متّصل
اذا استثنی من اهل النار والمعنی علی هذا التقدیر غیر خفی
والمنّ قال بعض المفسرین معناه الحسبان ای غیر محسوب
وقال الجوهری هو القطع وقیل النقص ومنه قول لبید بن ربیعة -
لِمُعَفّرٍ قهدٍ تنازع شِلوَهُ غُبسٌ کواسب لا یُمَنُّ طعامُها
ای لا یُقطعُ طعامُها - فَمَا یُکَذِّبُکَ بَعدُ بِالدِّینِ - قال الجمهور
ای ما الذی یکذّبك ای یجعلك مکذبا بالدین ای البعث والجزاء
وینزعم بعد اقامة الدلائل الدالة علیه ان لا یکون مبعوثا
والاستفهام للتهدید والتخویف فیکون المعنی اما عرفت
یا ایّها الانسان انا خلقناك من نطفةٍ و قلّبنا علیها تقلّبات
کثیرة حتی قوّمناك بشرًا سویًّا و حوّلناك من حال الی حالٍ
الی الکمال ثم غیّرناك من طور الی طور فی النقصان اما فهمت
أنّ لك خالقًا قادرًا مریدًا خلقك اذ لم تکن شیئا فهو قادرٌ
علی ان یبعثك اذا کنتَ میّتًا فبعد هذه الدلائل البینة ای شیءٍ
یضطرّك الی هذا الکذب قال الفرّاء و المخاطب هو رسول الله
صلی الله علیه وسلم - فالمعنی فمَن یکذبك یا ایّها الرّسول
بعد ابانة هذه الدلائل البینة والحجج الساطعة بالدّین الحق
والیه ذهب الاخفش وقتادة وهو قول محمد بن جریر
الطبری - اَلَیسَ اللّٰهُ بِاَحکَمِ الحٰکِمِینَ - وعید للکفار
وایجابٌ بعد له تعالی - ومعناه احکم الحاکمین صنعًا

وقد بدأ ومن كان كذلك فهو قادر على الاعادة والجزاء - قيل ان هذه الآية يثبت الحاكمين سوى الله تعالى - اقول هذا ليس بشيء - لان الكلام مسوق على اسلوب محاورة العرب لانهم يقولون في عرفهم هذا ابلغ البلغاء لمن كان انتهى الى حد البلاغة ونهايتها ومعناه ان البلغاء الذين سواه ما انتهوا الى ما بلغ فكانهم ليسوا بلغاء - وعرضهم بهذا القول انه وحيد في البلاغة فريد في البراعة ليس له مثيل ولا عديل - فيكون معنى الآية ان الحاكم هو الله وحده وليس لمن سواه حكم ولا امر - والامراء والسلاطين انما ينفذون احكام الله وشرائعه على ما هي منزلة على انبيائه عليهم السلام فليس الحكم الا لله عز شانه وجل برهانه

تم تفسير هذه السورة فالحمد
لله الذي اعطانا العلم
والبيان والصلوة
على نبيه
المبعوث
لهداية كافة الانس والجان وعلى اله
واصحابه الذين شيدوا قواعد الدين والايمان

سورة اقرأ ويقال لها سورة القلم مكية وهي تسع عشرة آية وقيل عشرون

وهي اول ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وعائشة رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق - قال الامام احمد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم - قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي اخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك

الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت خديجة اى ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة ما ترى فاخبره رسول الله بما راى - فقال ورقة هذا الناموس انزل على عيسى عليه السلام ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم - فقال ورقة نعم - لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا - ثم لم ينشب ورقة ان توفى - وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله - هذا هو الذي رواه احمد بن حنبل في مسند ورواه البخاري ومسلم في الصحيحين - وفي رواية احمد انه غدا مرارا كى تردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام - فقال يا محمد انك رسول حقا فيسكن بذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل عليه السلام - فقال له مثل ذلك - قال ابن كثير هذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا

الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في اول شرحنا
للبخاري مستقصىً فمن اراده فهو هناك محرر - انتهى قرأ الجمهور
اقرأ بهمزة ساكنةٍ والاعشى عن ابى بكر عن عاصم بحذفها
وهو على قول بيدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا يقرا
مثل سَعَى يَسْعَى فالامر منه اقرَ بحذف الالف مثل اسْعَ والخفش
والمفعول له محذوف اي اقرأ ما يوحي الله اليك - وقال بعضهم
مفعوله باسم ربك كما يقال اقرأ الحمد لله والباء في باسم ربك
متعلق باقرأ - وقال الاخفش الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم الله
كما في قوله تعالى - اركبوا فيها باسم الله اى على اسم الله
وقيل متعلق بمحذوف وهو مبتدئًا اى اقرأ مبتديا باسم الله
او مفتتحا باسمه هذا هو الذي ذهب اليه صاحب الكشاف
وعلى هذا يكون باسم ربك في محل النصب على الحال - وقال
ابو عبيدة الباء صلة اي زائدة والمعنى اذكر ربّك وقال وكذا
كلمة اسم صلة والمعنى اقرأ بتوفيق ربك وعونه - هذا ملخص
ما ذكر ابو حيان - وانما قال ربك ولم يقل باسم الله لان المقام
مقام التعليم والتربية والخطاب في قوله باسم ربك للاستيناس
ويجوز ان يكون للاختصاص والمعنى انه ربك لانه لم يرب
احدا كما ربّاك بكمال فضله وتمام كرمه وانما ذكر صفة
الخلق دون غيرها لان هذه الصفة اعلى من جميع الصفات الفعلية
لانها تدل على ان هذا العالم البديع ليس له وجود بنفسه بل له
خالق حكيم صانع لا شريك له في فعله وارادته وصنعته خلقه بارادته

واصنعته ففيه ردّ بليغ للاصنام والالهة خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
وهو اسم للجامد والمراد به ذرّية آدم عليه السلام وانّما
ذكر الانسان لكونه اشرف المخلوقات واكرمها وقال صاحب
الكشاف اشرف ما على الارض - انتهى وانّما قال ذلك لانّ
المعتزلة ذهبوا الى انّ الملك اشرف من الانسان - اقول ان اريد
بالشرف الشرف باعتبار صفاء الجوهر ونزاهته من كل كدورة فلا شك
في انّ الملك افضل من كل المخلوق وان اريد باعتبار كثرة الثواب
ومزيّته فلا ريب في ان الانسان اشرف من نوع الملك لانّ
عباداتهم بلا عوائق وعبادة الانسان بعوائق وموانع كثيرة
فالعبادة التي لها عوائق اوفر ثوابا واكثر جزاء سيما ليس كذلك
فلا مرية في انّ الانسان افضل واشرف منهم بهذه الحيثية ثم
القرآن الكريم يشهد بانّ الانسان مسجود وهم ساجدون
له كما قال الله تعالى - فسجد الملائكة كلهم اجمعون وظاهر ان
المسجود افضل من الساجد فالانسان بكونه مسجودًا افضل من
الساجدين الذين هم الملائكة - والقول بان الملائكة الذين
سجدوا لآدم عليه السلام - هم الملائكة الارضية لا يعاضده
القرآن الكريم - وهو وهم نشأ من الاقاصيص الكاذبة - وانّما
لم يذكر آدم عليه السلام لان الكفار لم يكونوا عارفين قصّته وما كان
متقررًا في اذهانهم انّ آدم عليه السلام اصلهم وهم فروعه
اِقْرَاْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ - والكرم ضدّ اللؤم
والكريم اسم جامع لانواع الخير والشرف والفضائل وهو من صفات

الله تعالیٰ و اسمائه و هو الکثیر الخیر الجواد المعطی الذی
لاینفد عطاؤه محمود الذات و الفعل - و لذلک قال الفراء
العرب تجعل الکریم تابعاً لکل شیٔ نفت عنه فعلاً تنوی به
الذم - و الاکرم مبالغة فی معنی الکرم و زیادة فیه - الذی
علم بالقلم - ای علم الانسان علم الخط بالقلم - قال الامام الرازی
و فیه وجهان احدهما ان المراد بالقلم الکتابة التی تعرف
بها الامور الغائبة وجعل القلم کنایة عنها اقول و هو قول
الزجاج و الثانی ان المراد علم الانسان الکتابة بالقلم - قال
و یروی ان سلیمان علیه السلام سأل عفریتا عن الکلام
فقال ریح لایبقی قال فما قیده قال الکتابة انتهی - قال قتادة
القلم نعمة من الله عزوجل عظیمة لولا ذلک لم یقم دین ولم یصلح
عیش فدل علی کمال کرمه - وقرأ ابن الزبیر علم الخط بالقلم
قیل و لعل ذلک تفسیر - و القلم هو الشیٔ الذی یکتب به و الجمع
اقلام و اقلیم و انشد ابن الاعرابی -

کَأَنَّنِیْ حِیْنَ اٰتِیْهَا لِتُخْبِرَنِیْ وَمَا تُبَیِّنُ لِیْ شَیْئًا بِتَکْلِیْمِ
صَحِیْفَةٌ کُتِبَتْ سِرًّا اِلٰی رَجُلٍ لَمْ یَدْرِ مَا خُطَّ فِیْهَا بِالْاَقَالِیْمِ

قال صاحب الکشاف ان قوله تعالیٰ علم بالقلم دل علی کمال کرمه
بانه علم عباده ما لم یعلموا و نقلهم من ظلمة الجهل الی نور العلم
و نبه علی فضل علم الکتابة لما فیه من المنافع العظیمة التی لایحیط بها
الا هو و ما دونت العلوم و لا قیدت الحکم و لا ضبطت اخبار الاولین
و مقالاتهم و لا کتب المنزلة الا بالکتابة و لولا هی لما

استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به وبعضهم في صفة القلم

وذو اقم رقش كمثل اراقم قطف الخطا نياله اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى

انتهى اقول ويحتمل ان يقال ان القلم عبارة عن القلم الذي روي في الحديث وهو اول ما خلق الله القلم - والمراد بالقلم عند الحكماء العقل الاول الذي هو علة ما تحته من الموجودات وعند العرفاء روح محمد صلى الله عليه وسلم - وهو اصل الكائنات عندهم فالامر متحد والفظ مختلف - فيكون المعنى ان الله تعالى علم كل شئ بواسطة العقل الاول او الروح المحمدي صلى الله عليه وسلم على اختلاف اللفظين فيكون فاضات الجواد افياض القيوم الحق على الخلق بهذه الواسطة - ثم خصص الانسان بعد التعميم وقال - عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ - والمراد بالانسان ادم عليه السلام - كما قال الله تعالى - وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا - وقال خَلَقَ الْاِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ - وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال اوتيت جوامع الكلم وقال اعطيت علم الاولين والاخرين كَلَّآ - كلمة ردع وزجر لمن كفر نعمة تعالى - وقال الكسائي وهو بمعنى حقًا - وذهب ابو حيان وابن هشام انها بمعنى الا الاستفتاحية - لوقوع ان بعده بالكسر - اِنَّ الْاِنْسَانَ لَيَطْغٰى ان يجاوز حد البشرية روي انها نزلت في ابي جهل ناصب

رسول الله صلى الله عليه وسلم - العداوة ونهاه عن الصلاة
في المسجد وقال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن
على عنقه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ عليه
وانتهره وتوعّده فقال ابو جهل أيتوعّدني محمد والله ما بالوادي
اعظم ناديًا مني وبه وروي انّه همّ أنْ يمنعه من الصلاة فكفّ عنه
وروي انّ النبيّ كان يصلّي في المسجد وابوجهل قائم بين يديه
فقيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن
عباسؓ والله لو تحرّك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه
وروى ابن جرير انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطأ على
رقبته قال فما فجأهم منه الّا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه
فقيل له ما لك فقال انّ بيني وبينه خندقًا من نار وهولا وأجنحة
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منّي لاختطفته
الملائكة عضوًا عضوًا - أَنْ رَّاٰهُ اسْتَغْنٰى - اى ان راى نفسه
في الاستغناء بالاموال والعشيرة - قال الفرّاء لم يقل رأى
نفسه كما قيل قتل نفسه لان رأى من الافعال التي تريد اسمًا
وخبرًا نحو الظنّ والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد - والعرب
لطرح النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني - اختلف في
قرأته فقنبل من رواية ابن شنبوذ وابن مجاهد واكثر
الرواة بقصر الهمزة بلا الف وافقه ابن محيصين والباقون بالمدّ
وهو رواية الزينبي عن قنبل وتغليط ابن مجاهد لقنبل في رواية
القصر ردّه النّاس عليه والذي ارتضاه في النشر انّه اخذ عن قنبل

اخير طريق ابن مجاهد والزينبي كابن شنبوذ والى ربيعة وغيرهما
فبالقصر وجها واحدا بلا ريب وان اخذ عنه بطريق الزينبي فبالمد
كالجماعة وجها واحدا او ان اخذ بطريق ابن مجاهد فبالوجهين وهما
صحيحان عنه في الكافي - قال صاحب النشر ولا شك ان القصر اثبت
واصح عنه من طريق الاداء والمد اقوى من طريق النص وبهما اخذ من طريقه جمعا
بين النص والاداء ومن زعم ان ابن مجاهد لم ياخذ بالقصر فقد ابعد في الغاية
وخالف في الرواية وقد وجه الحذف بان بعض العرب يحذف لام
المضارع راى تخفيفا ومنه قولهم اصاب الناس جهد ولو تر ما
اهل مكة - بل قيل انها لغة عامة - وحيث صحت الرواية به وجب
قبوله - قال الامام الرازي ان اول السورة يدل على مدح العلم
واخرها يدل على ذم المال وكفى بذلك رغبة في الدين ونفرة عن
الدنيا - اِنَّ اِلٰى رَبِّكَ الرُّجْعٰى - المرجع والرجوع والرجعى مصادر
وفيه تهديد بليغ - اَرَاَيْتَ الَّذِيْ يَنْهٰى - تعجيب من حاله اي ابي جهل
كما تقدم عَبْدًا - قيل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اِذَا صَلّٰى - في المسجد الحرام - والتعميم خير من التخصيص قال صاحب
الكشاف ان قوله الذي ينهى مع الشرطية في موضع المفعولين
اَرَاَيْتَ اِنْ كَانَ - ذلك العبد المنهي اذا صلى - عَلَى الْهُدٰى
اي على هدى الله - اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوٰى - اي امر بالاجتناب عن
الشرك والاخلاص في الايمان والعمل - قيل المراد بالصلوة
صلوة الظهر - قال ابو حيان هي اول جماعة اقيمت في الاسلام
كان معه ابو بكر وعلي وجماعة من السابقين فمر بهم ابو طالب

و معه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك و انصرف مسرورًا
والنشاء ابو طالب یقول -

اِنَّ عَلِیًّا وَ جَعْفَرَ ثِقَتِیْ عِنْدَ مُلِمِّ الزَّمَانِ وَالْکُرَبِ
وَاللّٰهِ لَا اَخْذُلُ النَّبِیَّ وَلَا یَخْذُلُهُ مَنْ یَکُوْنُ مِنْ حَسَبِیْ
لَا تَخْذُلَا وَانْصُرَا ابْنَ عَمِّکُمَا اَخِیْ لِاُمِّیْ مِنْ بَیْنِهِمْ وَ اَبِیْ

واختلف فی الخطاب فی قوله ارایت فقیل المخاطب رسول الله صلی الله علیه و سلم - وهو الظاهر وکذا فی الثانی والثالث وقیل الکافر خاطبه تهدیدًا او توبیخًا - اَرَاَیْتَ اِنْ کَذَّبَ وَتَوَلّٰی - قیل ابو جهل فانه جاء النبی صلی الله علیه و سلم و تولی عن الایمان وارایت الثانی والثالث لتاکید الاول وجواب قوله ان کان علی الهدی محذوف یدل علیه جواب ارایت ان کذب و تولی وهو قوله تعالی - اَلَمْ یَعْلَمْ بِاَنَّ اللّٰهَ یَرٰی - هذا ما ذهب الیه صاحب الکشاف - واعترض علیه ابو حیان وقال واما تجویز الزمخشری وقوع جملة الاستفهام جوابًا للشرط بغیر فاء فلا اعلم احدًا اجازه بل نصوا علی وجوب الفاء فی کل ما اقتضی طلبًا بوجه ما ولا یجوز حذفها الا ان کان فی ضرورة شعر - اقول قال الشیخ الرضی فی شرح الکافیة واذا کان جواب الشرط مصدرًا بهمزة الاستفهام سواء کانت جملة فعلیة او اسمیة لم یدخل الفاء لان الهمزة من بین جمیع ما یغیره معنی الکلام یجوز دخولها علی ادات الشرط نحو قولك ان اکرمتك اتکرمنی کانك قلت ان اکرمتك تکرمنی - قال

الله تعالى - أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى
انتهى - فاندفع الاشكال - واما قول النحويين الا ان كان في
ضرورة شعر فهو منظور فيه لأن ديوان العرب العرباء الجاهلين
هو الشعر ولم ينقل منهم كلام منثور في طبقة من طبقاتهم لأن
حروبهم اغارت كلامهم ولم يبق شئ منه الا نذرا قليلا وهو
الشعر فلا محل لهم ان يقولوا ان هذا يجوز في الشعر ولا يجوز
في النثر فما جاء في القرآن فهو حق احق بالاتباع وكفى به نظيرا
والاستفهام في قوله الم يعلم للتقريع والتهويل اي الم يعلم بأن
الله يرى - كل شئ على حاله وشانه فيجازيه بما كان عليه من الخير
والشر - فهو عالم بجميع المعلومات حكيم فلا يهمل عن علمه مثقال
ذرة لا في السماء ولا في الارض - وهذه الاية وان نزلت
في حق ابي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله فهو شريك ابي جهل
في هذا الوعيد - ولا يرد عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة
والاوقات المكروهة لأن المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية
ولا يرد المولى يمنع عبده من قيام الليل وصوم التطوع وزوجته
من الاعتكاف لأن ذلك لاستيفاء مصلحته باذن ربه لا بغضا
لعبادة ربه - هذا ما ذكره الامام الرازي - كلا - ردع لابي جهل
ونهيه عن عبادة الله او لما قال انه يقتل محمدا او يطاء عنقه
لئن لم ينته - اي عما هو فيه - واللام في لئن هي الموطئة للقسم
اي والله لئن لم ينته - لنسفعا بالناصية - السفع الجذب يقال
سفع بناصيته ورجله اي جذب واخذ - والمعنى لنصهرنها

ولنأخذن بها اي لنقمئنّه ولنذلنّه الى النار - كما قال الله تعالى فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ - وقال الازهري اى لنأخذن بها الى النار ومنه قول الشاعر -

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

اراد واخذ بناصيته ومن قال معناه لنسوّدن وجهه لانّ السّفعة هو السّواد فمعناه لنسمنّ موضع الناصية بالسّواد اكتفى بها من سائر الوجه لانه مقدم الوجه ومنه قول الشاعر -

وَكُنْتُ إِذَا نَفْسُ الْغَوِيِّ نَزَتْ بِهِ سَفَعْتُ عَلَى الْعِرْنِينِ مِنْهُ بِمِيسَمِ

اراد وسمته على عرنينه وهو مثل قوله تعالى - سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ قال ابن سيده الناصية والناصاة لغة طيئية قصاص الشعر في مقدم الراس - قال الفراء ناصيته مقدم راسه - قال الازهري الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس لا الشعر الذي تسميه العامة الناصية وسمّى الشعر ناصية لانّها في مقدم الوجه من الوجه ومنه قوله تعالى - مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا - قال الزجاج معناه تناله بما شاء قدرته في قبضته وهو سبحانه لا يشاء الا العدل - نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ - بدل من قوله بالناصية - وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانّها موصوفة فاستقلّت فائدة - قرئ ناصيةٌ بالرفع والتقدير هي ناصيةٌ وبالنصب على الذمّ والشتم - خَاطِئَةٍ - اى ناصية كاذبة في قولها وعملها وانما اسند الكذب والخطاء الى الناصية على طريق المجاز والمراد به نفس الكاذب الخاطي - وفيه جزالة نظم الكلام - فَلْيَدْعُ

یا ابا جهل نادیه - ای اهل نادیه وروی ان ابا جهل کان یقول لرسول اللہ صلی اللہ علیه وسلم - انهدّ دنی وانا اکثر اهل الوادی نادیا فنزلت - والمراد ناصره وهو قول ابن عباس رضی اللہ عنه - سندع الزبانیة - ای الملائکة الغلاظ الشداد والمراد بهم خزنة جهنم وهو قول الزجاج وقال الکسائی والاخفش وعیسی بن عمر واحد هم زابن ای دافع یقال زبنت الناقة بتفنات رجلیها عند الحلب فالزبن بالتفنات والرکض بالرجل والخبط بالید وفی حدیث علی کرم اللہ وجهه ورضی اللہ عنه - کالناب الضروس تزبن برجلها ای تدفع ومنه قول سوار بن المضرب -

بذلی الذم عن احساب قومی وزبونات اشوس تیحان

والزبونة من الرجال الشدید المانع وراء ظهره - ویقال لکل متمرد من الجن والانس وهو قول الیسیرافی ومنه قول حسان

زبانیة حول ابیاتهم وخور لدی الحرب فی المعمعه

قال الفراء الزبانیة وهم یعملون بالایدی والارجل فهم اقوی وقال الکسائی واحد الزبانیة زبنی وقال الاخفش قال بعضهم واحد الزبانیة الزبانی وقال بعضهم زابن کما تقدم وقال والعرب لا تکاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذی لا واحد له مثل ابابیل وعبادید - قرأ الجمهور سندع بالنون وبغیر الواو وقری سیدعی علی المفعول - کلا لا تطعه - فی

ترك الصّلوٰة - وَاسْجُدْ - اي صلّ لله غير مكترث - وَاقْتَرِبْ قال زيد ابن اسلم واسجد انت يا محمد واقترب - يا ابا جهل من النارِ - والاٰية تدل على ان سجود العبد يقربه الى الله تعالٰى كما روي عن ابى هريرة رضى الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ فاكثروا من الدعاء رواه ابو داؤد - وروي عن ابن عباس انّ النبيّ صلى الله عليه وسلم - كشف الستارةَ والنّاس صفوفٌ خلف ابى بكر الصديق رضى الله عنه - فقال يا ايّها النّاسُ انه لم يبقَ من مبشّرات النبوّة الا الرؤيا الصّالحة يراها المسلم او تُرى وَاِنّي نُهيتُ ان اقرأ راكعًا وَساجدًا فامّا الرُّكوع فعظّموا فيه الرّبّ وامّا السّجود فاجتهدوا في الدعاء فقمنٌ ان يستجاب لكم - واليه ذهب اكثر المفسرين - ولذلك ندعو ونتضرّع في السّجود ولا ندعو مع رفع الايدي بعد الصلاة المكتوبة لانّه لم يرو في هذا الباب حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما المواضع التى صحّ فيها رواية رفع الايدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فانا نرفع الايدي فيها - تم تفسير هذه السورة ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة والصلاة على النبى الذي بعثه الله تعالٰى - لكافّة النّاس رحمة - وعلى اٰله واصحابه الذين لهم فضائل جمّة

سورة القدر هي خمس آيات او ست آيات مكية عند ابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم وقال اكثر المفسرين انها مدنية وهو الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ ـ الضمير المفعول يعود على القرآن وان لم يتقدم ذكره ليدل على نباهة شانه واسند انزاله الى ذاته دلالة على عظمه وشرفه ـ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ـ اختلف في كيفية انزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة اقوال احدها ـ وهو الاصح عند الجمهور انه نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجمًا في عشرين او ثلاثة وعشرين سنة كما روي الحاكم والبيهقي وغيرهما ـ عن ابن عباس رض قال انزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر وكان بمواقع النجوم ـ وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في اثر بعض وكذا روي البيهقي والحاكم والنسائي عن ابن عباس رض قال أُنزِلَ القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم انزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ـ وروي الطبراني عن ابن عباس رض قال انزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان الى السماء

الدنيا جملة واحدة ثم انزل نجوما وثانيها انه نزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة ثم نزل بعده منجما في جميع السنة وهو قول امام الرازيّ ره قال يحتمل انه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس الى انزاله الى مثلها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا - قال ابن كثير وهذا الاحتمال ذكره القرطبي عن مقاتل بن حيّان - وهو قول الماوردي ويوافقه قول ابن شهاب - وثالثها انه ابتدى انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في اوقات مختلفة وهو قول الشعبي - قال ابو شامة فان قلت انّ قوله تعالى انّا انزلناه في ليلة القدر من جملة القرآن الذي نزل جملة ام لا فان لم يكن فما نزل جملة وان كان منه فما وجه صحة العبارة قلت له وجهان احدهما ان يكون معنى الكلام انا حكمنا بانزاله في ليلة القدر وقضيناه وقدّرناه في الازل - والثاني انّ لفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال اي ننزله جملة في ليلة القدر - واما التوراة فنزلت على موسى عليه السلام دفعة واحدة ويدل عليه قوله تعالى - فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ والقى الالواح ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة فهذا صريح في انّ التوراة انزلت عليه السلام جملة واحدة والقرآن لم ينزل كذا كما قال الله تعالى - وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوْا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْاٰنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً - فاجابهم الله
بقوله كذلك اى انزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤادك اى لنقوی
قلبك لان الوحی اذا كان يتجدد فی كل حادثة كان اقوى بالقلب
واشد عناية بالمرسل اليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه
وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب
العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان
النبی صلى الله عليه وسلم اجود فی رمضان لكثرة لقيا جبريل
اما كيفية الانزال فاتفق اهل السنة على ان كلام الله منزل
واختلفوا فی معنى الانزال - فقال بعضهم كان جبرئيل عليه السلام
يقرأ القرآن عليه وقال بعضهم ان الله تعالى اوحى كلامه الى
جبريل عليه السلام - وهو فی السماء ثم هبط جبريل عليه السلام
فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فی وحيه طريقان
فمرة انخلع النبی صلى الله عليه وسلم من الصورة البشرية الى
الصورة الملكية فياخذه منه ما اوحى اليه - وهذا يستصعب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم يفصم عنه تلك الصورة
وفی هذه الحالة يتفصد جبينه عرقا - ومرة ان جبريل عليه السلام
كان ينخلع من الصورة الملكية ويتمثل فی الصورة البشرية
فربما يتجسد فی صورة دحية الكلبی وربما يظهر فی صورة
الاعرابی فيوحی اليه ما يشاء ربه - قال السيوطی قال القطب
الرازی فی حواشی الكشاف الانزال لغة بمعنى الايواء وبمعنى
تحريك الشیء من الاعلى الى الاسفل وكلاهما لا يتحققان فی الكلام

فهو مستعمل فیه فی معنی مجازی فمن قال القرآن معنی قائم بذات الله تعالی فانزاله ان یوجد الکلمات والحروف الدالة علی ذلک المعنی ویثبتها فی اللوح المحفوظ - ومن قال القرآن هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته فی اللوح المحفوظ وهذا المعنی مناسب لکونه منقولا عن المعنیین اللغویین - ویمکن ان یکون المراد بانزاله اثباته فی السماء الدنیا بعد الاثبات فی اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنی الثانی - ثم المراد بانزال الکتب علی الرسل ان یتلقفها الملک من الله تلقفا روحانیا او یحفظها من اللوح المحفوظ وینزل بها فیلقیها علیهم انتهی - اقول ان الانزال یکون کذا وقد ثبت کلام الله بدون الانزال کما فی قوله تعالی ان یکلمه الله وحیا او من وراء حجاب - وقال تعالی - وکلم الله موسی تکلیما وقال تعالی - واوحی الی عبده ما اوحی - وهذا القسم من الکلام لا تدرک کیفیته ولا یعقل کنهه والظاهر ان نزول القرآن الکریم فی لیلة القدر یدل علی نباهة شانها وجلالة قدرها - ثم المراد بالقرآن کلام الله تعالی حقیقة ومبدأه اسم الله وهو الکلیم فیکون الکلام صفة لذاته تعالی والصفة سواء کانت قدیمة او حادثة لا توجد الا بالموصوف فلا یکون حکمها الا حکم الموصوف فان کان الموصوف قدیما کان صفته قدیمة وان کان حادثا کان صفته حادثة - ولما کان الله تعالی واجبا لذاته قدیما ازلیا صفته تعالی ایضا قدیمة ازلیه ولا یصح ان یکون کلامه لیس هو ذاته فانه کان یوصف بانه محکوم علیه ولا یوصف بانه قادر علی ان

يتكلم - فيكون كلامه قديمًا في مذهب الاشعري وعين ذاته في مذهب غيره من العقلاء الا ان نسبة الكلام الى الله تعالى مجهولة لا تعرف كما ان ذاته لا تعرف ولا يثبت الكلام الا شرعًا ليس في قوة العقل ادراكه من حيث فكره ولا يخفى عليك ان الكمال حسن والنقص قبيح فاتصاف شيء بالصفات التي فيها كمال حسن والاتصاف بضدها قبيح وهذا القول يجري في صفات اثبتها الشرع لله تعالى - فيكون الاتصاف بهذه الصفات حسنًا وباضدادها قبيحًا فالشرع اثبت له السمع والبصر والكلام والعقل يقضي ان وجودها في كل موجود حسن وعدمها نقص اما كيفية اتصافها به تعالى فهي مما لا يعقل اذ هي من المتشابهات ومفهوماتها وراء الوراء من العقول المتوسطة - والانزال والنزول ليس مما يتعلق بكلام الله حقيقة كما ذهب اليه المحققون في علم الكلام والعلامة قطب الدين الرازي في حاشية الكشاف بل هو متعلق بالالفاظ والنقوش - والقدر مصدر قدرت اقدر قدرًا - وهو ليس من القدرة قال ابن سيده القدر والقدر القضاء والحكم وهو ما يقدره عز وجل من القضاء ويحكم به من الامور - قال اللحياني القدر الاسم والقدر المصدر وانشد -

كل شيء حتى اخيك متاع وبقدر تفرق واجتماع

فهذه الليلة هي التي تقدر فيها الارزاق والموت والحياة وجميع الاشياء التي تحدث في اوقات معينة - كما قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم - اي محكم وقوعه وانشد الاخفش

لهدبة بن خشرم

الا يا لقومي للنوائب والقدر ولِلأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

وما ادراك - يا محمد صلى الله عليه وسلم - ما - اي اي شيء
ليلة القدر - فانك لم تدر غاية فضلها ومكانتها - وما قدر فيها
مقادير الاشياء والمراد بها صفات لاحقة لذواتها فهي العوارض
التي توجد فيما هو متصف بها ولا توجد في غيره فهذه المقادير
اذ وجدت في وقت معين في الخارج وجد الشيء في الخارج
الى زمان قدّر الله وجودها فيه - فاذا انتهى تقديره الى انفصالها
لم يوجد ذلك فثبت ان الاشياء لا تفنى وانما يفنى مقاديرها
فيكون معنى البعث الحاق المقادير بموادها - فافهم فهذا البحث
دقيق ليس هذا محله وفيه تنويه شان ليلة القدر وعظمها
على ما لا يخفى - ليلة القدر خير من الف شهر - قال الاخفش
ان الخير نعت لما وصف به وقيل فلان خير يشبه الصفات فادخلوا
فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به وانشد ابو عبيدة لرجل
من بني عدي تيم تميم جاهلي -

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات

والربلات اصول الافخاذ - فان اردت معنى التفضيل قلت
فلانة خير الناس ولم تقل خيرة - وفلان خير الناس ولم تقل
اخير - وهو لا يثنى ولا يجمع لانه في معنى افعل - والخير بكسر
الخاء الكرم والشرف - ذكر ابن كثير في تفسيره قال ابن ابي حاتم
عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما

اربعة من بني اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة
عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع ابن نون
قال فعجب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه
جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم عجبت
امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين
فقد انزل الله خيراً من ذلك فقرأ عليه انا انزلناه في ليلة
القدر ليلة القدر خير من الف شهر - هذا افضل مما عجبت
انت وامتك - قال فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس معه انتهى - قال سفيان الثوري بلغني عن مجاهد قال
عمل ليلة القدر اي صيامها وقيامها خير من الف شهر رواه ابن جرير
والمعنى انها افضل من عبادة الف شهر ليس فيها ليلة القدر وروي
في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له
ما تقدم من ذنبه - قال الشيخ الاكبر رض في الفتوحات ان ليلة القدر
اذا صادفها الانسان هي خير له فيما ينعم الله به عليه من الف شهر
لو لم تكن الا واحدة في الف شهر فكيف وهي في كل اثنى عشر شهراً
في كل سنة انتهى - وانما قال ذلك لان مذهب الشيخ انها تدور
في كل شهر كما ذهب اليه المحدثون والصحيح هو الذي ذهب اليه الامام
الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه وهو ان ليلة القدر ليلة سبعة
وعشرين من شهر رمضان وهو مذهبنا - ومعنى قوله تعالى خير من الف
شهر اي ازيد من الف والزيادة لا حد لها لان الله ابهمها فلا يمكن

التحديد - قال الشيخ الاكبر رض وهي انها خير من الف شهر من غير تحديد - فلا يدري حيث ينتهي - فما جعلها الله انها تقاوم الف شهر بل جعلها خيراً من ذلك اي افضل من ذلك من غير توقيت فاذا نالها العبد كان كمن عاش في عبادة ربه مخلصاً اكثر من الف شهر من غير توقيت كمن يتعدى العمر الطبيعي يقع في العمر المجهول وان كان له لا بد من الموت ولكن لا يدري هل بعد تعدية العمر الطبيعي بنفس واحدة او بالاف من السنين فهكذا ليلة القدر اذا لم تكن محصورة انتهى - وانما قال ليلة القدر اي اضاف الليل الى القدر دون النهار - لان التقدير يقتضي الاستتار وهو بالليل اشبه وفي النهار ظهور وهو لا يناسب التقدير واليه اشار الشيخ الاكبر رض وقال ان الليل شبيه بالغيب والتقدير لا يكون الا غيباً فلو كان بالنهار يظهر الحكم في غير محله ومناسبة انتهى

تَنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِاِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ اَمْرٍ

قال بعضهم يتنزل بعض الملائكة وهو ادّعاء وقال بعضهم ينزل جميع الملائكة فوجاً بعد فوج وجند بعد جند - وهو الصحيح لان اللام تدل على الاستغراق واختلف في الروح قيل هو جبريل واليه ذهب اكثر المفسرين - وقيل اسم جند من جنود الملائكة - وقيل قوم من اشراف الملائكة - والاشبه هو القول الاول - وتنزل اصله تتنزل حذفت التاء الاولى للتخفيف قرأ الجمهور تنزّل بفتح التاء وقرئ على البناء للمفعول - من كل امر اي من اجل كل امر من الامور التي

قضى الله عز وجل في تلك السنة ويجوز ان تكون للتعليل نحو قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا اى لاجل خطيئاتهم ومنه قول الفرزدق

يُغضي حَيَاءً وَيُغضَى مِن مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبتَسِمُ

ويجوز أن يكون بمعنى الباء اي بكل امر - قرأ الجمهور من كل امرٍ - و قرى امرئ اى لاجل كل انسانٍ - وقيل ان من بمعنى على نحو ونصرناه من القوم اى على القوم وتاً وقال بذلك الكلبى وقال معناه على كل امرئ سلام من ربهم - اي الملائكة يسلمون على كل انسانٍ - اقول وهذا ابعد - سَلَامٌ هِيَ - اي ليست تلك الليلة الا سلامة وخير لكل مؤمن حَتّٰى مَطلَعِ الفَجرِ - اى هذه الليلة سلامة من غروب الشمس الى طلوع الفجر - قرأ الجمهور مطلَع بفتح اللام وقرى بكسرها واعلم ان الله جل شانه ذكر في ارتفاع شانها امورًا - الاول انه تعالى انزل القرآن المجيد في ليلة القدر وهذا ايدل على جلالة قدرها وعظم خطرها - والثاني تقدير الامور الكائنة وتوقيت وقوعها في تلك الليلة - والثالث نزول الملائكة والروح فيها - والرابع وقوع السلامة والبركة فيها - تم تفسير هذه السورة والحمد لله الذي كرم ليلة القدر - والصلوة والسلام على من ارسله هاديًا الى الجن والبشر وعلى اله واصحابه الذين هم سادة اولى الشرف والخطر

سورة البينة ثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتب - المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان - والمشركين - والمراد بهم مشركوا العرب وهم عبدة الأوثان - وقرأ ابن مسعود رض لم يكن المشركون واهل الكتاب وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على قوله الذين - وانما قال كفروا فلوجهين الاول انهم ما كانوا على التوحيد لان اليهود والنصارى كانوا يقولون ان عزيرا ابن الله والمسيح ابن الله فكفروا بذلك بل صاروا مشركين والثاني انهم انما انكروا نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بالله وقيل ان بعض اهل الكتاب كانوا على التوحيد - وذلك لقوله تعالى - حتى تاتيهم البينة فيكون المعنى ان اهل الكتاب لم يكفروا الا بعد ان اتتهم البينة وهذا يدل على انهم لم يكونوا كافرين الا بعد اتيان البينة اى الرسول والخليفة وهذا القول ليس بشئ لانه يوجب ان الاشراك بالله ليس بكفر وهو باطل وذلك لان المعنى على هذا التقدير يكون كذا اى المشركون لم يكفروا الا بعد ان اتتهم البينة اي الرسول والخليفة والصحيح هو الذي ذكره صاحب الكشاف قال الامام الرازي - واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل

الكتاب وعبدة الاصنام كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم - لا تنفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم - فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه انتهى ثم المجوس فهم مثل اهل الكتاب في هذا الحكم - وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم - سنوا بهم سنة اهل الكتاب فحكمهم في باب الاحكام حكم اهل الكتاب - الا انهم هم المفترقون من اهل الكتاب في بعض الاحكام كالنكاح واكل الذبائح فحكمهم في ذلك حكم المشركين - والصحيح انهم داخلون في المشركين لانهم يعبدون النار والشمس وبعض الكواكب اما فائدة تقديم اهل الكتاب فلانهم لم يكونوا جاهلين مثل المشركين لانهم يقرأون الصحف والكتب ويفهمون معانيها فلا يستصعب عليهم ان يتاملوا في علامات النبي المذكورة في التوراة والانجيل وغيرهما من الصحف لاكنهم اغضوا اعينهم ولم يتوجهوا اليه بعد بعثته بل عاندوه وردوه واما المشركون فليس لهم كتاب ولا علم فلا يقدرون على ان يتفكروا في شيء من الاديان - وعلى هذا التقدير يكون كفر اهل الكتاب اشد واقوى من كفر هؤلاء المشركين مُنفَكِّينَ واصل الفك الفصل بين الشيئين وتخليص بعضها من بعض يقال فك الاسير فكا اي فصله من الاسر ومنه قول الحارث بن حلزة في المعلقة

وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ

فيكون المعنى منفصلين او متفرقين - قال مجاهد معناه منتهين
عن كفرهم وقال الاخفش منفكين اى زائلين عن كفرهم
وقال ابو عبد الله نفطويه معناه لم يكونوا مفارقين الدنيا حتى
اتتهم البيّنة التى ابينت لهم فى التوراة من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم - ونبوته - قال الفرّاء قد يكون الانفكاك
على جهة لايزال ويكون على الانفكاك الذى لغرفه فاذا كان
على جهة يزال فلا بدّ لها من فعل وان يكون معناها جحدًا فتقول
ما انفككتُ اذكرك تريد ما زلت اذكرك واذا كانت على جهة
لايزال قلت قد انفككتُ منه وانفك الشئ من الشئ فتكون
بلاجحد وبلا فعل - قال ذوالرمة -

قلائص لاتنفكّ الّا مُناخةً على الخسف او نرمى بها بلدًا قفرًا

فيكون المعنى انهم لم يكونوا منفكّين عن معرفة صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم - حتى جاءتهم البيّنة فتفرقوا عند ذلك
حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ - اى اتتهم البيّنة والمراد بالبينة القرآن
الكريم او النبى صلى الله عليه وسلم - وقال ابو مسلم الاصفهانى
مطلق الرسول اى كان هذا دابهم حين بعث كل رسول وخليفة من الله
تعالى وهذا هو الحق - رَسُوْلٌ مِّنَ اللّٰهِ - قرأ الجمهور بالرفع بدلًا من
البيّنة - وابى بن كعب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما بالنصب
حالًا من البيّنة - وعلى كلا التقديرين فالمراد بالبينة الرسول
والصحيح ان يراد به مطلق الرسول لانّ انفكاك الامم من بينهم
انّما حصل بعد مجئ الرسول من الله - ووجه انفكاكهم اختلافهم

في إنّ هذا المدّعي صادقٌ في دعواه او كاذبٌ فذهبَ بعضهم الى انه صادقٌ في دعواه فآمنوا به واطاعوه وذهبَ بعضهم الى انّه كاذبٌ في دعواه فكذّبوا به فخالفوه وهذا امرٌ جارٍ بين الامم والقرون فلا معنى لتخصيص رسولٍ من الرسل - وكذا حال الذين كانوا قبل مبعثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهم كانوا ينتظرونَ بعثه يشتاقون الى لقائه فاذا بُعِثَ فيهم بالدلائل والبينات اختلفوا في امره وعاندوه فالحقّ انْ يُراد به مطلق الرسول ويؤيّده قوله تعالى - يَتْلُوْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً - اي قراطيسَ مُطهرةً من اللغو والباطل - فِيْهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ - اي مكتوبات مستقيمة ناطقةٌ بالحق هادية الى الصراط المستقيم والدين القويم - وقوله يتلو صفة لرسول او حال وقوله فيها كتبٌ صفة لصحف او حال من ضميرها - والمعنى انّ الرّسول الذي بعث في امّتِهِ يقرأ عليهم صُحُفًا منزلةً من الله ليهديهم الى الله تعالى - وتلاوتها يمكن ان تكون بالقاء الله في روعه فلا تحتاج الى الكسب والتعليم وقوله يتلوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً يعمّ من التي نزلتْ عليه اوَ لم تنزل بل كانت وظيفته انْ يتلوها على من بعثه الله اليه فمَن انزل الله عليه كتابًا اوَ صحيفةً فوظيفته ان يقرأ ما انزل عليه على امّته مثل ابراهيم عليه السلام وموسىٰ عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن لم ينزل الله عليه صحيفةً او كتابًا بل تابع لنبي مشرعٍ متقدمٍ قبله فوظيفته ان يتلو ما انزلَ على نبي مشرعٍ قبله مثل هارون عليه السلام وداؤد عليه السّلام وسليمان عليه

السلام وغیرهم من انبیاء بنی اسرائیل - فانهم کانوا یقرؤن
التوراة علی اممهم ویعلمونهم احکامها وشرائعها لان الانبیاء
علیهم السلام - لیس من وظائفهم ان یصنفوا کتبا ثم یقرؤا
علی اممهم - وکذلک کان رسول الله صلی الله علیه وسلم - یقرأ
القراٰن المجید علی وافدیه ویعلمهم اوامره ونواهیه ویزکی قلوبهم
ببیانه المقدس والحاصل ان من دعا الناس الی الله باذن الله
ففریضته ان یبین القراٰن احکامه وشرائعه واسراره وحقائقه
ویدعوهم الیه فهذه سنة قدیمة سنها الانبیاء وخلفاء الله
علیهم السلام - والقیمة من قام الشیء اذا استوی وصح - فیکون
معناها مستقیمة صحیحة تبین الحق من الباطل علی استواء وبرهان
وهو قول الزجاج ومنه الدین القیم ای المستقیم الذی لا زیغ
فیه ولا میل عن الحق - وما تفرق الذین اوتوا الکتب - وهم الیهود
والنصاری - الا من بعد ما جاءتهم البینة - المراد به الرسول
او الکتاب المنزل من عند الله عز وجل - قیل والاستثناء مفرغ من
اعم الاوقات ای وتفرقوا فی وقت من الاوقات الا من بعد ما
جاءتهم الحجة الواضحة ان ارید بقوله اوتوا الکتاب الیهود فقط
فیکون المعنی ان الیهود تفرقوا اذ جاءهم عیسی علیه السلام
بالانجیل والمعجزات الباهرة المشهورة ثم تفرقوا اذ جاءتهم رسول الله
صلی الله علیه وسلم مصدقا بین یدیه من التوراة والانجیل باهر
معجزات واعظم بینات وهو القراٰن الکریم وان ارید بهم الیهود
والنصاری فالیهود علی کلا التقدیرین کفروا مرتدین والنصاری مرة

واحدة۔ ووجه التكرار ان اهل الكتاب وان كانوا بجهلة اصولهم وفروعهم وادكامهم واعمالهم وارائهم واهوائهم مختلفين لكنهم كانوا متفقين في اخابير رسول الله صلى الله عليه وسلم المتلوة في كتبهم مطبقين على خروجه من جبال فاران حتى ان احدا منهم لم يختلف في شئ من ذالك ومضوا على ذلك الاتفاق منتظرين الى بعثه صلى الله عليه وسلم- فلما بعث وادعى النبوة بحكم الله تعالى اختلفوا فيه فمنهم من قال لا حاجة لنا الى نبي لان الله تعالى- قد اخبر في كتاب موسى عليه السلام ان شريعته موبدة الى يوم القيامة فبعد هذا الاخبار لا حاجة اليه بل لا يمكن ان يبعث نبي بعده لان الله تعالى- لا يخلف الميعاد- ومنهم من قال انه قد ذكر ان النبي المنتظر لا يبعث الا من اخوة موسى عليه السلام- وهذا المدعى ليس من اخوته بل من بني اسماعيل فهذا الخبر لا يصدق عليه- اما الجواب عن الاول فلانه ان كان هذا صحيحا فمعناه ان اصول شريعته موبدة الى يوم القيامة فلا يقع النسخ فيها والصحيح ان اصول الانبياء عليهم السلام- كالايمان والتوحيد والبعث والحشر والثواب والعقاب وكالصلوة والزكوة والصوم والحج وحسن الخير وقبح الشر موبدة لا يحتمل النسخ والتبديل والنسخ انما يقع في الفروع- والجواب عن الثاني فلانه اذا الاخوة المطلقة في موجودة بين بني اسحاق وبني اسماعيل- وهي تكفي لاخبار المغيبة- والله اعلم بالثواب

وَمَآ اُمِرُوْٓا- في كتاب الله- اِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ- خاصة لانه هو الخالق المعبود- لكنهم اشركوا واتخذوا واعبادة المسيح والملائكة

وعزیر علیه السلام۔ مُخْلِصِیْنَ لَهُ الدِّیْنَ۔ حال کونهم جاعلین
دینهم خالصاً لله تعالیٰ۔ فعصوا الله ورسوله بالاشراك والکفر۔ قرأ
الجمهور مخلصین بکسر اللام۔ وقرأ الحسن بفتحها۔ حُنَفَاءَ۔ من
حنف الی الشیٔ اذا مال۔ قال ابو عبیدة من کان علی دین ابراهیم
فهو حنیفٌ عند العرب وکان عبدة الاوثان فی الجاهلیة یقولون
نحن حنفاء علی دین ابراهیم علیه السلام۔ قال ابو عمرو فالحنف
هو المیل المطلق فمن مال من شر الی خیر او بالعکس فهو حنیف
وقال ثعلب الحنیف المسلم الذي یتحنف عن الادیان الی الحق
وقیل من اسلم فی امر الله فلم یلتو فی شیٔ۔ وقال ابو زید معناه
المستقیم وانشد

تَعَلَّمُوْا اَنْ سَیَهْدِیْکُمُ الیْنَا طَرِیْقٌ لَا یَجُوْرُ بِکُمْ حَنِیْفُ

فمعناه مستقیمین حال من ضمیر مخلصین فیکون حالا متداخلة۔
وقیل الحنیف هو الخالی عن اصول الملل الخمسة الیهود والنصاری
والصابئین والمجوس والمشرکین وعن فروعها والعامل علی ما شرع له
من الله تعالیٰ۔ وَیُقِیْمُوا الصَّلٰوةَ وَیُؤْتُوا الزَّکٰوةَ۔ عطف علی
قوله لیعبدوا ای ولیقیموا الصلاة الخ۔ وخصهما بالذکر لانهما من
اعظم ارکان دین الاسلام ولذلك ذکرهما الله تعالیٰ۔ مراراً فی
القرآن۔ والامر الذي امرهم الله به کان عاماً فی جمیع الشرائع
وکذا فی شریعة رسول الله صلی الله علیه وسلم۔ فلا معنی لانکارهم
هذه الشرائع۔ وَذٰلِكَ۔ ای الاخلاص فی العبادة واقامة الصلاة
وایتاء الزکاة۔ دِیْنُ الْقَیِّمَةِ۔ ای دین الملة المستقیمة وهو قول

الزَّجَّاج - قال الفرّاء اضاف الدین الی القیمّة وهو لغته لاختلاف
اللفظین وانّث القیمہ ردًّا الی الملّة - وایضا قال هو اضافة الشیء
الی نفسه ودخلت الهاء للمدائح والمبالغة - واختلف فی انّ اللام
فی قوله لیعبد وا الله - فقالت المعتزلة انها لام الغرض لانّهم
ذهبوا الی ان افعال الله تعالی معللة بالاغراض فقالوا ان الله تعالی
خلق المکلّفین لغرض العبادة وهذا القول باطل - لانّه لو کان فعل
الله تعالی - معللاً بالغرض للزم نقص ذاته قبل حصول هذا الغرض
ولوجب کونه تعالی - ممکنا لکونه محتاجًا الی الغیر - وعاجزا لانه
لم یقدر علی تکمیل ذاته بذاته - وکل ذلك باطل فلا یجوز ان تکون
هذه اللّام لام الغرض - فوجب علینا ان نرجع الی کلام العرب
فقال الفرّاء العرب تجعل اللام فی موضع اَن فی الامر والارادة
کثیرًا من ذلك قوله تعالی - یرید الله لیبیّن لکم - ویریدون لیطفؤا
وقال فی الامر وأمرنا لنسلم وهی فی قراءة عبد الله ابن مسعود
وما امروا الا لیعبد وا الله - فعلی هذا یکون المعنی وما امروا الا
ان یعبد وا الله مخلصین له الدّین - هذا هو الذی ذکره الامام الرازی
وعلماء الکلام - اِنَّ الَّذِیْنَ کَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْکِتٰبِ وَالْمُشْرِکِیْنَ
فِیْ نَارِ جَهَنَّمَ - ای یصیرون الی نار جهنّم یوم القیامة - خَالِدِیْنَ
فِیْهَا - حال من الضمیر المستکن - اُولٰٓئِكَ - ای الموصوفون بصفة
التکذیب والتولی - هُمْ شَرُّ الْبَرِیَّةِ - قال الفرّاء ان اخذت
البریّة من البَرٰی وهو التراب - فاصلها غیر الهمز وان کان من برأ
وبرء فهو الخلق یقال برأهم ای خلقهم ومن ذلك قوله تعالی

من قبل ان نبرأها ای نخلقها فیکون المعنی علی الاول هم شر اهل الارض علی حذف المضاف وعلی الثانی هم شر الخلق - وکلاهما قول الفراء قال اللحیانی اجمعت العرب علی ترک همز هذه الثلاثة ولم یستثن - اِنَّ الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اُولٰٓئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّةِ - قیل ان خیر البریة - هو علی کرم الله وجهه کما روی ابن عساکر فی تاریخه وفیه بحث وقد روی فی الصحیح ان رسول الله صلی الله علیه وسلم - قال فی شان ابراهیم علیه الصلاة والسلام - انه خیر البریة - والصحیح ان یقال ان المراد بقوله هم خیر البریة المؤمنون الصالحون لانهم خیر البریة بالنسبة الی غیرهم - جَزَآؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰتُ عَدْنٍ یقال عدن فلان بالمکان یعدِن ویعدُن عدنا وعدونا اقام وعدنت البلد توطنته فمعنی جنات عدن ای جنات اقامة لمکان الخلد - تَجْرِیْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ - روی فی الاخبار الصحیحة الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء - خٰلِدِیْنَ فِیْهَآ اَبَدًا ای مخلدون فی لذاتها - رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ ذٰلِکَ - ای رضوان الله - لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهٗ - وانتهی عن المعاصی بخشیته - تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله الذی انعم المؤمنین وتفضل علیهم برضوانه والصلاة علی من انزل علیه القرآن بحججه وبرهانه وعلی آله واصحابه واعوانه

سورة الزلزال وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - قال ابن عباس رضی الله عنهما هذه السورة مكية - وهو قول عطاء ومجاهد وقال قتادة ومقاتل انها مدنية ذكره ابو حيان - وقرأ الجمهور زِلزالها بكسر الزاء وعيسى بفتحها قال ابن عطية هو مصدر كالوسواس - قال صاحب الكشاف انه بالكسر مصدر وبالفتح اسم وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف انتهى اقول وقال صاحب اللسان ان الفَعلال والفِعلال مطرد في جميع مصادر المضاعف والاسم الزلزال - وزلزل الله الارض زلزلة وزِلزالا بالكسر فتزلزلت هي - قال ابواسحٰق وليس في الكلام فعلال بفتح الفاء الا في المضاعف نحو الصلصال والزلزال قال والزلزال بالكسر المصدر وبالفتح الاسم وهذا يؤيد ما ذهب اليه صاحب الكشاف وجمعه الزلازل - ومنه قول عمران بن الحطان -

فَقَدْ اَظَلَّتْكَ اَيَّامٌ لَهَا خَمَسٌ ... فِيهَا الزَّلَازِلُ وَالْاَهْوَالُ وَالْوَهَلُ

واضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها - ولو لم يضف اليها لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل والمراد بهذا الزلزال زلزال يوم القيامة قال الحصين بن حمام وهو من الشعراء الجاهلين

اَعُوذُ بِرَبِّيْ مِنَ الْمُخْزِيَاتِ ... يَوْمَ تَرَى النَّفْسُ اَعْمَالَهَا

وَخَفَّ الْمَوَازِيْنَ بِالْكَافِرِيْنَ وَزُلْزِلَتِ الْاَرْضُ زِلْزَالَهَا
العُلَمَاءُ ذكروا في اسباب الزلزلة امرين الاول هو تقرر ان جسم
بخارى اودخانى قوي الحركة كالريح العاصف التي تقلع الاشجار
وتقطع الاشجار في الطبقات السافلة - والثانى حدوث جسم
سائل سيال - يذيب المعدنيات شديد الحركة في اسافل
الارض والقول الاول ذهب اليه اكثر اهل الطبقات - ومن علاماتها
تهيج الرياح القاصفة المختلفة وارتكام السحب المدجنة المستطيلة
واضطراب الاهوية الهائجة وليس لها زمان مخصوص بل تحدث
في زمان اشتدت مادتها في طبقات الارض ومكامنها ولا تحدث
على منهاج واحد لان حركات الاجسام السيالة المحتقنة تبانتصاعه
الى فوق لان القوة النارية تقتضى العلو وربما تتجه الى جهة
معينة اذا كانت المادة الممدودة مائعة الى تلك الجهة باعتبار
انخفاضها ووهدتها - ثم الزلازل قد تحدث رجفية ويظهر فيها
ان الارض تقذف الاجسام السافلة الى فوقها - وربما تحدث
اختلاجة رعشية وهي موجبة لاختلاف منبعاث المواد الى الجهات
المختلفة - وربما تتولد مائلة الى القطرين وتسمى القطقطة - و
ربما تمتد المواد في العرض غير صاعدة وذلك اذا كانت المواد
في المبادي مخلوطة بالاجزاء الترادبية - وهي تعوق عن الحركة
الى العلو - واذا استقطت منها هذه الاجزاء لطفت وصارت مستعدة
للحركة الى الارتفاع وسميت هذه الزلزلة سلميًا واعلم ان
اتجاه الزلازل امر عسير يدهش العقول حدوثها فلا يدرك

شئون حركاتها وفنون رجفاتها ولا يستطيع راصد ذو ثقة ولبيب ذو مرّة ان يرصد اضطرابات الزلازل وارتعاشاتها لاكن الحكيم ارسطاطاليس ذكر انّه شاهد زلزلة الارض مرارًا في جزائر الرّوم على شاطى البلاد المشرقية وقال انّ للارتجاجات ثلثة اقسام فانّها قد تكون تموّجيّة افقية - وقد تكون عموديّة بان ترتفع الارض تارة وتنخفض تارة وقد تكون رحوية بانّ الارض تدور حول مركزها والغالب ان تحدث العمودية والافقية في زمان واحد وقال بعض من شاهدها انّ العموديّة داهية دهياء لانّها تقذف الطبقات السّافلة فوق الارض والاشياء صارت بها مطحونة مدقّقة فترى الارض كانّها مغارات وكهوف عميقة وربّما تنفجر منها المياه الحارة شديدة السخونة تتلاطم منها امواج حامية تذيب الاحجار الصلبة - وما قيل ان سلاسل الجبال وامتداد ذات الاطواد والعقبات تمنع انتشار الزلازل فليس بشئ لانّ تلك السلاسل واحتقان حرارتها علة لحدوثها ولانّ موادّ الزلازل قوىٰ برقانية لا تزاحمها الجبال ولا تدفعها الاطواد بل تذيبها تلك الموادّ وتكسر قواها وتفصم اعضاءها - فتصير الجبال كالعهن المنفوش او مثل الفراش المبثوث فتطير بها في الجو كالهباء المنثورة - بل تخرج منها طفحات نارية تحرق ارجائها وتوقد اشجار البوادي والبراري فيهدّ الجبال وتفسح شقوق الاراضي وتفتح الفطور في كل جهة اما اسبابها الفاعلية فهي امور امّا قرانات عظمى او انطباق المنطقتين او قرب انطباقهما او انتقال الاوج والحضيض وهذه

اسبابٌ فلکیّةٌ مؤثرةٌ عند الحکماء فی اجسامٍ کائنةٍ تحت فلک القمر - وزعموا انّ سبب طوفان نوح علیه السّلام کان اجتماع الکواکب فی برج مائی وطوفان عاد اجتماعها فی برج هوائی وکذا الزلزلة التی وقعت فی زمان لوط علیه السلام کانت باسباب سماویة مؤثرة فی مواد الطبقات الارضیة - وهذه زلازل الدنیا اما الزلزلة التی ذکرت فی هذه السورة فسببها ایضا جسمٌ هوائی بخاری تموجیٌّ یخرجه نفخ اسرافیل علیه السّلام من صوره لهو اشدّ الرّیاح الکاسرة المفتتنة لیس فوقها قصفٌ ولا عصفٌ فیفسد السموات والارض وینتثر الکواکب من مجاریها وتنسف الجبال والاعلام من اصولها حتی تفسد الاکوان وتخرب القیعان والعمران - وَاَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقَالَهَا - ای جمیع ما کان فی بطنها من الاموات والدّفائن والاثقال جمع ثقل قال الفرّاء لفظت ما فیها من ذهبٍ وفضّةٍ اومیت انتهی قال الحصین بن حمام

وَنَادَی مُنَادٍ بِاَهْلِ الْقُبُوْرِ فَهَبُّوْا لِتَبْرُزَ اَثْقَالُهَا

قال ابو عبیدة والاخفش المیّت فی بطن الارض ثقل لها واذا کان فوقها ثقل علیها - وَقَالَ الْاِنْسَانُ مَا لَهَا - ما للتعجّب قال اهل التفسیر المراد بالانسان هو الکافر لانّه یری شیئاً لم یکن مظنوناً فی قلبه یَوْمَئِذٍ - بدل من اذا ای یوم زلزلت واخرجت تُحَدِّثُ اَخْبَارَهَا - جواب اذا عند الجمهور وهو الناصب لها ای تنبئ الارض یومئذ بما اکتسب المکلفون من خیر وشر والمراد بتحدیثها تحدیث اهلها من کل عمل کما روی فی الترمذی انه صلی الله علیه وسلم

قرأ هذه الآية ثم قال اتدرون ما اخبارها - قالوا الله ورسوله
اعلم فقال ان اخبارها - ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل
على ظهرها تقول عمل كذا يوم كذا فهذه اخبارها - وقيل يراد بها
الاحوال الواردة على نفس الانسان من الخير والشر فعبرها
بالاخبار على سبيل المجاز - بان ربك - والاضافة في ربك
تدل على عظم شان المضاف اليه - اوحى لها - اي الهمها - وقد
يتعدى الايحاء باللام كما في قول العجاج يصف الارض -

اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

اي اوحى اليها فهي مجاز بمعنى الى - فيكون معنى اوحى لها امرها اي
اوحى اليها وقال الفراء معناه اشار اليها قال العرب اوحى واومى
بمعنى واحد وعندي ان هذا الوحي من باب واوحى ربك الى النحل
ومن باب قول الشاعر + قد قالت الانساع للبطن الحقي + - - -
والباء في قوله بان ربك متعلقة بتحدث يومئذ يصدر الناس
يومئذ طرف لقوله يصدر الصدر اي الانصراف عن الورد
وعن كل امر - يقال صدر القوم عن المكان اي رجعوا عنه وصدروا
الى المكان اي صاروا اليه ورجعوا - فيكون معناه يرجعون اشتاتا
ليروا اعمالهم - منصوب على الحال جمع شت ومعناه الافتراق
يقال شت شعبهم - اي تفرق جمعهم - قال الطرماح -

شت شعب الحي بعد التئام وشجاك الربع ربع المقام

قال ابو سحق اي يصدرون متفرقين منهم من عمل صالحا ومنهم
من عمل شرا - ومنه قوله تعالى - وقلوبهم شتى اي متفرقة

والمعنى انهم يبعثون ثم ينصرفون الى المحشر حال كونهم متفرقين
لروية اعمالهم المكتوبة في صحائفهم - فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا - المثقال في الاصل مقدار من الوزن اي شيء
كان من قليل ومن كثير فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والذرة
النملة ومنه قول امرئ القيس -

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْاِتْبِ مِنْهَا لَاَثَّرَا

والخير العمل الصالح اى من عمل مقدار نملة من العمل الصالح
يَّرَهٗ - اى ذلك العمل الصالح في الآخرة وذلك لانه تعالى
رحيم وكريم يرحم على عباده كما قال الله - اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فمن عمل عملا صالحا مقدار ذرة اي قليلا فانه
يجازيه بكرمه - وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهٗ - واستشكل
في هذه الاية وهو ان حسنات الكافر محفوفة بكفره وسيئات
المؤمن اما مغفورة ابتداء او بسبب الاحتراز عن الكبائر فاي
شيء يراه في الآخرة بمثقال ذرة من خير ومن شر - وجوابه ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو
كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها
شيء ويمكن ان يقال ان هذه الاية في شان المؤمنين فيكون المعنى
ان المؤمن لا يعمل عملا من خير ولا شر الا وهو يرى جزاءه في
الآخرة وهذا هو العدل لكن رحمته السابقة على الغضب تكون
سببا للعفو عن معاصيه فيغفر له بفضله وكرمه قبل ان يجزيه
وكمال الاجزاء هو دخولهم الجنات كما قال الله تعالى من تدخل

النار فقد اخزیته - ولا خزیان یومئذ للمؤمنین - کما قال اللہ تعالیٰ
یوم لا یخزی اللہ النبی والذین امنوا معه - فلا یکون الخزیان
للکافرین وتمام ھذا البحث فی شرحنا علی الفقه الاکبر
للامام الاعظم ابی حنیفة رضی اللہ عنه الذی رواہ ابو مطیع
البلخی رح فقد تم تفسیر سورة الزلزال بعون اللہ المتعال مالک العرش
ذی الاکرام والجلال والصلوٰة علی نبیه صاحب الکمال المرأة
لسائر صفاته من شیون الجلال والجمال وعلی اله واصحابه
الذین ھم ائمة ارباب الکمال

سورة العادیات ھی احد عشر اٰیة وھی مکیة فی قول ابن مسعود وجابر

والحسن وعکرمة وعطاء ومدنیة فی قول ابن عباس وانس بن مالک وقتادة

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

والعٰدیٰت - قال ابن عباس رضی اللہ عنه العادیة الخیل - وقال
علی کرم اللہ وجهه ورضی اللہ عنه ھی الابل ومن العدو والعدوان
والعداء کلاھما الشدید العدو - وانشد ابن بری شاهدا علیه قول الشاعر

وصخر بن عمرو بن الشرید فانه ۔ اخو الحرب فوق السابح العدوان

وقال الاعشی

والقارح العداء وکل طمرة ۔ لا یستطیع ید الطویل قذالها

قالت صفية بنت عبد المطلب

فَلَا وَ الْعَادِيَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ   بِأَيْدِيهَا إِذَا سَطَعَ الْغُبَارُ

روى ابن عباس رضي الله عنه قال بينا أنا جالس عند الحجر إذ أتاني رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي كرم الله وجهه - وهو تحت السقاية اي زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لأول غزوة في الاسلام - وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا من عرفة الى مزدلفة ومن المزدلفة الى منى يعني ابل الحاج قال ابن عباس رضي الله عنه - فرجعت من قولي الى قول علي رض قال الجوهري والعادية من الابل المقيمة في العضاة لا تفارقها وليست ترعى الحمض انتهى ومنه شعر كثير

رَأَى صَاحِبِي فِي الْعَادِيَاتِ نَجِيبَةً   وَأَمْثَالَهَا فِي الْوَاضِعَاتِ الْقَوَامِسِ

الواضع هو البعير المسرع والقامس هو المضطرب والاكثرون من اهل التفسير اختاروا قول ابن عباس رضي الله عنه لان الآيات الآتية تناسب هذا المعنى وقالوا العاديات هي الخيل - ضبحا الضبح الصوت يقال ضبح يضبح ضباحا اي صوت - قال الازهري قال الليث الضباح بالضم صوت الثعالب - وفي حديث ابن الزبير قاتل الله فلانا ضبح ضبحة الثعلب - وقبع قبعة القنفذ - وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والثعلب قال صاحب اللسان والضبح في الخيل اظهر عند اهل العلم قال ابن

عباس رضہ ما ضبحت دابۃ الا کلب او فرس- قال ابو اسحق ضبح الخیل صوت اجوافها اذا عدت- وقال ابو عبیدۃ ضبحت الخیل وضبعت اذا عدت وقال فی کتاب الخیل هو ان یمد الفرس ضبعیه اذا عدا کانه علی الارض طولا- وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخیل اذا عدت ولیس بصهیل والمعنی ان الله سبحانه اقسم بخیل الغزاۃ التی تعدو ونحو العدو وضبحا مصدر منصوب حذف فعله ای تضبح ضبحا او ان یکون العادیات بمعنی الضابحات ای الضابحات ضبحا او الضبح بمعنی الفاعل فیکون حالا ای العادیات ضابحات- ویکون المعنی علی قول علی رضی الله عنه وکرم الله وجهه اقسم الله سبحانه بالابل التی تعدو ومن عرفۃ الی مزدلفۃ ومن المزدلفۃ الی منی وتکون هذه الابل ابل الحجیج فالموریت قدحا- الایراء اخراج النار- والقدح الصک ومن شعر جریر

وجدنا الازد اکرمهم جوادا واوراهم اذا قدحوا زنادا

وقال عنترۃ

هرجا یحک ذراعه بذراعه قدح المکب علی الزناد الاجذم

قال الزجاج اذا عدت الخیل باللیل واصاب حوافرها الحجارۃ انقدح منها النیران- والمعنی علی ما ذهب الیه علی رضی الله عنه- ان الذین یرکبون الابل وهم الحجیج اذا اوقدوا نیرانهم بالمزدلفۃ- وهذا المعنی حقیقۃ فی ایراء النار- قال الامام الرازی ان لفظ الایراء حقیقۃ فی ایراء النار وفی غیره مجاز ولا یجوز ترک الحقیقۃ بغیر دلیل- قال ابن مسعود رضی الله عنه اذا سفت

الحصیٰ بمناسمها فضرب الحصیٰ بعضه بعضًا فیخرج منه النار انتهی
ولیس فی هذا التاویل لزوم الابراء - فَالْمُغِیْرَاتِ صُبْحًا - قال
الاصمعی اغار بمعنی اسرع - وقال الجوهری اغار ای شدّ العدو
واسرع واغار الفرس اغارةً اشتدّ عدوه واسرع فی الغارة وغیرها
فالمعنی ان خیل الغزاة تشتدّ العدو وتغیر صباحًا لان الفرسان
لا یبصرون شیئًا فی دجی اللیل فیصبحون حتی یروا الاعداء ویبیتوهم
وهم فی الرقدة والسِّنة فیحملون علیهم ویغیرون ونهبوا - واما علی
قول علی رضی الله عنه وکرم الله وجهه - وهی الابل تدفع برکبانها
یوم النحر من مزدلفة الی منیً والسُّنّة ان لا تغیر ای تسرع حتی
تصبح فالاغارة اسراع الابل کما قلنا انفًا - والعرب کانوا یقولون
فی الجاهلیة اشرق ثبیر کیما نغیر ای نسرع فی الافاضة - فَاَثَرْنَ
بِهٖ نَقْعًا - قرأ الجمهور بتخفیف التاء - یقال ثار النقع واثرته ای هاج
وهیجته - وقری اَثَّرْنَ بتشدید التاء من التاثیر - ومعناه الاظهار
ای اظهرن ومنه قول الشاعر-

بُثِرْنَ مِنْ اَکْدَرِهِنَّ بِالدَّقْعَاءِ مُنْتَصِبًا مِثْلَ حَرِیْقِ الْقَصْبَاءِ

ای یظهرن - والضمیر فی قوله به یرجع الی الصبح - والنقع الغبار
کما هو فی قول بشار

کَاَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَاَسْیَافَنَا لَیْلٌ تَهَاوٰی کَوَاکِبُهٗ

وقال صاحب اللسان النقع رفع الصوت ونقع الصوت واستنقع
ای ارتفع - قال لبید

فَمَتٰی یَنْقَعْ صُرَاخٌ صَادِقٌ یُجْلِبُوْهَا ذَاتَ جَرْسٍ وَزَجَلْ

اى متى يرتفع صراخ - فالمعنى على القراءة الاولى ان الخيول اثرن بالصبح غبارا ساطعاً لشدة العدو فى الارض التى صبحن فيها وعلى القراءة الثانية اظهرن صياحا - لشدة السير العدو فى وقت الصباح - فوسطن به جمعاً ذكر الامام الرازي قال الفراء والضمير فى قوله تعالى به الى ماذا يرجع فيه وجوه احدها قال مقاتل اى بالعدو وذلك ان العاديات تدل على العدو فجازت الكناية عنه وقوله جمعاً يعنى جمع العدو والمعنى صرن بعدوهن وسط جمع العدو ومن حمل الآيات على الابل قال يعنى جمع منى - وثانيها ان الضمير عائد الى النقع اى وسطن بالنقع الجمع وثالثها المراد ان العاديات وسطن ملبسات بالنقع جمعاً من جموع الاعداء انتهى - والوسط بمعنى التوسط قال ابن بدري وقد اعلى كرم الله وجهه - وسطن بالتشديد والجمع اسم للمزدلفة وليس بجمع من الناس قال ابو حيان وقال بشر بن حازم -

فوسطن جمعهم وافلت حاجب تحت العجاجة فى الغبار الاقتم

انتهى - اقول والحاجب ناحية الشمس - ان الانسان لربه لكنود - اى الكفور - قال الواحدي اصل الكنود منع الحق والخير انتهى - يقال ارض كنود لا تنبت شيئاً - ويقال رجل كناد وكنود اي جحود وقيل هو الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الزجاج معناه لكفور ومنه قول النمر بن تولب فى وصف امرأته -

كنود لا تمن ولا تفادي اذا علقت حبائلها برهن

قال ابو عمرو اى كفور للمودة - قال بعض اهل اللغة الكنود من الكند

وهو القطع - الا ان ابن سیدہ کان یقول ولا اعرف له في اللغة اصلا
قال ابن عباس ومجاهد وعکرمة والضحاك وقتادة الکنود هو الکفور
قال ابو حیان روي عن ابن عباس رضی الله عنهما - الکنود بلسان
کندة وحضرموت العاصی وبلسان ربیعة ومضر الکفور وبلسان
کنانة البخیل السیئ الملکة قاله مقاتل وقال الکلبی وبلسان بنی مالك
البخیل انتهی والقول ما قال ابن عباس رضی الله عنه - واللام في قوله
الانسان للجنس یعنی ان جنس الانسان لکفور الا من رحمه الله
وهذا مثل قوله ان الانسان لفی خسر الا الذین امنوا وعملوا
الصالحات - وروي انها نزلت فی قرط بن عبد الله بن عمرو نوفل
القرشی - وهو جواب للقسم - وانه علی ذلك - ای علی کنوده
لشهید - وقال بعضهم ان الضمیر فی انه یعود علی الله تعالی
ای الله تعالی شاهد علی اعمال الانسان من السیئات وفیه نظر
لان الضمیر فی قوله - وانه لحب الخیر یرجع الی الانسان
فکذا فیه - وانه - اي الانسان - لحب الخیر - الخیر المال
ومثله قوله تعالی - ان ترك خیرا اي مالا - لشدید - اي شحیح
ممسك وبخیل متشدد - قال ابی ذویب -

حدرناه بالاثواب في قعر هوة شدید علی ما ضم في اللحد جولها

اراد شحیح ممسك - وقال طرفة

اری الموت یعتام الکرام ویصطفی عقیلة مال الفاحش المتشدد

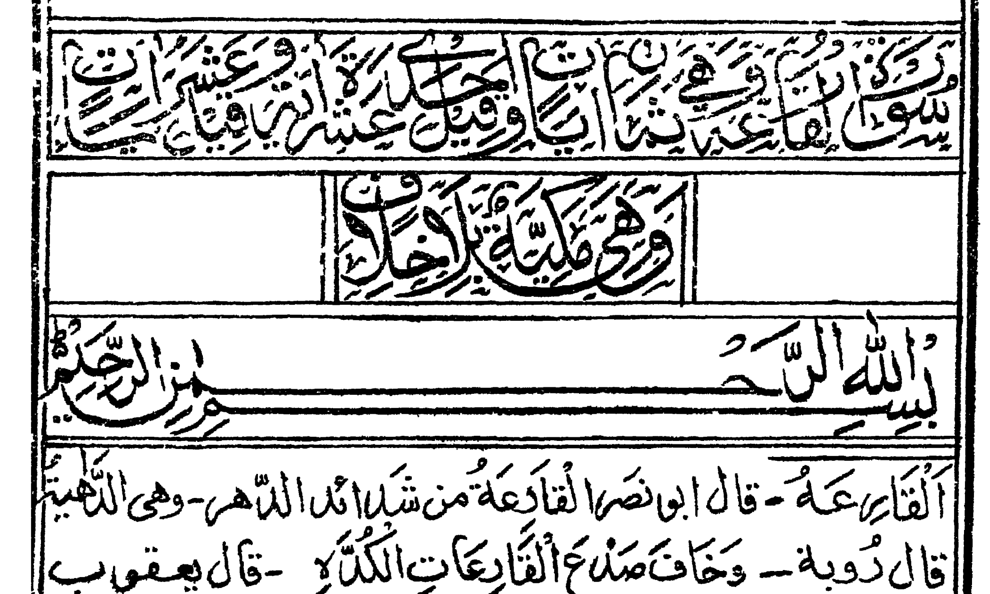
وقال بعض المفسرین ان الشدة هو الصلابة والاستحکام - اي
الانسان في حب المال صلب مستحکم والیه ذهب الفراء وقال اصل نظم

الآیة ان یقال وانه لشدید الحب للخیر - انتهی اقول والمعنی الاول
انسب واحسن - وهذا المعنی یستلزم تغیر نظم القرآن والله اعلم
قیل ان اللام فی لحب الخیر لام علة ای لاجل حب الخیر - افلا یعلم
اذا بعثر ما فی القبور - فاعل افلا یعلم هو الانسان - وانما لم
یقل من فی القبور - لان الناس وقت البعث لا یکونون عقلاء بل
بعد ما یصیرون الی الموقف یکونون عقلاء - ومفعول لا یعلم محذوف
ای افلا یعلم ما یکون عاقبة امره - قال الفراء اذا بعثر ما فیها
وقال بعثر وبحثر لغتان ومعنی واحد - وقال الزجاج بعثر
ای قلبت ترابها - یقال بعثر المتاع وبحثره اذا قلبه وفرقه
[illegible] - وقال ابو عبیدة جعل بعضه فوق بعض وقال [illegible] بعثر اثیر
واخرج - والمعانی متقاربة - ومنه قوله تعالی واذا القبور بعثرت
قرأ الجمهور بعثر بالعین مبنیا للمفعول - وقرأ الاسود بن زید بحثر
وقرأ نصر بن عاصم بحثر بالحاء مبنیا للفاعل - وحصل ما فی الصدور
قرأ الجمهور حصل بتشدید الصاد مبنیا للمفعول - وقرئ حصل
بالتخفیف مبنیا للفاعل ای ظهر ما فی الصدور من الخیر والشر
مکتوب فی صحائف الاعمال قال ابو عبیدة حصل ای میز ما فی الصدور
وقال اللیث الحاصل من کل شیء ما بقی وثبت وذهب ما سواه
والتحصیل تمییز ما یحصل والاسم الحصیلة قال لبید -

وکل امرئ یوما سیعلم سعیه ... اذا حصلت عند الاله الحصائل

ان ربهم بهم یومئذ - ای فی یوم البعث لخبیر - ای خبیر
باعمالهم فیجازیهم قرأ الجمهور ان بکسر الهمزة ولخبیر باللام فهذه

الجملة مستأنفة ويومئذ وبهم متعلقان بخبير وهو العامل فيهما
وقرأ ابو السمال بفتح الهمزة وبغير اللام — وعلى هذا التقدير يكون
هذه الجملة تحت قوله افلا يعلم — قال ابو حيان ولا يمكن اعمال
خبير في اذ لكونه في صلة ان المصدرية ولا يمكن ان يقدر له
عامل فيه من معنى الكلام فانه قال يجزيهم اذ بعثر وعلى هذا
التقدير يجوز ان يكون يعلم معلقة عن العمل في قراءة الجمهور
وسدت مسد المفعول في ان وفي خبرها اللام ظاهرة اذ هي في
موضع نصب بعلم واذا العامل فيها من معنى مضمون الجملة
وهو بجازيهم اذا بعثر انتهى — وهذه الآية تدل على انه تعالى
عالم بالجزئيات المادية والزمانية متعال عن التغير والحدوث
تم تفسير السورة الشريفة والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله
واصحابه اجمعين



القارعة — قال ابو نصر القارعة من شدائد الدهر — وهي الداهية
قال رؤبة — وخاف صدع القارعات الكده — قال يعقوب

القارعة كل هنة شديدة القرع - وهي القيامة وهو قول الفراء
ومنه قول الشاعر

وَلا رَمَيْتُ عَلَى خَصْمٍ بِقَارِعَةٍ ... إِلَّا مُنِيتُ بِخَصْمٍ فَرَّ لِي جَذَعَا

يعني حجة وكله من القرع الذي هو الضرب ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة و قال الاصمعي يقال اصابته قارعة - يعني امرا عظيما بقرعه - قال ابن عباس رضي هي من اسماء القيامة لانها تقرع القلوب بالفزع - و قيل اصل القرع الصوت الشديدة ومنه قوارع الدهر و انما سميت القيامة قارعة لان سببها الصيحات فالاولى منها تخرب السموات و الارض و تكون سببا لفساد العالم فتدهش بها النفوس و العقول كما قال الله تعالى - فصعق من في السموات والارض والثانية تموت بها الخلائق سوى اسرافيل عليه السلام - فيميته الله ثم يحييه حتى ينفخ الصيحة الثالثة فيقومون غير شاعرين وهي مبتدأ وخبره مَا الْقَارِعَةُ - قرأ الجمهور بالرفع و قرئ بنصبها على تقدير فعل اى احذروا القارعة - وما استفهامية وفيه معنى التفخيم والتهويل قال ابو حيان قال الزجاج والعرب تحذر و تغري بالرفع كالنصب
قال الشاعر

أَخَا النَّجْدَةِ السِّلَاحُ السِّلَاحُ

و قيل ما زائدة للتوكيد اى اذكروا القارعة - وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ هذا تاكيد لشدة هولها و مزيد فظاعتها والمعنى واي شيء اعلمك ما شان القارعة - وهذه الاية مثل قوله تعالى - الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ - يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ - قال صاحب الكشاف

الظرف نصب بمضمر دل علیه القارعة ای تقرع یوم یکون الناس انتهی - و قیل اذکر یوم - و قرأ زید بن علی یوم یکون، مرفوع المیم ای وقتها یوم یکون الناس - و الفراش جمع الفراشة وهی التی تطیر و تتهافت فی السراج - و قال الزجاج الفراش ما تراه کصغار البق یتهافت فی النار شبه الله عز و جل الناس یوم البعث بالجراد المنتشر لانهم اذا بعثوا یموج بعضهم فی بعض کالجراد الذی یموج بعضه فی بعض - و قال الفراء یرید کالغوغاء من الجراد یرکب بعضه بعضا - کذلک الناس یجول یومئذ بعضهم فی بعض و قال اللیث الفراش الذی یطیر - و انشد

اودی بحلمهم الفیاش فحلمهم حلم الفراش غشین نار المصطلی

و هو قول جریر الفیاش الضعف و المبثوث من بث یبث ای نشر قال الله تعالی - وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً - ای نشر و فی حدیث ام زرع زوجی لا ابث خبره ای لا انشره قال ابو کبیر

ثم انصرفت و لا ابثک حیبتی رعش البنان اطیش مشی الاصور

اراد و لا اخبرک بسوء حالی الاصور المائل العنق - وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ - العهن الصبوغ المتلون بالوان - و فی حدیث عائشة رضی الله عنها - انها فتلت قلائد هدی رسول الله صلی الله علیه و سلم - من عهن و قیل کل صوف عهن - و الاول الصحیح ومنه بیت زهیر ابن ابی سلمی -

کأن فتات العهن فی کل منزل نزلن به حب الفنا لم یحطم

ای عهن امتلون مثل لون حب الفنا - لنفش له معان الاول الصوف

والثاني كذلك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض - والثالث
ندف القطن والصوف والمعنى هنا المندوف اي منتفش الاجزاء
اي تكون الجبال التي هي اشد المخلوقات كالصوف المندوف الذي
تطير اجزاءه في الهواء كالاهباء وذلك لشدة نفخ الصور - ولا يخفى
عليك ان بيان الساعة واهوالها في هذه السورة على طريق الاجمال
وقد ذكر تفصيلها في كثير من السور فبعد الاكتفاء عليه قال الله
تعالى - فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - اي ثقلت حسناته - والمراد بالموازين
اما جمع موزون فهي الاعمال التي لها خطر عند الله وهو قول الفراء
او هو جمع ميزان وهو الآلة التي توضع فيها الصحائف ولكل شيء
ميزان يناسبه فميزان الجسمانيات للوزن ميزان جسماني وكذا ميزان
غيرها من الاشياء فهو ما يلائمها فميزان السطور يسمى مسطر وميزان
النقدين المحك وميزان الشعر هو علم العروض وهو الذي انتسب الى
الخليل بن احمد وميزان الكلام العربي النحو وميزان الافكار هو المنطق
فالميزان الذي يوزن فيه الاعمال يمكن ان يكون مثل هذه الموازين
وان لم ندرك حقيقتها وانكر المعتزلة وزن الاعمال فانكارهم
انكار الامور الممكنة - فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ - العيش الحيات
يقال عاش يعيش عيشا - وعيشة - والعيشة ضرب من العيش
يقال عاش عيشة صدق وعيشة سوء - ويلحق التاء بالعيش
بكسر العين ولا يلحق به بفتح العين - فلا يقال عيشة - والراضية
بمعنى المرضية - قال السكاكي وهذا من قبيل المجاز العقلي فيما بني
للفاعل واسند الى المفعول به اذ العيشة مرضية لا راضية

و قال الخليل انه لا مجاز فيه بل الراضية بمعنى ذات رضى المعنى
إِنَّ الَّذِين ثقلت موازينهم فهم في عيشة مرضية او في عيشة
ذات رضىً - وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ - امّ الشئ اصله
وَالامّ والامّة الوالدة وانشد ابن برى -

تَقَبَّلَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَلَطَالَمَا تُنُوزِعَ فِي الاَسْوَاقِ مِنْهَا خِمَارُهَا

وَانّما اُرِيدَ بالامّ الوالدة لانّها اصل الولد وماواه فيكون المعنى
مسكنه وماواه هاوية - وهى اسم من اسماء جهنّم وهى معرفة
بغير الف ولام - قال الفرّاء فى فامّه هاوية - قال بعضهم هذا دعاء
عليه كما تقول هوت امّه وانشد قول كعب بن سعد الغنوي يرثى اخاه

هَوَتْ اُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِيْنَ يَؤُوْبُ

ويبعث من البعث من النوم - ويؤوب يرجع قال الفرّاء وهوت
امّه دعاء لان ولدها اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امّه
ثكلا وحزنا فقال الشاعر هذا عند التعجب ويمدحه ووصف غدائه
ورواحه ومعنى البيت اىّ شئ يبعث الصبح منه غاديا واىّ شئ
يرد الليل منه اتيا لبعثه فى طلب الغارة ورجوعه غانما وحذف
كلمة منه فى قوله وهذا كثير فى قولهم - والحاصل انّ معنى هوت
امّه هلكت امّه وتقول هوت امّه فهى هاوية اى ثاكلة - وقال
بعضهم امّه هاوية اي صارت هاوية ماواه كما تؤوي المرأة ابنها
فجعلها امّا لها اذ لا ماوى غيرها وقال بعضهم امّ راسه تهوى فى النار
لانّه يطرح فيها منكوسا فيؤوي قعر جهنّم راسه - قيل وهذا قول قتادة
والهاوية وان كانت علما لجهنّم فمعناها كل مهوى لا يدرك

قعرها - و باعتبار هذا المعنی سمّیت جهنم هاویة - قرأ الجمهور فامّه بضم الهمزة وطلحة بکسرها - قال ابو حیان قال ابن خالویه وحکی ابن درید انّها لغة - والنحویون لا یجوزون کسر الهمزة الّا ان یتقدّمها کسرة او یاء انتهی - وما ادراک ماهیه - الضمیر یرجع الی هاویة والهاء فیه هاء السکت قیل وتحذف هذه الهاء فی الوصل - نار حامیة ای هی نار حامیة ای بلغ حرّ تلک النار فی الشدة الی الغایة فاستعینوا بالله من حرّها - تمّ تفسیر هذه بحمد الله الرؤف الرحیم والصلوة والتسلیم علی نبیه الکریم الذی بعثه الله علی خلق عظیم - وعلی آله واصحابه الذین هم الهادون الی دار النعیم

سورة التکاثر هی ثمان آیات وهی مکیة عند الجمهور

بسم الله الرحمن الرحیم

الهٰکم - ای اعرضکم - من اللهو - یقال لهوت بالشیء الهو به ای شغلت به عن غیره - وکذا یقال الهاه ای شغله ومنه قول کعب ابن زهیر

وقال کل صدیق کنت آمله لا الهینک انّی عنک مشغول

ای لا اشغلنّک فانی مشغول فاعمل لنفسک ما شئت - التکاثر التباهی بالکثرة - قال الفرّاء نزلت فی حیین تفاخروا ایّهم اکثر عددا وهم بنو عبد مناف وبنو سهم فکثرت بنو عبد مناف بنی سهم فقالت بنو سهم ان البغی اهلکنا فی الجاهلیة - فعادّونا بالاحیاء

وَالاموات فکثرتهم بنو سهم - فانزل الله هذه الآیة - حَتّٰى زُرۡتُمُ الۡمَقَابِرَ - ای شغلکم التکاثر ای التفاخر بکثرة العدد والمال حتی زرتم المقابر ای حتی متّم قال جریر للاخطل -

زار القبور ابو مالک فاصبح الأم زوّارها

فجعل زیارة القبور عبارة عن موت وفیه زجر للذین یتفاخرون بکثرة عددهم واموالهم واولادهم ویتنازعون فیهم ویضیعون اعمارهم فی طلب المعالی فی الدنیا واهتمامهم فی ابتغاءها وکذا هم فی اکتساب رغائب الدنیا وزخارفها والهائهم عن امر الدین الذی هو اهمّ واشتغالهم فی الملاهی التی هی وبال فی حقّهم ونکال لهم فی الآخرة وما هذا الا ضلال مبین - كَلَّا - کلمة ردع وایقاظ لمن هو موصوف بهذه الخلال الرّدیة - سَوۡفَ تَعۡلَمُوۡنَ - ای لیس الامر کما یتوهّمون والمعنی ان التفاخر بالمال والتنافس بکثرة الاولاد والعدد لیس تفاخرًا او تنافسًا حقیقةً بل التفاخر هو اکتساب السعادة الابدیّة واستحصال الخصائل الملکیة وهذا المعنی اذا کان کلمة کلّا مربوطةً بما قبلها واما اذا کانت متعلّقةً بما قبلها فهی بمعنی حقًّا - ای سوف تعلمون انّ ما توهّمتم من التفاخر کان خطأً اذا شاهدتم خلاف ما کنتم تتفاخرون وفیه انذار شدیدٌ لیخافوا او یتنبهوا عن غفلتهم - ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُوۡنَ - تکریر للتاکید - وفیه انذار وتهویل علی وجه التغلیظ هذا قول صاحب الکشاف تاکیدٌ للردع والانذار وثمّ دلالةٌ علی انّ الانذار الثانی ابلغ من الاوّل واشدّ کما تقول

للنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطاب فيما نحن عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى - وقال علی ابن ابی طالب رضی الله عنه كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث فغاير بينهما بحسب التعلق - وقال الضحاك الزجر الاول وعيد للكافرين والثاني للمؤمنين - روى عن ابی ذر انه قال كنت اشك في عذاب القبر حتى سمعت علی بن ابی طالب رضی الله تعالى عنه يقول ان هذه الاية تدل على عذاب القبر وانما قال ثم لان بين العالمين والحياتين موتا - والمعنى لا يغرنهم كثرة مال وولد ترى حولهم لانهم يموتون فرادى ويحاسبون فرادى كما قال الله تعالى يوم يأتينا فردا - وقال ولقد جئتمونا فرادى واذا كان كذلك لا يجوز للعاقل ان يتفاخر على كثرة العدد والمال والعدد - كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ - اعاد لفظ كلا وهو للزجر وحسنت اعادتها لان الله ذكر بعدها شيئا اخر لم يذكر قبلها ففي هذا التكرار فائدة جديدة - اختلف في جواب لو - قال ابو حيان حذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو الهاكم التكاثر - انتهى وهو قول الاخفش - وقال ابو مسلم لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به او لو علمتم لاي شيء خلقتم لا شتغلتم - انتهى - وقال بعض المفسرين ومعناه يا ايها الكافرون لو كنتم تعلمون مال حب المال والطغيان فيه لكنتم من الصالحين واعرضتم عن زخارف الدنيا وزبرجاتها ووساوس اهلها وقد عبدا لاتها وقال بعضهم انه حذف جوابها لعظم التهويل والانذار لانه اذا حذف ذهب الوهم الى كل مذهب من الخوف والهول - وهذا ابلغ في الانذار كما قال الله تعالى - فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ فابهم فيه معنى الغشيان

يذهب لوهم الى فخامة الغشيان وعظمه - والمراد باليقين هو تحقيق امر في القلب الثابت فيه ولا يزول عنه بشيء يضاده - ومنه قول الشيخ الاكبر

فَإِنْ تَزَلْزَلَ عَنْ حُكْمِ الثَّبَاتِ فَمَا هُوَ الْيَقِيْنُ الَّذِيْ يَقْوِيْ بِهِ خَلَدِيْ

وضده الشك كما ضده العلم الجهل - وحكمه سكون النفس بالمتيقن واطمينانها وقد يجيء بمعنى الظن كما قال ابو سدرة الاسدي -

تَحَسَّبَ هَوَّاسٌ وَأَيْقَنَ أَنَّنِيْ بِهَا مُفْتَدٍ عَنْ وَاحِدٍ لَا أُغَامِرُهُ

والمعنى تشمم هوّاس اي اسد ناقتي وظن انني افتدي بها واتركها له ولا اقتحم المهالك بمقاتلته وانما سمي الاسد هوّاسا لانه يهوس الفريسة اي يدقها - وهذا الاستعمال قليل والاكثر انه يستعمل بالمعنى الذي قلنا - قال الشيخ الاكبر وانما جعل له علما وعينا وحقا لانه قد يكون يقينا ما ليس بعلم ولا عين ولا حق - ويقطع به من حصل عنده وهو صاحب يقين قال لان الجاهل يتيقن والظان انه ظان والشاك انه شاك فيما هو شاك وكل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه علما كان او غير علم انتهى وبهذا اظهر لك الفرق بين العلم واليقين - وعلى هذا التقدير لا يلزم اضافة الشيء الى نفسه اما بيان اقسامه فاعلم ان في العالم بيتا يسمى الكعبة ببلدة تسمى مكة لا يتمكن لاحد الجهل بهذا ولا يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل فاستقر العلم بذلك فاضيف الى اليقين الذي هو الاستقرار بان لله بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة تحجه الناس اليه في كل سنة ويطوفون به فهذا علم اليقين - ثم شوهد هذا البيت عند الوصول اليه بالعين المحسوسة فاستقر عند النفس بطريق العين كيفيته وهيئته وحاله فكان ذلك عين اليقين الذي كان قبل شهوده

علم يقين وما حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته- ثم فتح الله تعالى بصيرته في كون ذلك البيت مضافا الى الله مطافا به مخصوصا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك وسببه باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان عليه بذلك حقا يقينا مقررا عنده لا يزول فكل ما كان حقا فله قرار وليس هذا الكل علم وعين- فلذلك صحت اضافة هذه الاشياء الى اليقين فلو كان علم اليقين وعينه وحق نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشيء الواحد لا يضاف الى نفسه لان الاضافة لا تكون الا بين مضاف ومضاف اليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها ومن لم يفرق بين اليقين والعلم ويقول ان العلم هو اليقين وقد ورد في كتاب الله مضافا احتاج الى طلب وجه في ذلك تصح له به الاضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال قد يكون المعنى واحدا ويدل عليه لفظان مختلفان فيضاف احد اللفظين الى الآخر فانهما غيران بلا شك في الصورة مع احدية المعنى لان لفظة العلم ما هي لفظة اليقين لهذا التغاير فصحت الاضافة في الالفاظ لا في المعنى- وانما اغتال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الالفاظ في الموضوعات من المعاني- فلو علم ذلك لعلم ان المدلول لفظة العلم غير مدلول لفظة اليقين- واذا تقرر هذا فقد علمت معنى علم اليقين وعينه وحقه- وقد عرفت ان اليقين هو كل ما ثبت واستقر ولم يتزلزل فعلم ذلك علم اليقين وشهود ذلك عين اليقين- وانكشاف وجوب الحكمة في ذلك العين حق اليقين- هذا ما ذكره الشيخ الاكبر في الفتوحات في فصل اليقين ونحن لخصناه- فيكون المعنى لو تقرر في قلوبهم قبح التكاثر

في العدد والاموال لتزادد كوه لكان خيرالهم - لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ - جواب قسم محذوف - اي روية الجحيم امر ثابت فلو ادركوه لكان خيراً لهم علم اليقين وفيه وعيد شديد كما لايخفى - والجحيم اسم من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى - قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ - قال ابن سيدة الجحيم النار الشديدة التاجج - يقال تجحم جحوماً اي توقد توقداً ورايت جحمة النار اى توقدها وانشد الاصمعي في صفة النصال ؛ وَضَالَةٍ مِثْلِ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ ؛ شبه النصال وحدتها بالنار ضالة من الضال وهو الصغر والدقة - قرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء - ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا - التكرير للتاكيد في الوعيد والمراد بهذه الروية روية العين - عَيْنَ الْيَقِينِ - وهو المشاهدة التامة ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ - اى يوم القيامة - عَنِ النَّعِيمِ - الذى الهاكم والمخاطبون هم الذين يلهون عن الدين - والمراد بالنعيم هو تكثر العدد والمال والولد - وقيل هو الذي انعمهم الله من الحواس والجوارح وقيل صحة الابدان - قال قتادة لايسئل عن النعم الا اهل النار - وهو قول الحسن كما روي عن ابى بكر الصديق رض انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت اكلة اكلتها معك فى بيت ابى الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب ان تكون من النعيم الذي تسئل عنه - فقال عليه الصلوة والسلام - انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل يجازى الا الكفور وقال بعضهم انها نعم المؤمن والكافر يعني ان المؤمن يسئل عن النعيم كما يسئل عن الكافر واحتجوا باحاديث جاء ظاهر انها في شان الكفار الذى الهاكم التكاثر بالدنيا و التفاخر بها فانسها عن الدين - والله اعلم

بالصواب - قد تم تفسیر هذه السورة بعون الله الذي انزل علی عبده الکتاب - وهو برهان حق الیقین - وفصل الخطاب والصلوة والسلام علیه وعلی اله واصحابه الذین هم سادة الناس في یوم الحساب

سورة العصر ثلث ایات مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

وَالْعَصْرِ - الواو للقسم العصر بفتح العین وبکسرها وبضمها الدهر وهو قول الفراء - وقال بعضهم هو الوقت ومنه قول العجاج -

وَالْعَصْرِ قَبْلَ هٰذِهِ الْعُصُوْرِ مُجَرِّسَاتٍ غِرَّةَ الْغَرِیْرِ

والمجرسات المجربات لان التجریس التجربة والتحکیم - وقال بعضهم هو وقت العشي الی احمرار الشمس وصلاة العصر مضافة الی ذلک الوقت وبه سمیت والیه ذهب ابو مسلم في تفسیره وذکر انه تعالی اقسم بالعصر کما اقسم بالضحی لما فیهما جمیعا من دلائل القدرة انتهی وهو قول قتادة - وقال ابن السکیت ویقال للغداة والعشي العصران ومنه قول العجاج

وَلَنْ یَلْبَثَ الْعَصْرَانِ یَوْمٌ وَلَیْلَةٌ اِذَا طَلَبَا اَنْ یُدْرِکَا مَا تَیَمَّمَا

وهذا القول انسب واکثر المفسرین ذهبوا الی ان المراد به الدهر والزمان - ویؤید هذا المعنی ما ذکر ابن الانباري ان في مصحف علي کرم الله وجهه ورضی الله عنه والعصر ونوائب الدهر ان الانسان

لفی خسر - وکان یقرأ کذلک وانما اقسم اللّٰہ بالعصر - لانہ یذکر
الانسان احوال الایام الخالیۃ والحوادث الحادثۃ فیہا - کدمار القرون
الماضیۃ العاتیۃ وتقلبات احوالہا وھذہ الایام تخبر الناس بان
الانسان مع کونہ ناظرا الی مرور الزمان وذھابہ وسرعۃ انتقالہ
وزوالہ لا یلتفت الی انصرام عمرہ وانقطاع حیاتہ ولا یتوجہ الی تحول
احوالہ من الصبی الی الشباب ومنہ الی الکہل والہرم لان الاشتغال فی الدنیا
لا یمہلہ - والالتذاذ بنعمہا یشربہ راؤق الغفلۃ والسنۃ بل یلقیہ
فی مہواۃ الطغیان والعتو - حتی ینقضی عمرہ وھو نجم لذائذھا
سکران - ویمضی وقتہ وھو ثمل فی اللہو والعصیان - وقرأ سلام العصر
بکسر الصاد والصبر بکسر الباء قال ابو حیان وفی الکلام للہذلی والعصر
والصبر والفجر والوتر بکسر ما قبل الاخر فی ھذہ کلہا ھارون وابن موسی
عن ابی عمرو والباقون بالاسکان کالجماعۃ - اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِیْ خُسْرٍ
ھذا جواب القسم - والانسان اسم جنس ای جنس الانسان لفی خسر
یقال خسر خسرا وخسرا او خسرانا وخسارۃ ای ضل - وقال الزجاج
الخسر ای النقص - وقال الفراء ای فی عقوبۃ بذنبہ - وتنکیر قولہ
خسر للتعظیم ومعناہ خسر عظیم - والمعنی ان الناس لفی نقصان عظیم
فی مساعیہم وغبن جسیم فی متاجرہم لانہم افنوا اعمارہم فی طلب
العاجلۃ فضیعوا اوقاتہم - اِلَّا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ - فہم
فازوا بالسعادۃ الابدیۃ - بفضل اللّٰہ واحسانہ - واختلف فی الاستثناء
فمن اراد بالانسان الکافر قال انہ منقطع ای خسر الکفار باجمعہم
الا الذین امنوا وعملوا الصالحات - والاکثرون علی انہ متصل و ارادوا

بالانسان جنسه لان من امن لا يخرج من الخسر قطعاً يجوز ان يكون
خاسراً في بعض الاشياء بل يخرج منه من امن و عمل عملاً صالحاً
فانه لا يكون خاسراً في متجرة البتة - و ليس يدل هذا على ان العمل
داخل في مفهوم الايمان لانه لو كان كذلك لما جاز ان يعطف قوله
الا الذين امنوا على قوله الذين امنوا لان العطف يقتضي المغائرة
بين المعطوف والمعطوف عليه - والمغائر من الشيء لا يكون جزأ له
فلا يكون العمل جزاءً للايمان - ولان الايمان جعل شرطاً لصحة
الاعمال كما قال الله تعالى - ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
وهو مؤمن اى بشرط ان يكون مؤمناً ولا يجوز ان يكون المشروط
داخلاً في الشرط لامتناع اشتراط الشيء لنفسه فلا يدخل العمل في الايمان
ولان العمل لو كان داخلاً في مفهوم الايمان لوجب التكرير وهو
غير جائز - لا يقال قال الحليمي هذا التكرير واقع لا محالة - لان الايمان
وان لم يشتمل على عمل الصالحات لكن قوله وعملوا الصالحات يشتمل
على الايمان - لانا نقول ان الايمان اذا كان شرطاً لصحة العمل لا يجوز
ان يكون الايمان داخلاً فيه - فلا يكون جزء المشروط فالعمل لا يشتمل
الايمان - وقد تقدم هذا البحث مراراً - والذي ذهب اليه المحققون
من العلماء الحنيفة والشافعية هو ان الايمان هو نفس التصديق
والاذعان فلا يحتمل الزيادة و النقصان والعمل هو شرط كماله فيكون
سبباً للنجاة لا غير وهذا مذهبنا فالذين امنوا وعملوا الصالحات وان
نالوا الكرامة والسعادة بسبب الايمان والاخلاص والعمل الصالح
فالذين قاصرون في الاعمال سينالون هذه السعادة بسبب لتفضل

من الله والشفاعة فلا یکونون من الخاسرین - وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ یقال
تواصی القوم ای اوصی بعضهم بعضاً وفی الحدیث استوصوا بالنساء
خیرًا فانهن عندکم عوان والوصی هو الذی یوصی والذی یوصی له
وهو من الاضداد ومن العرب من لا یثنی الوصی ولا یجمعه - والوصیة
هی الاتصال الموصی بالموصی له وسمیت وصیة لاتصالها بامر المیت و
قیل لعلی کرم الله ورضی الله عنه - وصی لاتصال نسبه وسببه وسمته
بنسب رسول الله صلی الله علیه وسلم - وسببه وسمته - قال ابو منظور
الافریقی قلت کرم الله وجه امیر المؤمنین علی وسلم علیه هذه صفاته
عند السلف الصالح رضی الله عنهم ویقول فیه غیرهم لولا دعابة فیه
انتهی فالتواصی بالحق هو الدعاء الی الدین والنصح والامر بالمعروف
والنهی عن المنکر - ومن ههنا یعلم ان الداعی الی الخیر والمتواصی لا
یشترط التاثیر لدعوته الی الحق فما قال الشیعة ان الامر بالمعروف
والنهی عن المنکر لا یجوز الا بعد وجود التاثیر فی نفس المخاطب
باطل قطعًا - وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ - وهو حبس النفس عند الجزع وانشد

ابن الاعرابی

ارى أُمَّ زَيْدٍ كُلَّمَا جَنَّ لَيْلُهَا تُبَكِّي عَلَى زَيْدٍ وَلَيْسَتْ بِأَصْبَرَا

وهو خلق جمیل من اعطاه الله صلح نفسه وفلح عند الله - وبه نزل الکتب
قال الله تعالی - یَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - یعنی اصبروا علی ما افرض الله علیکم وصابروا عدوکم
ورابطوا علی الجهاد وانتظار الصلوات - وجاءت به السنة کما روی
عن النبی صلی الله علیه وسلم - انه قال الصبر ستر من الکروب وعون

على الخطوب. وقال علي كرم الله وجهه الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو. ومنه شعر عبيد بن الابرص -

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ ... إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْشَفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ

رُبَّ مَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

قال علی ابن طالب رضی الله عنه وکرم الله وجهه للاشعث بن قيس انك ان صبرت جرى عليك القلم وانت ماجور - وان جزعت جرى عليك القلم وانت ماذور - وقد نظمه ابو تمام - وقال -

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ ... وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تِلْكَ الْمَآثِمِ

أَتَصْبِرُ لِلتَّقْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً ... فَتُوجَرَ أَوْ تَسْلُو سُلُوَّ الْبَهَائِمِ

وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضی الله عنه -

خَلِيلَيَّ لَا وَاللهِ مَا مِنْ مُلِمَّةٍ ... تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعَنْ لَهَا ... وَلَا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

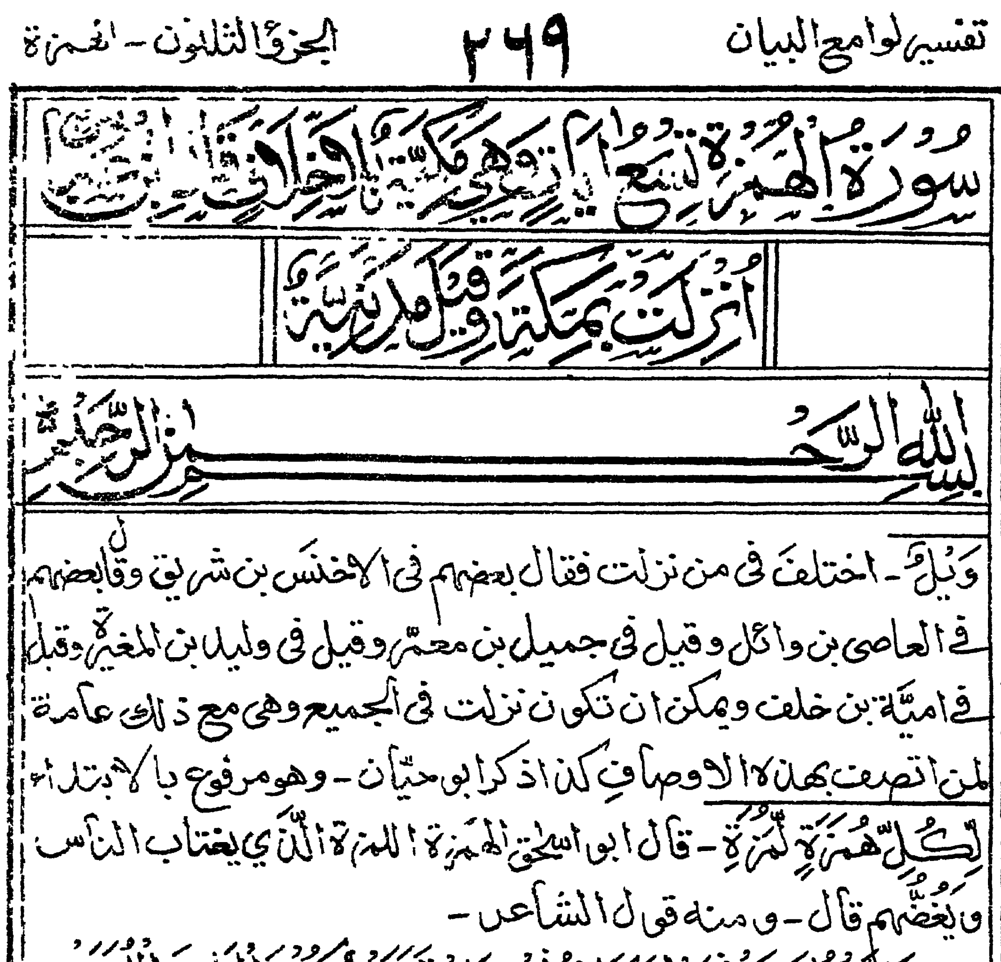
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بُلِيَ بِنَوَائِبٍ ... فَصَابَرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً ... فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ

فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً ... فَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

والمراد بالتواصی بالصبر الامر بالصبر على العبادات وحبس النفس عليها باخلاص النية وصدق الارادة لنيل الصلاح فی الدنيا والفلاح فی الاخرة تم تفسير هذه السورة - والحمد لله الذی وفقنا بالصبر والاتقاء - والصلوة والسلام على نبينا خير الانبياء وعلى اله واصحابه الذين هم سادة الاتقياء وهداة الاصفياء



سورة الهمزة تسع آيات وهي مكية بالاتفاق

انزلت بمكة وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ - اختلف في من نزلت فقال بعضهم في الاخنس بن شريق وقال بعضهم في العاصي بن وائل وقيل في جميل بن معمر وقيل في وليد بن المغيرة وقيل في امية بن خلف ويمكن ان تكون نزلت في الجميع وهي مع ذلك عامة لمن اتصف بهذه الاوصاف كذا ذكر ابو حيان - وهو مرفوع بالابتداء لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ - قال ابو اسحق الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضّهم قال - ومنه قول الشاعر -

اِذَا لَقِيْتُكَ عَنْ شَحْطٍ تُكَاشِرُنِيْ وَاِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَة

كذا قال الزجاج وابن السكيت ولم يفرق بينهما وروي عن ابن العباس رضي انه المراد بهما هو المشاء بالنميمة المفرق بين الجماعة المغري بين الاحبة - وهو قول اللحياني وجاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا استفتح الصلوة قال اللهم اعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه - قيل يا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه - قال اما همزه فالموتة واما نفثه فالشعر - واما نفخه فالكبر - قال ابو عبيدة الموتة الجنون قال ابن الاعرابي الهمز معناه الغض والكسر والعيب - قال ابو منصور واصل في الهمزة واللمز الدفع - قال الكسائي يقال همزته ولمزته والهزته اذا

دفعته - و قال الفرّاء الهمز و اللمز و المرز و اللقس و النقس العيب و قال ابن الانباري الهمزة الذي يخلف الناس من ورائهم و يأكل لحومهم هو مثل الغيبة يكون ذلك بالشدق و العين و الراس قال ابو حيان هو من ابنية المبالغة كنومة و سخرة و ضحكة - قال زياد الاعجم

تدلي بودّي اذا لاقيتني كذبا وان اغيب فانت الهامز اللمزة

قرأ الجمهور بفتح الميم فيهما و الباقون بسكونها - الذي - بدل من قوله لكل او منصوب على الذم و هو قول ابي حيّان - جمع مالا - قرأ الحسن و ابو جعفر و ابن عامر و الاخوان - بتشديد ميم جمّع و باقي السبعة بالتخفيف - وّعدّده - قرأ الجمهور و عدّده بتشديد الدال الاولى اي احصاه و هو قول الفراء و قيل جعله عدّة لطوارق الدّهر و حوادث الايّام - قرأ الحسن بتخفيفهامعناه جمع المال - قال الضحاك جمع مالا لمن يرثه ذكرا بو حيان قيل و عدده على ترك الادغام كقوله

انّي اجود لاقوام و ان ضننوا

اقول و هو قول قعنب ابن ام صاحب اوله -

مهلا اعاذل قد جرّبت من خلقي

فاظهر التضعيف لضرورة الشعر - و في النثر ليست الضرورة - يحسب اي ذلك الهامز اللامز - انّ ماله اخلده - اي يخلد ذلك المال صاحبه في الحياة الابديّة - كلّا - كلمة ردع عن هذا الحسبان - لينبذنّ في الحطمة - جواب قسم محذوف - و النّبذ طرحك الشيئ من يدك امامك او وراءك و منه قوله تعالى - فنبذوه وراء ظهورهم - قرأ الجمهور لينبذنّ فيه ضمير الواحد و عليّ و الحسن بخلاف عنه و ابن

محيصن وحميد وهارون عن ابي عمرو لينبذان بالف ضمير اثنين الهمزة ومالَه وقرأ الحسن بضم الذال اي هو والنصارة وقرأ ابو عمرو لينبذنّه - والحطم الكسر - والحطمة من اسماء النار لانها تحطم كل شيئ يدخل فيها - وَمَآ اَدْرٰكَ - الاستفهام للتهويل والتفزيع - مَا الْحُطَمَةُ ۝ وهي من ابنية المبالغة وهو الذي يكثر منه الحطم ومنه الحديث رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا - وقيل هي باب من ابواب جهنم وقيل هي الطبقة السادسة من طبقاتها - نَارُ اللّٰهِ الْمُوْقَدَةُ - بامر الله لا تخمد ابدا واضافة النار الى الله لعظم شانها وهولها - الَّتِيْ تَطَّلِعُ عَلَى الْاَفْئِدَةِ ۝ قال الفرّاء يبلغ المها الافئدة قال والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد والعرب تقول متى طلعت ارضنا اي متى بلغت ارضنا ومعنى تطلع على الافئدة توفي عليها فتحرقها من اطلعت اذا اشرفت قال الازهري وقول الفراء احبّ اليّ قال واليه ذهب الزجّاج - والمعنى ان هذه النار تدخل اجواف الكافرين فتشرف على افئدتهم وليس شيئ في البدن اشرف والطف من الفؤاد فاذا اطلعت النار على الافئدة لا تسئل عن شدة عذابهم اعاذنا الله عنها - اِنَّهَا - اى نار الله الموقدة - عَلَيْهِمْ - اى الهمزة اللّمزة مُؤْصَدَةٌ - يقال اصدت الباب اي اغلقته - ومنه قول الشاعر

تحنّ الى اجبال مكّة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة

اي مغلقة ابوابها - فِيْ عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝ قال ابن عباس رضي الله عنهما ان العمد الممدّدة اغلال - يقال عَمَدٌ وعُمُدٌ كما قالوا اهاب واهب واُهُب ومعناه انها في عمد من النار - قال الازهري وهذا قول الزجّاج وقال قال الفرّاء العَمَدُ والعُمُدُ جميعا جمعان للعمود مثل اديم وادم

وأُدُمٍ وقضيم وقُضُمٍ - قرأ الجمهور عَمَدٍ بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقال ابو عبيدة هي جمع عِماد - وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال القشيري ان العمد اوتاد قال الفرّاء هما جمعان بعمود واختار ابو حاتم وابو عبيد قراءة الجمهور - والمعنى انّ ابواب جهنم مغلقة عليهم في اغلال او اعمدة ممدودة لا انقطاع لها - قال البيضاوي ان هؤلاء الكافرين موثقون في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص - تمّت تفسير هذه السورة بحمد الله الملك العزيز العلّام فالحمد لله اولاً واخراً وباطناً وظاهراً والصلوة والسلام على نبيه طيباً وطاهراً وعلى آله واصحابه الذين هم ائمة الكرام وهداة الى طريق الاسلام

سورة الفيل مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِاَصْحٰبِ الْفِيْلِ ؕ - الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - اي ألم تعلم قدرته وانعامه تعالى وذلك لانّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم - لم يشهد تلك الواقعة بعينه الّا انّه شاهد آثارها وراى من راي احوالها وسمع بالتواتر اخبارها - فكانّه راها - قال البيضاوي وانّما قال كيف ولم يقل ما لانّ المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانّها من الارهاصات اذ روي انّها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى عليه وسلم - انتهى

وقصتها علی ما ذکرها ابن هشام ان اذا ابرهة بن الصباح الاشرم ملك الیمن من قبل اصحمة النجاشی بنی کنیسة لم یر مثلها فی الارض - ثم کتب الی النجاشی بانی قد بنیت لك ایها الملك کنیسة لم یبن مثلها لملك کان قبلك - ولست بمنتهٍ حتی اصرف الیها حج العرب فلما تحدثت العرب بکتاب ابرهة غضبوا لانهم لم یقدروا علی ان یقاتلوه ثم جمع ابرهة الجیش فتجهز مع عساکره فسار ومعه الفیل الذی قال له محمودا فخرج الیه رجل من اشراف الیمن یقال له ذو نفر فقاتله فهزم ذو نفر ومن معه فاخذه ابرهة اسیرا فلما اراد ان یقتله قال له ذو نفر لا تقتلنی لان بقائی یکون لك خیرا فحبسه ثم مضی ابرهة علی وجهه فخرج له نفیل بن حبیب الخثعمی فقاتله فکسره ابرهة واخذه اسیرا فقال نفیل لا تقتلنی اکن دلیلا لك بارض العرب فخل وثاقه وخلی وخرج معه یدله حتی مر علی الطائف فقاتله رجال بنی ثقیف فانقلبوا خائبین - وانشد ابو عبیدة لضرار بن الخطاب الفهری -

وفرت ثقیف الی لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

فسار ابرهة ونزل المغمس وبعث رجلا من الحبشة یقال له الاسود ابن مقصود علی خیل له حتی انتهی الی مکة فساق الیه اموال اهل تهامة من قریش وغیرهم فاصاب فیها مائتی بعیر لعبد المطلب بن هاشم وهو یومئذ کبیر قریش وسیدها فهمت قریش وکنانة وهذیل ومن کان بالحرم بقتاله فتاملوا فی هذا الشان فعرفوا انهم لا طاقة لهم فترکوه اراده وبعث ابرهة حناطة الحمیری الی مکة فجاء اهلها سائلا عن سید هذا البلد فقالوا هو عبد المطلب بن هاشم فلاقاه وقال انه امره ابرهة

فقال عبد المطلب واللہ ما نرید حربہ - وقال ھذا بیت اللہ وبیت خلیلہ علیہ السلام - فان یمنعہ منہ فھو بیتہ وان لم یمنع عنہ فواللہ ما عندنا دفع عنہ - فقال حناطۃ انطلق معی الیہ لانہ امرنی ان اتیہ بک - فانطلق معہ عبد المطلب معہ بعض بنیہ حتی اتی عساکرہ - وسال عن ذی نفر وکان لہ صدیقا فدخل علیہ فشاورہ فی امر ابرھۃ - فبعث ذو نفر الی انیس لہ فقال لہ ان عبد المطلب سید قریش وصاحب عین مکۃ تطعم الناس بالسھل والوحوش فی رءوس الجبال وقد اصاب لہ الملک مائتی بعیر فاستاذن لہ علیہ وانفعہ بما استطعت - فسار عبد المطلب الی انیس ذی نفر فکلم انیسہ ابرھۃ وقال یا ایھا الملک ھذا سید قریش ببابک یستاذن علیک وھو صاحب عین مکۃ یطعم الناس فی السھل والوحوش فی رءوس الجبال فاذن لہ علیک فیکلمک فی حاجتہ قال فاذن لہ ابرھۃ وکان عبد المطلب وسیم الناس واجملھم واعظمھم فلما راٰہ ابرھۃ اجلہ واعظمہ واکرمہ عن ان یجلسہ تحتہ وکرہ ان تراہ الحبشۃ یجلس معہ علی سریر ملکہ فنزل ابرھۃ عن سریرہ فجلس علی بساطہ واجلسہ معہ ثم قال لترجمانہ قل لہ حاجتک فقال لہ الترجمان فقال عبد المطلب حاجتی ان یرد علی الملک مائتی بعیر اصابھا لی - فلما سمع ابرھۃ ھذا القول قال لترجمانہ قل لہ قد کنت اعجبتنی حین رأیتک ثم قد زھدت فیک حین کلمتنی فی مائتی بعیر اصبتک لک وتترک بیتا ھو دینک ودین ابائک قد جئت ھدمہ لا تکلمنی فیہ - قال لہ عبد المطلب انی انا رب الابل وان للبیت ربا سیمنعہ قال انت وذاک فرد ابرھۃ علی عبد المطلب الابل التی اصاب لہ فانصرف عبد المطلب الی قریش واخبرھم الخبر وامرھم بالخروج

من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبش
ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش
يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو
اخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وقبلتنا فامر ما بدا لك

ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش
الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون عواقب ابرهة فلما اصبح ابرهة تهيأ
لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان معه افيال آخر فوجه الفيل
محمود [illegible] العساكر الى مكة حتى ان الفيل برك في طريق مكة وضربوه ليقوم
فان فوجهوه الى اليمن قام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه
الى المشرق ففعل مثل ذلك فوجهوه الى مكة فبرك فضربوا راسه [illegible]
ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فابى ان يقوم [illegible]
الى مكة وانهدام الكعبة فارسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر [illegible]
الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران
في رجليه مثل الحمص والعدس فمن وقع هذا الحجر عليه هلك [illegible] وليس
كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤا ويسألون
عن نفيل بن حبيب وكان دليلهم في هذا الطريق وكان هرب منهم فضل
الحبشة في القفار ويقتلهم الطير من الاحجار - قال نفيل بن حبيب
حين راى ما انزل الله بهم من نقمته

ألا حُيّيتِ عنّا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رأيتِ فلا تريه لدى جنب المحصّب ما رأينا
إذا لعذرتني وحمدتِ أمري ولم تأسي على ما فات بينا
حمدتُ الله إذ أبصرتُ طيرًا وخفتُ حجارة تلقى علينا
وكلّ القوم يسأل عن نفيلٍ كأنّ عليّ للحبشان دينا

فخرجت هذه الطغاة يتساقطون بكلّ طريق ويهلكون بكلّ منزل ومنهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به يسقط انملة انملة كلّما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدّة تمثّ قيحًا ودمًا حتى جاؤا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه - أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ - اى مكرهم في هدم الكعبة في هلاك وقد جاء مثله في قوله إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ اي في هلاك وقيل والمعنى ان الله جعل كيدهم في تخريب الكعبة في ضياع وضلال - ومعنى التضليل تصيير الانسان الى الضلال - ومنه قول الراعي -

أَنَا اتَيْتُ نُجَيْدَةَ بْنَ عُوَيْمِرٍ أَبْغِي الْهُدَى وَيَزِيدُ فِي تَضْلِيلَا

وَأَرْسَلَ - عطف على قوله الم يجعل عَلَيْهِمْ - اى على هؤلاء الطاغين طَيْرًا - اسم جنس يذكّر ويؤنّث - أَبَابِيلَ - نعت لطير - قال ابو عبيدة ابابيل جماعات متفرقة اى من ههنا الى ههنا ومنه قول الاعشى

كادت تهدّ من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

قال الفراء لا واحد له من لفظه وفي رواية عنه ان واحده ابالة - وقيل واحده ابول والاكثر على انّه لا واحد له من لفظه - قال رؤبة العجاج

ومسّهم ما مسّ اصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا - والله اعلم بالصواب

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ - اي ترميهم تلك الطير الابابيل بحجارة من سجيل قال ابن هشام وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان فارسيتان جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنج وجل اي سنك وكل - وقال بعضهم من سجيل اي من طين كما قال الله تعالى - في قصة لوط عليه السلام - لنرسل عليهم حجارة من طين - فقد بين للعرب ما عنى بسجيل - قال الازهري ومن كلام الفرس لا يحصى مما قد اعربته العرب نحو جاموس وديباج فلا انكر ان يكون هذا مما اعرب قال ابو عبيدة سجيل وسجين واحد بمعنى كثير وقال ان مثل ذلك قول ابن مقبل -

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عُرُضٍ ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا

وقال الزجاج هو من سجل اي ما كتب لهم - قال ابو اسحق وهذا القول اذا فسر فهو ابينها لان من كتاب الله دليلا عليه قال الله تعالى - كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ - و سجيل بمعنى سجين والمعنى انها حجارة مما كتب الله تعالى - انه يعذبهم بها قال وهو احسن ما مر فيها عندي - واختار صاحب الكشاف قول الزجاج [illegible] هو علم للديوان اعمالهم - وقال واشتقاقه من الاسجال وهو [illegible] لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا - فارسل [illegible] وقيل معناه من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل كما مر [illegible] صاحب الكشاف وهذه القصيدة نونية مشهورة في ديوانه [illegible] قيل وروي الجزء الاول من البيت كذا -

وَرُفْقَةٌ يَضْرِبُونَ الْبِيضَ ضَاحِيَةً ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا

قرأ الامام ابو حنیفة رحمه الله يرميهم ای الله تعالى - او الطیر لانه اسم جمع مذکر وانما یؤنث علی المعنی - ومنه قول الشاعر -

كَالطَّيْرِ يَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي الْبَرَدِ

ذکره ابو حیان والجمهور قرأوا بالتاء ای ترميهم فَجَعَلَهُمْ - ای الله جل شانه وعظم سلطانه والضمیر یعود علی اصحاب الفیل قیل وکانت الفیلة فیهم ثلاثة عشر - وقیل ازید من ذلک وقیل کانت الفا - كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ قال سعید بن جبیر العصف التبن الذی تسمیه العامة الهبور - وفی روایة عنه هو ورق الحنطة - قال ابن عباس رضی الله عنهما العصف القشرة تکون علی اعلی الحبة و قیل العَصف والعُصف ورق السنبل - قال ابو عبیدة العصف الذی یعصف من الزرع فیوکل وهو العصیفة - قال بعضهم ولقوله کعصف ماکول معنیان - احدهما انه جعل اصحاب الفیل کورق اخذ ما فیه من الحب وبقی هو لا حب فیه والآخر انه اراد انه جعلهم کعصف قد اکله البهائم - وانشد ابو العباس محمد بن یزید -

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ

اراد مثل عصف ماکول - وزاد الکاف لتاکید الشبه کما اکده بزیادة الکاف فی قوله تعالى - لیس کمثله شیء الا انه فی الآیة ادخل الحرف علی الاسم وهو سائغ وفی البیت ادخل الاسم وهو قوله مثل علی الحرف وهو الکاف والمعنی ان الله سبحانه اهلکهم وعذبهم فما ت عامتهم ولم یرجع منهم خبر فلما هلک ابرهة ملک بعده ابنه یکسوم ثم من بعده اخوه مسروق بن ابرهة ثم خرج سیف بن ذی یزن الحمیری الی کسری فاستغاثه علی الحبشة فانفذ

معه من جیوشه فقاتلوا معه فرد الله الیهم ملکهم وما کان فی آبائهم من الملک وجاءته فود العرب للتهنئة - روی ان النبی صلی الله علیه وسلم ولد عام الفیل قیل ولد صلی الله علیه وسلم بعد ما مضی من واقعة الفیل خمسین وهذا القول صححه الخازن - والصحیح ان فی عام ولادته صلی الله علیه وسلم اختلافا کثیرا - تم تفسیر هذه السورة بعون الله الجلیل والصلوة علی نبیه الذی هو ابن الخلیل وعلی اله واصحابه الذین هم اولوا التفضیل والتبجیل -

سورة الایلاف قریش مکیة وهی اربع ایات

بسم الله الرحمن الرحیم

لایلف قریش - اختلف فی انها سورة مستقلة او متعلقة بالسورة المتقدمة - قال الاخفش ان سورة الفیل وسورة قریش واحدة والیه مال الزمخشری لان فی مصحف ابی ابن کعب لیس بینهما فصل وروی ان امیر المومنین عمر بن الخطاب رضی الله - قرأهما فی رکعة ثانیة من المغرب وفی الاولی سورة التین - ولو کان کل واحد منهما سورة مستقلة لما قراهما فی رکعة واحدة وعلی هذا التقدیر یکون اللام متعلقة بقوله فجعلهم وهو مروی عن الاخفش او باضمار فعلنا والمعنی فعلنا ذلک ای تدمیر الحبشة واهلاکهم - لایلاف قریش - وهذا ایضا مروی عن الاخفش قال وفیه امتنان من الله عز وجل علیهم وذلک لانه تعالی لو سلط

عليهم اصحاب الفيل وهم الحبشة ان تتشتت العرب في البلاد والامصار ولم تجتمع كلمتهم - وهو قول الفراء والزجاج - وابن قتيبة - وفيه نظر لان اتلاف اصحاب الفيل وجعلهم كعصف ماكول - لم يكن الا لشدة كفرهم وطغواهم في المعاصي وسوء ارادة هدم بيت الله المعظم ولا يفهم ان اتلافهم كان لايلاف قريش - مع ان سياق السورة نص على ان تدميرهم كان جزاء لمعصيتهم بالنسبة الى بيت الله لا يقال - ان اهلاكهم يتضمن ثمرتين الاولى هي جزاء معصيتهم في الدنيا والثانية تاليف قريش لانا نقول ان تدميرهم ليس سببا لايلاف قريش لجواز وقوع الاختلاف بينهم بعد دمار اصحاب الفيل - وروي ان الكسائي والاخفش كانا يقولان ان اللام لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش كذا ذكره ابو حيان في تفسيره - وكل ذلك ليس يخلو عن تكلف وقال اكثر المفسرين ان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا والاجل ايلافهم رحلتين وهذا هو الذي ذهب اليه خليل بن احمد - قال صاحب الكشاف فان قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط على ان نعم الله كثيرة لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة - انتهى وهذا المعنى احسن - قرأ ابن عامر لالاف على وزن فعال مصدر الف ثلاثيا يقال الف الرجل الفا والافا - ومنه قول الشاعر

زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف

قرأ الجمهور لايلاف قريش مصدر آلف رباعيا ومنه قول مطرود بن كعب الخزاعي

المتعهد -

أَلْمُنْعِمِيْنَ إِذَا النُّجُوْمُ تَغَيَّبَتْ وَالظَّاعِنِيْنَ لِرِحْلَةِ الْإِيْلَافِ

وقرئ لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إيلافهم رِحلة الشِّتَاءِ - وقرأ ابو جعفر لِيْلَافِ بياء ساكنة بعد اللام - والقرش الجمع والكسب والقِرش بكسر القاف دابة تكون في البحر الملح - ومنه قريش قال صاحب اللسان هو دابة في البحر لا تدع دابة الا اكلتها فجميع الدواب تخافها - وقريش قبيلة سيد رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر - فكلّ من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه - قيل سمّوا لقريش مشتق من الدابة التي تكون في البحر وتاكل جميع الدواب وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه دابّة تسكن في البحر وتاكل دوابه - قال الشاعر -

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِيْ تَسْكُنُ الْبَحْرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا

وقيل سمّيت بذلك لتقرّشها - اي تجمّعها الى مكّة من حواليها بعد تفرقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب وبه سمّى قصيّ مجمّعًا وقيل سمّيت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش - وقيل سمّيت بذلك بتجرّها وتكسّبها وضربها في البلاد تبتغي الرزق - وقيل سمّيت بذلك لانهم كانوا اهل تجارة ولم يكونوا اهل ضرع وزرع من قولهم فلان يتقرّش المال اي يجمعه - قال ابو حيّان واجمعوا على صرف قريش راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه اذا لوحظ فيه معنى القبيلة كما في قول الشاعر -

وَجَاءَتْ مِنْ أَبَاطِحِهَا قُرَيْشُ كَسَيْلِ أَتِيِّ بِيْشَةَ حِيْنَ سَالَا

قال ابن بري وعندي انه اراد قريش غير مصروف لانه عنى القبيلة لانه

قال جاءت فانت فيكون منع صرفه للتانيث والعلمية - قال الاصمعي
كان جد ولد ماء أكي - وكذا لفظ قريش في قول عدي بن الرقاع يمدح الوليد
ابن عبد الملك

غلب المسامیح الولید سماحة ۔ وکفی قریش المعضلات وسادها

جعله سيبويه اسما للقبيلة في نحو معد وقريش وثقيف - قال الجوهري
ان اردت بقريش الحي صرفته وان اردت به القبيلة لم تصرفه والنسب
اليه قريشي كثير وعلى القياس وقرشي نادر -

بكل قريشي عليه مهابة ۔ سريع الى داعي الندى والتكرم

وهذا من كتاب سيبويه رحمه الله - والمساميح جمع مسماح بمعنى كثير
السماحه - رحلة الشتاء - وكانت هذه الرحلة الى اليمن - والصيف -
فكانت الى الشام - فيمتارون ويتجرون قال الامام الرازي قال الليث الرحلة
اسم الارتحال من القوم للمسير في المراد من هذه الرحلة - قال المفسرون
كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء الى اليمن وبالصيف الى الشام وذكر
عطاء عن ابن عباس ان السبب في ذلك هو ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم
مخمصة خرج وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا الى
ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له اسد
وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فشكا اليه الضرر والمجاعة
فدخل اسد على امه يبكي فارسلت الى اولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه
اياما ثم اتى ترب اسد اليه مرة اخرى وشكا اليه من فقام هاشم خطيبا
في قريش فقال انكم اجدبتم جدبا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم
الله واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك

مِنّا خلافٌ فجمع كل بنى أب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن و فى الصيف الى الشام الى التجارات فما ربح الغنى قسّمه بين الفقير و بينه حتى صار فقيرهم مثل غنيهم فجاء الاسلام و هم على ذلك فلم يكن فى العرب بنو أب اكثر مالا و لا اعزّ من قريش قال الشاعر فيهم -

الخالطين فقيرهم بغنيهم ... حتّى يكون فقيرهم كالكافى

قال ابن عباس يرحلون فى الصيف الى الطائف حيث الماء و الظل و يرحلون فى الشتاء الى مكة للتجارة و سائر اغراضهم و منه قول الشاعر -

سفرين بينهما له و لغيره ... سفر الشتاء و رحلة الاصياف

قال صاحب الكشاف اراد رحلتى الشتاء و الصيف و ذلك مثل قول الشاعر

كلوا فى بعض بطنكم تعفّوا ... فانّ زمانكم زمن خميص

انتهى اقول اى فى بعض بطونكم - و مثله قول الشاعر -

قد عضّ اعناقهم جلد الجواميس

اى جلود الجواميس - قال ابو حيّان - و هذا عند سيبويه لا يجوز الا فى ضرورة اقول و قد ورد ذلك فى مواضع من القرآن كما قال الله - لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ - حيث افرده حمزة و الكسائى و حفص - و معنى فى مساكنهم - و كذا فى قوله تعالى - خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ حيث وحّد السمع - و ابو حيّان لا يعتبر فصاحة القرآن - لا يعد عنه مطابقا لاصول سيبويه و ما هذا الا ضلال و سعر - فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ - امرهم الله تعالى بعبادته بعد ما انعم عليهم بهذه النعمة الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ - شديد و ذلك لعموم الجدب [illegible] القحط حتى ان هؤلاء الصعاليك كانوا يأكلون الجيف [illegible]

مِنْ خَوْفٍ - اي من خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم قال ابن زيد كانت العرب يسبي بعضهم بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين

سورة الماعون ويقال لها سورة الدين وسورة اليتيم وهي مكية او مدنية وهي ست او سبع آيات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ - اختلف في انها مكية او مدنية قال عطاء عن ابن عباس رض انها مدنية وروي ابن عباس رض انها مكية - وكذا اختلف في شان نزولها فمن قال انها مكية قال انها نزلت في العاص بن وائل - ومن قال انها مدنية قال انها نزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول - وقيل في ابي جهل او الوليد بن المغيرة - قال ابو حيان قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة في العاصي ابن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن ابي المنافق - وقال وروي انها نزلت في ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورا فاتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا - والاستفهام معناه التعجب قال ابو حيان ومعناه التفهيم ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة قرأ الجمهور بالهمزتين - وقرئ باسقاط الثانية اعني أريت الحاقا بالمضارع لان حذف الثانية مختص بالمضارع - قال الزجاج لا يقال في رأيت ريت - ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا - واختلف في ان ارأيت هل هو بمعنى اخبرني او بمعنى ابصرت او عرفت - فان كان الاول ينبغي ان يكون له

مَفعولَين احدهما الذي والآخر محذوف فقدّره الجوفي البيّن مستحقًّا عذابَ الله - ويؤيده قرأة عبد الله بن مسعود رض وهو أرأيتك بكاف الخطاب - قال النحاة ان كاف الخطاب لا تلحق بالرؤية التي هي بمعنى ابصرت وقال صاحب الكشاف هو بمعنى عرفت وقال والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والذي يحتمل الجنس والعهد والدّين الجزاء كما في قول خويلد بن نوفل الكلابي -

يَا حَارِ أَيقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

اي تجزى - ومنه قوله تعالى - إِنَّا لَمَدِينُونَ - اي مجزيون - والدّيّان هو المجازي ولما كان المجازي حقيقةً هو الله تعالى سمّي باسم الدّيان - و يكون معناه هو الحَكَمُ القاضِي ويطلق هذا الاسم باعتبار معناه الاصلي على غيره تعالى ومنه شعر الاعشى الحرمازي يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم - ؎ يا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ العَرَبِ ؎ اي اقضى العَرَبِ قال صاحب اللسان سئل بعض السلف عن على بن ابى طالب رضى الله عنه - فقال كان ديّان هذه الامّة بعد نبيّها اى قاضيها وحاكمها وقيل الدين الطّاعة - فيكون المعنى اى يكذب لطاعة الله ومن قول عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامًا لَنَا غُرًّا طِوَالًا عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

اي نُطيعَ - فَذَٰلِكَ الَّذِي - قيل الفاء جواب شرط مقدر اى ان تأمّلته فذلك - يَدُعُّ اليَتِيمَ - قرأ الجمهور يدُعّ بضم الدال وتشديد العين من دعّه يدُعّه قال ابن دريد اى دفعه دفعًا عنيفًا ومثله قوله تعالى يَوْمَ يُدَعُّونَ الى نار جهنم دعًّا - وهو قول ابى عبيدة - وقرأ على والحسن

وأبو رجاء بفتح الدال وتخفيف العين ومعناه يتركه ويجفو - وَلَا يَحُضُّ - قرأ الجمهور يحض مضارع حض - قال ابو زيد الحض والحث لغتان والضعف والضعف - قال القشيري ما بدأنا به ان الحض مصدر والحض الاسم قال الازهري ومعناه الحث على الخير وقرأ زيد بن على مضارع حاضضت قال الفراء وكل ذلك صواب - عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ - اي ... نفسه ولا اهله على ان يتحرج على اليتيم والطعام المساكين روي ان هذه الآية نزلت في ابي جهل وكان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله ... نفسه فلا فعله دفعا عنيفا - وقيل في ابي سفيان فاذا نحر جزورا ... فيه فجاء فقرعه بعصاه او في الوليد بن مغيرة - وانما يفعل هذا ... لانه لما كان يعتقد بيوم البعث والجزاء - فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ - اي غافلون - والمراد بالمصلين هم المنافقون الذين كانوا غافلين عن ثواب الصلوة - هو قول الواحدي - روى عن ابن عباس رض انه قال انهم المنافقون الذين يصلون الصلوة علانية ويتركونها سرا - قيل معناه هم الذين يؤخرون الصلوة عن وقتها وكذا روي سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وهذا الحديث عن عاصم عن مصعب عن ابيه موقوفا - وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم - والصحيح هو الذي ذهب اليه ابن عباس رض - قال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم ساهون - انتهى فالسهو في الصلاة يقع لكل مومن مداوم الآن ان النبي صلى الله عليه وسلم - سهى في بعض الصلاة اذ انه سهواً لا عمدا فهو غير داخل في مفهوم السهو عن الصلوة

عنها فهو من شان المنافق فهذه الآية ليس الا في شان المنافقين كما يدل عليه قوله تعالى - الَّذِيْنَ هُمْ يُرَآءُوْنَ - قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المنافقون لانّهم يراءون الناس بصلاتهم اذا حضروا - ويتركونها إذا غابوا - وَيَمْنَعُوْنَ الْمَاعُوْنَ - الماعون من المعن وهو الشيء القليل وهذا قول قطرب اختلف في معنى الماعون - روي عن علي رضي الله عنه انه قال الماعون الزكاة قال الزجاج من جعل الماعون الزكاة فهو فاعول من المعن وهو قليل من كثير - قال ابن سيدة الماعون - الطاعة والزكاة وهو من السهولة والقلة لانها جزء من كل قال الراعي -

قوم على التنزيل لما يمنعوا ماعونهم ويبدلوا التنزيلا

اى طاعتهم وزكاتهم - وقيل الماعون اسقاط البيت كالدلو والفاس والقدر والقصعة لانه لا يكترث معطيه ولا تعنى كاسبه - قال ثعلب الماعون ما يستعار من قدوم وسفرة وشفرة وجاء في الحديث حسن مواساتهم بالماعون قال وهو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفاس وغيرهما مما جرت العادة بعاريته - قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء وانشد فيه -

أقول لصاحبي ببراق نجد تبصّر هل ترى برقا اراه

يمجّ صبيره الماعون صبّا اذا نسم من الهيف اعتراه

وقال بعضهم الماعون في الجاهلية المنفعة والعطيّة - وفي الاسلام الطاعة والزكاة والصدقة الواجبة والصحيح عندي في معناه ما روي عن سيدي على رضوان الله عليه انّ الماعون الزكاة فيكون معنى قوله تعالى - فويل للذين يراءون بصلاتهم في العلانية ويمنعون الزكاة

فی السر - وفی تفسیر ابی حیان وکذا روی عن ابن عمر وابن عباس رض - ای الماعون هو الزکاة - ومنه قول الراعی -

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ إِنَّا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
عُرُبٌ نَرَى لِلّٰهِ مِنْ أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلًا تَنْزِيلًا
قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلًا

یعنی بالماعون الزکاة وهذا القول یناسبه ما ذکره قطرب - تم تفسیر هذه السورة بحمد الله فنحمده علی ما علمنا معانی القرآن وجعلنا من الذین لا یعتصمون الا بالدلیل والبرهان - ونصلی علی محمد خیر الانبیاء وسید العدنان - وعلی آله واصحابه هم سراة اهل المغفرة والرضوان

سورة الکوثر مکیة وهی ثلاث آیات

بسم الله الرحمن الرحیم

انا اعطیناک الکوثر - وقال الحسن وعکرمة وقتادة انها مدنیة والقول الاول هو المشهور عند الجمهور قرأ الجمهور اعطیناک بالعین والحسن وطلحة وابن محیصن انطیناک بالنون - وفی الحدیث وان مال الله مسئول ومنطی ای معطی وروی الشعبی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال لرجل انطه کذا وکذا والانطاء لغة فی الاعطاء - وقیل الانطاء الاعطاء بلغة الیمن وایضا جاء فی الحدیث الدعاء لا مانع لما انطیت ولا منطی لما منعت قال هو لغة اهل الیمن فی اعطی وایضا جاء فی الحدیث

اليد المنطية خير من اليد السفلى هذا ما ذكره صاحب اللسان - و بهذه اللغة انشد ثعلب -

مِنَ الْمُنْطِيَاتِ الْمَوْكِبَ الْمَعْجَ بَعْدَ مَا يُرَى فِي فُرُوعِ الْمُقْلَتَيْنِ نُضُوبُ

قال التبريزي هي لغة العرب العاربة من اولى قريش ومنه قول الاعشى

جِيَادُكَ خَيْرُ جِيَادِ الْمُلُوكِ تُصَانُ الْجِلَالَ وَتُنْطَى الشَّعِيرَا

قال ابو حيان قال ابو الفضل الرازي وابو زكريا التبريزي - ابدل من العين نونا فان عنيا النون في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن وان عنيا البدل الصناعي فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين اصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا يقال الاصل العين ثم ابدلت النون منها انتهى - وانما قال اعطيناك ولم يقل اتيناك لان في الاتياء تفضلا ووجوبا وفي الاعطاء تفضلا فقط - فاعطاء الكوثر للنبي صلى الله عليه وسلم - تفضل محض من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر الامام الرازي - وانما اتى بصيغة الجمع وان كان الاصل هو الواحد لان الله واحد لعظم شان المعطي والمعطى منه وانما بني الكلام على الجملة الاسمية لافادة التاكيد في العطاء كذا ذكره الامام الرازي - والخطاب في هذا الكلام يدل على ان الله تعالى تكلم معه لا بواسطة - كما في قوله تعالى - الم نشرح لك صدرك والكوثر فوعل من الكثرة والواو زائدة - واختلف اهل اللغة في معناه فقيل معناه السيد الكثير الخير - ومنه قول الكميت -

وَاَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وَكَانَ اَبُوكَ ابْنُ الْعَقَائِلِ كَوْثَرَا

وهذا التفسير يعم الحوض والنهر والمعاني الاخر - ولا يبعد ان يقال

ان المراد به اولاده فاطمة الزهراء رضی الله تعالی عنها لان کلهم سادة کرام اصحاب الخیرات الکثیرة و المقامات الالهیة - فیکون المعنی ان الله تعالی اعطاه اولاداً مبارکة یبقون ممکثین علی مر الزمان و کثر الله هو کما

قال فرزدق

انّ عدّا اهل التقی کانوا ائمتهم ؕ او قیل من خیر اهل الارض قیل هم

و قیل الکوثر الکثیر الملتف من الغبار اذا سطع وکثر ومنه قول امیة

یحامی الحقیق اذا ما احتدمن ؕ وحمحمن فی کوثر کالجلال

اراد فی غبار کانه جلال السفینة - ثم اختلف اهل النقل فی معناه قال الحسن الکوثر القرآن - و قال هلال بن یساف التوحید - قال جعفر الصادق رضی الله عنه المراد به نور قلبه دله علی الله تعالی و قطعه عما سواه و قال عکرمة النبوة و قال الحسن بن الفضل هو تیسیر القرآن و تخفیف الشرائع - و قال ابن کیسان الایثار - قیل هو الشفاعة - قال و الاکثرون الکوثر نهر فی الجنة - و قیل هو حوض فی الجنة - قال القرطبی اصح هذه الاقوال انه النهر او الحوض لانه ثابت عن النبی صلی الله علیه و سلم - نصا فی الکوثر و هو قول اکثر المفسرین و الاحادیث فی هذا الباب اکثر من ان تحصی فصل

لربک - قیل المراد به اقامة الصلوات المکتوبة و قیل صلوة العید و انحر البدن لله تعالی التی هی خیار اموال العرب و تصدق علی المساکین و المحاویج و قال بعضهم یراد به وضع الیمنی علی الیسری فی الصلوة علی النحر و فیه دلیل للشافعیؒ - و کذا روی عن علی ابن ابی طالب رضی الله عنه - و کذا روی عن انسؓ اخرجه البیهقی و قال الفراء و الکلبی و ابو الاحوص هو ان یستقبل القبلة بنحره - ان شانئک - من الشناءة و هی البغض و الشانی هو المبغض

كذا الشنان بالهمز وبغيره كما قال الاحوص -

وما العيش الا ما تلذ وتشتهى   وان لام فيه ذو الشنان وفندا

قال ابو عمرو الشانی المبغض والشنئ والشنئ البغضة - هو الابتر - البتر القطع يقال تبرت الشئ اي قطعته - والابتر بضم الهمز من يقطع الرحم ومنه قول الشاعر

لئيم بدت فی انفه خنزوانة   على قطع ذي القربى اجذ اباتر

روي عن ابن عباس لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر - وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط - ثم تفسير سورة الكوثر - ولله الحمد والمنة والصلوة على محمد الذي هو نبي خير الامة - وعلى آله واصحابه الذين هم اولى الامة في الجنة

سورة الكافرون ست آيات وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقد نسبت في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك عن ابن الزبير انها نزلت بالمدينة وذهب الاكثرون من العلماء الى القول الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يايها الكفرون - قال المفسرون نزلت هذه السورة في رهط من قريش

منهم الحارث بن قيس السهمى والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
والاسود بن يغوث والاسود بن المطلب بن اسود وامية بن خلف اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقالوا ان اتبعت ديننا نتبع دينك
وان عبدت الهتنا نعبد الهك ونشركك فى عبادة الهتنا سنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعوذ بالله ان اشرك بالله غيره - ثم
قالوا ان لم نؤمن من جميع الهتنا فامن ببعض الهتنا حتى نؤمن الهك فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب - فانزل الله تعالى هذه السورة
فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المسجد الحرام وفيه الملأ من
قريش فقام بين ايديهم وقرأ عليهم هذه السورة فغضبوا وجعلوا
يؤذونه صلى الله عليه وسلم - ويضرون اصحابه - فالمراد بالكافرين
هم المذكورون لانهم كانوا كافرين فى علم الله تعالى - والكفر هو ترك
شكر المنعم وفى الشرع هو التكذيب بالله ورسوله والاصرار على ما كان عليه
وهؤلاء الذين هم الموصوفون بهذه الصفة والمستديمون عليها فخوطبوا
بقوله قل يا ايها الكافرون - اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان موصوفا بخلق عظيم - فلذلك امر فى بعض المواضع باظهار الخشونة والغلظ
فامره الله ان يقول يا ايها الكافرون ولما كان موسى عليه السلام مفطورا
بالخشونة امره الله بالقول اللين كما قال - وقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى - وما مورا بالرفق واللين فى الدعوة لانه مع ذلك خاطب
منكرية - بقوله يا ايها الكافرون بجهة انه كان مامورا بهذه المخاطبة
كما تدل عليه كلمة قل - لا اعبد ما تعبدون - قال الاخفش ومعناه
لا اعبد الساعة ما تعبدون - ولا انتم عابدون - السنة - ما اعبد

وَلَآ اَنَا عَابِدٌ - فی المستقبل - مَا عَبَدْتُّمْ وَلَآ اَنْتُمْ عٰبِدُوْنَ - فی المستقبل
مَآ اَعْبُدُ - قال الاخفش ولا حاجة الی القول بالتوکید بهذا التوجیه
قال ابو مسلم ما فی الاولیین بمعنی الذی والمراد به المعبود وفی الاخریین
مصدریّة ای لا اعبد عبادتکم التی بُنیت علی الشرک والشک قال
ابن قُتَیْبَة انّ القرآن لم ینزل دفعةً واحدة وانّما کان نزوله شیئاً
بعد شیٔ والامر فی ذلک ظاهرٌ وهو ان المشرکین اتوا النبی صلی الله علیه
وسلم - فقالوا استلم بعض اصنامنا حتی نؤمن بک ونصدق بنبوّتک
فامره الله بان یقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد
ثم غبرّ وامدة من الزمان واجاؤه صلی الله علیه وسلم - فقالوا له اعبد
بعض الهتنا واستلم بعض اصنامنا یوماً او شهراً او حولاً فنفعل مثل
ذلک بالهک - فامره الله تعالیٰ بان یقول لهم ولا انا عابدٌ ما عبدتم ولا انتم
عابدون ما اعبد ای ان کنتم لا تعبدون الهی الا بهذا الشرط فانکم لا تعبدونه
ابداً - وقد طعن بعض الناس علی هذا التاویل بان قال انه یقتضی شرطاً
وحذفاً لا یدلّ علیه ظاهر الکلام - وحکی عن ابی العباس الثعلب انه
قال انّما حسن التکرار لان تحت کلّ لفظةٍ معنیً لیس هو تحت الاخری
وتلخیص الکلام قل یا ایها الکافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفی
هذه الحال ولا انتم عابدون ما اعبد فی هذه الحال ایضاً - فاختصّ الفعلان
منه ومنهم بالحال - وقال من بعد ولا انا عابدٌ ما عبدتم فی المستقبل
ولا انتم عابدون ما اعبد - فی المستقبل - فاختلف المعانی وحسن التکرار
فی اختلافها - انتهی وهذا مثل قول الاخفش - وذهب الفراء الی انّ
التکرار للتاکید کقول المجیب مؤکداً بلی بلی - والممتنع لا لا - ومثله

قوله تعالى - كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون - وانشد الفراء -

وَكَائِنْ وَكَمْ عِنْدِي لَهُمْ مِنْ صَنِيعَةٍ   أَيَادِيَ ثَنَّوْهَا عَلَيَّ وَأَوْجَبُوا

وقال بعضهم معناه إني لا اعبد الاصنام التى تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير عابدين الله الذي انا عابده اذ اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه وانما يكون عابدا له من اخلص العبادة له دون غيره وافرده بها - وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اى لست اعبد عبادتكم ومعنى لا انتم عابدون اى لستم عابدين عبادتى على ما ذكر فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعانى - فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه فى اختلاف العبادة - قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت العبادتان ولانه كان النبى صلى الله عليه وسلم يتقرب الى معبوده بالافعال التى اوحاها اليه معبوده وهم لا يفعلون تلك الافعال الموحية المقربة له بل يطلبون تقرب معبودهم المزعوم بافعال يجدونها بانفسهم - لكم دينكم ولى دين - الدين هو الجزاء كما فى قول الشاعر -

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ   دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

وايضا كما قال الشاعر

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ   وَدِنَّاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا

فيكون المعنى لكم جزاء عملكم ولى جزاء عملى - فان قيل ان الظاهر هذا الكلام يقتضى اباحة قيامهم على دينهم وليس هو الا الشرك والكفر واجيب بان ظاهر الكلام وان كان يدل على ذلك لكن فيه وعيد الشديد لهم ... فى النهى عن اقتفاء آثارهم ... فيهم - وذلك كما قوله

تعالى اعملوا ما شئتم - وكما في قوله تعالى - ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - قال طائفة من العلماء ان هذه الآية منسوخة باية القتال - اقول ان مفهوم الآية تدل على انّ ان جزائى وحسابى مغائر لجزائكم وحسابهم وهو صحيح لا شبهة فيه - فهذا المفهوم محكم لا يقبل شيئا من النسخ - قال البيضاوي في تفسيره فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد - ليكون منسوخا باية القتال انتهى - اقول ولعلّ القائلين بالنسخ لا يتأملون في غوامض الشريعة - وظاهر انّ الدين بدأ غريبا ضعيفا ثم صار مقيما قويا ويمكن ان يعود السيرة الاولى فاذا كانت هذه الآية منسوخة باية القتال والجهاد لا يكون الا بعدّة وعدّة - ويزداد الضعف فيه يوما فيوما فعلى شئ يكون عمل المسلمين ومعلوم ان المنسوخ هو المعدوم فلا يمكن اعادته والناسخ ايضا معدوم لانتفاء شرائط وجوده فيجب التعطل - وحذفت الياء من قوله تعالى - دين وقفا وقرأ نافع وهشام وحفص والبزّي بفتح الياء والباقون باسكانها قال البيضاوي وتبعا للزمخشري روى في فضيلة هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قرأ سورة الكافرين فكانّما قرأ ربع القران وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر انتهى - والمراد بالفزع الاكبر هول القيامة اقول فهذا الحديث الى قوله ربع القران صحيح رواه الترمذي والباقي موضوع لا اصل له - عند الحفاظ - قال الاثبات وكذا حال الروايات المذكورة في الكشاف والبيضاوي في فضائل السور فانّ اكثرها موضوعات - وللصوفية في تاويل هذه الآية كلام اخر - وبيانه ان الذات لها مرتبتان الاولى هي لتنزيه الحقيقي يلحق

هذه المرتبة بالاحدية ولا يعتبر فيها شان من شيون التعدد والتكثر
ولا يلاحظ فيها صفة من الصفات - والثانية هي التشبيه - وهو ظهور الذات
في مجالي الاكوان ومظاهر الاعيان - فالذات باعتبار المرتبة الاولى المعبود
الحقيقي فلا يستحق بالعبادة الا هو وباعتبار المرتبة الثانية هو العابد
مطلقا - فالمؤمن من هو الذي يعبد الذات في مقام التنزيه والكافر هو
الذي يعبد الذات في مقام التشبيه - وانما يلزم الكفر لمن يعبد الذات
في مقام التشبيه لان التشبيه منشأ التكثر ومبدأ التعدد فليس فيه
توحيد حقيقي والله تعالى امر العباد بان يعبدوه في مقام التنزيه - كما قال
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنَ - اي يعبدونني ولا يعبدون سواي
فالمعبودية مرتبة تقتضي الوحدة والعابدية الكثرة كما هو ظاهر من
فحوى هذه الاية - فرسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب هؤلاء المشركين
بقوله يا ايها الكفرون بالخطاب الحقيقي لانهم كانوا يعبدون الاصنام وكان
هذا الخطاب حقيقا بمقام النبوة - ثم خاطبهم على طريق الرفق واللين لقوله
لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد - لانهم لم يكونوا يعبدون
في زعمهم الا المعبود الحقيقي الذي تمثل بين يديهم بالمثل الكونية والعارف
يعرفها من احدى مرتبتي الذات التي هي التشبيه فلا يجوز للعارف ان يلازم
هذه المرتبة كما يلازمها غيره فيجب له الصموت في هذا المقام باعتبار مشاهدته
الوحدة الحقيقية في مجالي الاكوان - ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم
ولي ديني - لان ديني باعتبار النبوة والرسالة هو التنزيه ودينكم باعتبار
الظهور التفصيلي هو التشبيه فلا تثريب بهذه الاعتبار - والله اعلم بالصواب

تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد خير الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحابه اجمعين

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات وقيل مكية بالاجماع

قال أهل العلم ان هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في اوسط ايام التشريق بمنى في حجة الوداع وهو تُوُفّي بعدها بمدة يسيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ - كلمة اذا في موضع النصب بقوله فسبح - هذا ما ذهب اليه صاحب الكشاف قال ابو حيان ولا يصح اعمال فسبح في اذا لاجل الفاء لان الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل العامل في اذا الفعل الذي بعدها على صحيح انتهى ومعنى اذا جاء نصر الله اي اذا جاءك يا محمد نصر الله كذا قال الواحدي والنصر الاعانة والاسم النصرة - والفتح - عطف على نصر الله اي فتح البلاد والامصار قال ابو حيان ومتعلق النصر والفتح محذوف فالظاهر انه تعالى نصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على اعدائهم وفتح مكة وغيرها عليهم كالطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن انتهى قيل والمراد بالفتح فتح مكة وكان فتحها لعشر مضين من رمضان سنة ثمان وملخص هذه القصة ان ابا سفيان لما اتى النبي

صلى الله عليه وسلم ورجع خائبًا الى قومه وقع التزعزع والاضطراب في قريش وكانوا لا يستطيعون على أن يقاوموا النبي صلى الله عليه وسلم ويهشموا شوكته وقد عميت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما يظهر غدًا حتى سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة في كتيبة خضراء وفيها المهاجرون والانصار حتى لا يرى منهم الا الحدق وصعدوا على عقبات مكة ثم انحدروا وكانوا معه صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار كما اخبر الله تعالى في التوراة حيث وخرج من جبال فاران مع عشرة الاف من الملائكة المقربين - فخرج عياش مسرعًا حتى الى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد جاءكم - قال النبي صلى الله عليه وسلم - لخالد والزبير حين دخلا مكة لا تقاتلا الا من قاتلكما - وامر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدي ولم يكن القتال من قبل الزبير واما خالد بن الوليد فقدم على قريش فقاتلهم باسفل مكة ثم هزمهم الله فقتل من المشركين اثنا عشر او ثلاثة عشر رجلا ومن المسلمين رجل من جهينة يقال له سلمة من خيل خالد بن الوليد فهزم القريش والمشركون ثم امنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح مكة ولم يبق فيه رجل من اهل الشرك - وَرَاَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُوْنَ فِيْ دِيْنِ اللّٰهِ اَفْوَاجًا - ورأيت اما يكون بمعنى ابصرت او يكون معنى علمت فعلى الاول وابصرت الناس داخلين في دين الله افواجًا - فيكون قوله ويدخلون حالا - وعلى الثاني يكون وعلمت الناس داخلين فالمفعول الثاني هو قوله يدخلون - والمراد

بالناس قیل اهل الیمن کما هو قول ابی هریرة وابن عباس رض وعکرمة ومقاتل و قیل هم الاعراب و ذهب الیه الجمهور - قال ابن کثیر فان احیاء العرب کانت تتلوم باسلامها فتح مکة یقولون ان ظهر علی قومه فهو نبی فلما فتح الله علیه مکة دخلوا فی دین الله افواجا - فلم تمض سنتان حتی استوسقت جزیرة العرب ایمانا ولم یبق فی سائر قبائل العرب الا مظهر للاسلام و لله الحمد والمنة - اقول وهذا قول ذهب الیه اکثر المفسرین و ذلک لان نصاری بنی تغلب لم یسلموا فی حیاة رسول الله صلی الله علیه وسلم لکنهم اعطوا الجزیة قرأ الجمهور یدخلون مبنیا للفاعل وقرأ ابن کثیر فی روایة مبنیا للمفعول والمراد بدین الله ملة الاسلام وافواجا جمع فوج قیل و القیاس ان یجیئ علی افعل لان الضمة لما استثقلت علی الواو عدل من افوج الی افواج انتهی والقیاس فی المعتل ان یکون جمعه علی افعال - مثل قول واقوال وطود واطواد وحوض واحواض وشذ فیه افعل کثوب واثوب

فسبح بحمد ربک - قال ابو حیان ای متلبسا بحمده علی هذه النعم التی خولکها من نصرک علی الاعداء وفتحک البلاد واسلام الناس وای نعمة اعظم منها اذ کل حسنة یعملها المسلمون فهی فی میزانه انتهی - والمراد بالحمد الشکر لانه فی مقابلة النعمة الجزیلة التی ذکرت انفا - وانما قال بحمد ربک ولم یقل بحمد الملک مراعاة لهذا المقام لان النصر والاعانة من لوازم التربیة وان کان لفظة الله جامعا لحقائق الاسماء لکن المعنیین المذکورین یوجدان صریحا فی اسم الرب والمعنی نزه ربک المنعم و متلبسا باظهار الشکر علی النعم التی فضلنا بها علیک - واستغفره ای اطلب المغفرة للمؤمنین الذین یدخلون فی دین الله افواجا لاملنائهم

و تاخيرهم عن الايمان و امثاله قوله تعالى - فاستغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات و قال بعضهم ان الاستغفار من الانبياء عليهم السلام تعبدا لان الله تعالى لما اكرمهم بالنبوة و الرسالة فطرهم على فطرة لا تجنح الى العصيان و الجناية حتى صارت قواهم الشهوانية مقهورة تحت قهر نفوسهم الناطقة فاذا خوطبوا بالاستغفار ليسوا مخاطبين به حقيقة بل المخاطب به امتهم فيكون المعنى قل للمؤمنين ان يستغفروا الله ربهم من كل ذنب و خطيئة و المعنى الاول هو الاولى - انه كان توابا - تعليل لامره تعالى بالاستغفار اى استغفر الله للمؤمنين الذي من شانه ان يتوب عليهم و يقبل توبتهم قال المفسرون و الامام الرازي اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال ابن عمر و انما نزلت بمنى في حجة الوداع - ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي - فلم يعش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها الا ستين يوما - يسبح الله و يستغفره - حتى لحق بالرفيق الاعلى - قد تم تفسير هذه السورة فالحمد لله و الصلوة على نبيه محمد و آله و اصحابه اجمعين

سورة تبت و تسمى سورة ابي لهب خمس آيات مكية بلا خلاف و هو قول عائشة

و ابن عباس و ابن الزبير رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ - قال مقاتل و ابن عباس خسرت و هذا قول ابن دريد و منه قول الراجز -

أخيسر بها من صفقة لم تستقل تبت يدا صافقها ماذا فعل

اختلف في شان نزولها قال ابن عباس رضی الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتم امره في اول البعثة و يصلى في شعاب مكة ثلاث سنين الى ان نزل قوله تعالى - وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - فصعد الصفا و نادى يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال هذه غالب قد اتتك فما عندك ثم نادى يا آل لوى فرجع من لم يكن من آل لوى فقال ابولهب هذه لوي قد اتتك فما عندك ثم نادى يا آل مرة فرجع من لم يكن من آل مرة ثم قال يا آل كلاب ثم قال بعده يا آل قصى فقال ابو لهب هذه قصى فما عندك - فقال ان الله امرني أن أنذر عشيرتي الاقربين و انتم الاقربون اعلموا اني لا املك من الدنيا حظا و لا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم عند ربكم فقال ابو لهب الهذا دعوتنا فتفرقوا و رجعوا الى بيوتهم و روي ان رسول الله لما دعاهم الى التوحيد نهارا ذهب الى بيت ابي لهب ليلا و دق بابه ففتح حتى دخل في بيته و جلس بين يديه كالمعتذر و جعل يدعوه الى الاسلام و اوضح له ثم قال و ان منعك الحمية فقل لي سرا او اسكت فغضب ابي لهب و قال لا او من بك حتى يؤمن بك هذا الجدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجدي من انا فقال رسول الله - فتغيظ و اخذ يدي الجدي و فرقه فقال تبا غدا اثر فيك السحر فقال الجدي بل تبا لك كذا ذكره امام الرازي في تفسيره فنزلت السورة على وفق ذلك - تبت يدا ابي لهب - لانه مزق يدي الجدي و ابولهب

هذه من كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم - واسمه عبد العزّى بن عبد المطلب وكنيته ابو عتبة - وانما سمّي ابا لهب لاشراق وجهه وكان من اشد بني هاشم الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه - قال محمد بن اسحٰق سمعت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الدّيلي يقول انّي لمع ابي رجل شابّ انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يتّبع القبائل ووراءه رجل احول وضيئ الوجه ذو جمّة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم امركم ان تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا - وان تصدّقوني وتمنعوني حتى انفذ عن الله ما بعثني به - فاذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم ان تسلخوا اللات والعزّى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتّبعوه فقلت لابي من هذا قال عمّه ابو لهب رواه احمد - وَتَبَّ - وهذه غير الاولى لانّ الاولى جملة انشائية معناها هو الدعاء والثانية اخبار ومعناه انّ ابا لهب ان كان حيّا في بيته لكنه هالك وخاسر فاطلاق التباب عليه باعتبار ما يؤول اليه وانّما قال تبّ بصيغة الماضي لكون تبابه قطعيا - مَآ اَغْنٰى عَنْهُ مَالُهٗ وَمَا كَسَبَ - كلمة ما امّا نافية وامّا استفهامية فعلى الاول يكون المعنى انّ امواله ومكاسبه لا تغنيه عن التباب والخسران - وعلى الثاني يكون معناه هل يغنيه ماله وكسبه من الهلاكة والتعبير بصيغة الماضي لتاكيد الحكم ووقوعه بالفعل كالماضي - قال ابن عباس انّ المراد بما كسب والده وكذا روي عن عائشة رضي الله عنها - روي عن ابن مسعود رضي الله

عنه - ان رسول الله صلی الله علیه وسلم لما دعا قومه الی الایمان قال ابو لهب ان کان ما یقول ابن اخی حقا فانی افتدی نفسی یوم القیامة من العذاب بمالی وولدی - فانزل الله تعالی - ما اغنی عنه ماله وما کسب - روی انه مات بعد غزوة بدر بالعدسة التی حدثت فی جلده والعرب کانت تهرب منها وزعموا انها متعدیة - قالت المعتزلة ان الآیة تدل علی ان ابا لهب کان کافرا فی علم الله تعالی فتکلیفه بالایمان تکلیف ما لا یطاق وهو لا یلیق بشان الحکیم وجوابه ان المکلف هو الذی یعطی البصیرة والعقل من الله تعالی - ویمیز بین الصواب والخطاء والنفع والضر وکان ابو لهب کذلک فهو مکلف قطعا - ثم فعل النبی صلی الله علیه وسلم لیس الا اراءة الطریق کما اشار الیه الله تعالی - فی قوله انک لا تهدی من احببت لکن الایصال الی طریق الحق هو فعل الله تعالی حقیقة - فاراءة سبیل الحق والارشاد الیه لیس تکلیفا بما لا یطاق علیه - ثم التکلیف بما لا یطاق جائز عند بعض والمراد به ان یمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه او عدم تعلق ارادته بذلک الفعل او اخباره بعدم وقوعه فان مثله لا تتعلق به القدرة الحادثة لان القدرة الحادثة لا توجد الا مع الفعل ولا تتعلق بالضدین فالتکلیف بهذا جائز بالنظر الی امکانه فی نفسه والا لم یکن العاصی بفسقه وکفره مکلفا بالایمان - تمام البحث مذکور فی تفسیر قوله تعالی - لا یکلف الله نفسا الا وسعها - سیصلی نارا ذات لهب - قرأ الجمهور بفتح الیاء واسکان الصاد وتخفیف اللام ای سیصلی هو بنفسه النار ای سیحترق من صلی یصلی اذا احترق والصلاء والصلا اسم للوقود وصلی بمعنی ادخل فی النار کما قال الشاعر

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر ... تحية من صلى فؤادك بالجمر

اراد انه قتل قومها فاحرق فؤادها بالحزن عليهم ومنه قوله تعالى - سنصليه
نارا - اي ندخله - وفي الآية اخبار بالغيب بمعنى ان ابالهب سيموت على
الكفر [illegible] - وامرأته حمالة الحطب - اسمها ام جميل
بنت حرب اخت ابي سفيان وعمة معاوية وكانت في غاية العداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] انها تخرج ليلا الى الغابات
البرية فتاخذ الشوك [illegible] وحطبا فتجعلها حزمة وتاتي حمالة
الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم اضرارا له - حكى ان طالب بن
ابي طالب دخل على معاوية فقال له معاوية ما يفعل عمتك ابو لهب في
النار - قال تعلو [illegible] في النار - وقيل معنى حمالة الحطب انها تمشي
بالنميمة بين الناس - ومن ذلك قول الشاعر -

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ... ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

النميمة من [illegible] فلان يحطب على فلان اذا سعى به - قال ابن [illegible] معناه حمالة الخطايا
والذنوب وهو قول ابن جبير - قال الزجاج وما كان ذلك لفعالها -
قرأ الجمهور حمالة الحطب بالرفع على انه خبر مبتدأ [illegible] وقرأ [illegible]
حمالة الحطب وصفة لامرأته - وقرأ عاصم وحفص بالنصب على الذم
[illegible] بكونه نعتا [illegible] معرفة يجوز فيه الرفع لانه بدل او عطف بيان
لقوله امرأته كذا قال ابو حيان - في جيدها - اي في عنقها يوم القيامة
حبل من مسد - المسد بالتحريك الليف وقيل حبل من ليف او خوص او شعر
او وبر وصوف او جلود الابل او من اي شيء - قال الزجاج جاء في التفسير
انها سلسلة طولها سبعون ذراعا تسلك كما في النار - وقال ابن السكيت

یقال مسد الحبل مسداً اذا جاد فتله فیل ولقد عیّر بعض الناس عتبة بن ابی لهب بحمّالة الحطب فقال

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي ۔۔۔ عَمَّا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ
غَرَّاءُ شَادِخَةٌ فِي الْمَجْدِ سَامِيَةٌ ۔۔۔ كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَبِ

الشادخة متسعة الجبین - ذکر المفسرون لما سمعت ام جمیل هذه السورة اتت ابا بکر وهو مع رسول الله صلی الله علیه وسلم فی المسجد بیدها فهر فقالت بلغنی ان صاحبک هجانی ولافعلن واعمی الله تعالی بصرها عن رسول الله صلی الله علیه وسلم - فروی ان ابا بکر رضی الله عنه قال هل ترین معی احداً قالت اتهزاء بی لا اری غیرک وان کان شاعراً فانا مثله اقول

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا ۔ وَدِينَهُ قَلَيْنَا ۔ وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا

فسکت ابو بکر رضی الله عنه ومضت هی فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم - لقد حجبتنی عنها ملائکة فما رأتنی وکفی الله شرها - وفی روایة اسماء عن ابی بکر رضی الله عنه اقبلت العوراء ام جمیل ولها ولولة وفی یدها فهر وهی تقول ؞ مُذَمَّمًا أَبَيْنَا ؞ الخ ورسول الله صلی الله علیه وسلم جالس فی المسجد معه ابو بکر رضی الله عنه فلما راها ابو بکر قال یا رسول الله صلی الله علیه وسلم قد اقبلت وانا اخاف علیک ان تراک فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم انها لن ترانی وقرأ قرانا اعتصم به کما قال الله تعالی - واذا قرأت القرآن جعلنا بینک وبین الذین لا یؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً - فاقبلت حتی وقفت علی ابی بکر ولم تر رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت یا ابا بکر انی اخبرت ان

صاحبك هجانی قال و رب الكعبة ما هجاك فولت و هی تقول قد علمت قریش انی ابنة سیدها - كذا روی ابن ابی حاتم انتهی ما ذكر ابن كثیر والفقر المجر الذي يملأ الكتب - اقول ان هذا الحدیث صحیح باعتبار الروایة لكن فیه شیئًا - الاول مخافة ابی بكر الصدیق رض منها و قوله انی اخاف عـلیك و الثانی مخافة رسول الله صلی الله علیه و سلم - من فهرها و قال لن ترانی و قرأ قرانا اعتصم به و فی روایة البزار انه قال ابو بكر رضی الله عنه لرسول الله صلی الله علیه و سلم - لو تنحیت لا تؤذیك بشیء فقال رسول الله صلی الله علیه و سلم - سیحال بینی و بینها - و كل ذلك یدل علی مخـافة رسول الله صلی الله علیه و سلم منها و مثل هذه المخافة لا تلیق بشان النبی صلی الله علیه و سلم - و الله اعلم و علمه اتم - تـم تفسیر هذه السورة فالحمد لله الذي جعل نبیه بشیرًا و نذیرًا - و الصلوة علیه بكرة و اصیلا - و علی اله و اصحابه ما دام الشمس بازغة و القمر منیرا

سورة الاخلاص وهی اربع ایات مكیة

وفضائلها كثیرة روي ان قراءتها تعدل ثلث القران رواه الامام احمد فی مسنده

بسم الله الرحمن الرحیم

قل هو الله احد - و فی سبب نزولها اخرج الامام احمد فی مسنده عن ابی ابن كعب رضی الله عنه ان المشركین قالوا للنبی صلی الله علیه و سلم یا محمد

النسب لنا ربك فانزل الله تعالى - قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ اللّٰهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ - وكذا روى الترمذي وابن جرير وغيرهما و ذكر ابو حيان روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود قالوا يا محمد صِفْ لنا ربك وانسبه فنزلت اقول وهذا غريب لان اكثر الاحاديث تدل على ان هذا السؤال كان من المشركين او من قريش وبعضها يدل على ان اعرابيا جاء النبي صلى الله عليه وسلم وسأل ذلك - ولان اهل الكتاب كانوا يعلمون ان الله جل شانه متعال عن النسب - الا ان بعضا من اهل الكتاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنتا او امتحانا بانه يا محمد من خلق الخلق قال الله فقالوا من خالق الله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم - فنزل جبريل عليه السلام - فسكّنه وقال واخفض جناحك يا محمد فنزل قل هو الله احد فلما تلاه قالوا صف لنا ربك كيف عضده وذراعه فغضب اشد من غضبه الاول فاتاه جبريل عليه السلام بقوله وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ - وانما سألوا ذلك لان مذهبهم التشبيه وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجد او ياقوت او ذهب او فضة فقال ان ربي ليس من شيء لانه خالق الاشياء فنزلت قل هو الله احد - قالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شيء - قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا زدنا فقال لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد ولهذه السورة اسماء كثيرة منها - سورة التوحيد وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة النسبة وسورة المعرفة وسورة النور وغيرها - وهو ضمير غائب لا يعتبر فيه شيء من الظهور والمراد به الذات المعتبرة في مقام الاحدية التي يسمى

بغيب الهوية وله مراتب الاولى هى الاحدية وهى التى تجامع الشيون
السلبية لان المراد بها كون هذه الحقيقة منزهة عن انحاء الصفات التى
يمكن وجودها فى الخارج- والثانية هى الوحدة المطلقة وهى الذات التى
نعتت ببعض الصفات الثبوتية كالعلم والنور مثلا وتسمى بالتعين الاول
والثالثة هى الواحدية وهى الذات التى اعتبرت بها الصفات الثبوتية
كلها وهى مرتبة الجمع وتسمى بالالوهية فالله علم لذات احدية جامع
لجميع الصفات فالضمير الغائب الذى هو الاحدية هو الله تعالى وهو
مبتدا اى خبره هو الله تعالى- و قال بعض الاعراب انه ضمير الشان فيكون
الله مبتدا وخبره احد- قال الزجاج وفى الكلام تقديره وهو ان الذى
سالتم عنه هو الله تعالى- ثم الفرق بين الاحد والواحد هو ان الاحد
شئ بنى لنفى ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد لان
احدا يصلح فى الكلام فى موضع الجحود و واحد فى موضع الاثبات يقال
ما اتانى منهم احد فمعناه لا واحد اتانى ولا اثنان واذا قلت جاء فى
منهم واحد فمعناه انه لم يأتنى منهم اثنان- وهذا معناه اذا لم يضف الى
شئ فاذا اضيف الى شئ قرب من معنى الواحد- وحاصل معناه ان
الاحد هو الفرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر- ثم اعبدالله
وابى بن كعب رضى الله عنهما هو الله احد بغير قل- ذكره صاحب الكشاف
وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو- وقال من قرأ
الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش هو الله الواحد وذكر المبرد
فى الكامل قل هو الله احد الله الصمد بغير تنوين احد يسقطها لا فانه
لام التعريف و نحوه لا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء

الساكنين - اقول و ما جميع ما ذكر من القراءات ليست من السبعة و العشرة بل هي شاذة لا يجوز قراءتها في الصلاة - اَللّٰهُ الصَّمَدُ - من صمد اليه اذا قصده و الصَّمَدُ بالتحريك السيد المطاع الذي لا يقضى دونه امر - و قيل الذي يُصمَدُ اليه في الحوائج اي يقصد قال الشاعر -

اَلَا بَكَرَ النَّاعِيْ بِخَيْرِ بَنِيْ اَسَدٍ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُوْدٍ وَ بِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

و يروى بخير بني اسد و انشد الجوهري

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهٗ خُذْهَا حُذَيْفُ فَاَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

كذا ذكر صاحب اللسان - قال ابو عمرو الصَّمَدُ هو الذي لا يأكل و لا يشرب و هو قول الشعبي - و الامام الرازي طول الكلام في معناه - و قال البجلي الصمد هو الذي يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد انتهى و هذا المعنى مطابق بما قاله اهل اللغة لان السيد المطاع الذي لا يقضي دونه مختار في امره ما يشاء - و من لم يكن كذلك لكان اما موجبا و اما ممكنا و الثاني باطل لان من كان ممكنا فهو محتاج في نفسه فلا يكون قادرا على قضاء حوائج غيره و الاول ايضا باطل لانه يلزم منه ان يكون مضطرا في صدور افعاله كالنار للاحراق مثلا فيكون فعله طبيعيا و الفعل الطبعي ليس محمودا و لا مذموما اما تكرير لفظ الله في قوله الله الصمد فاما للتعظيم و اما للالتذاذ لحام بل في ذهن المحبين الطالبين لوجه الله كما في قول قيس العامري

بِاللّٰهِ يَا ظَبَيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا اَلَيْلَايَ مِنْكُنَّ اَمْ لَيْلٰى مِنَ الْبَشَرِ

اي لان الصمدية لا تكون نعتا الا للالوهية و لذلك ذكر الصمد بحرف التعريف الذي يخصص المعرف بالصفة الالوهية و لم يذكر كلمة احد بلام التعريف لان العرب كانوا جاهلين و لا يعرفون الحقيقة الاحدية

بل انهم یعتقدون ان الحقیقة الالوهیة متعددة فی نفسها فلم یناسب
اتیان هذه اللفظة بالتعریف فلذلک نکّرها و بالجملة انّ الاحدیّة
المحضة و الصمدیّة الساذجة توجبان ان الحقیقة المسبرة بالالوهیّة
منزّهة عن کل صفة ممکنة موجودة فی حقائق المجردات والجسمانیات
فاستحال ان تکون والدا و مولودًا و لذلک قال تعالی لم یلد ولم یولد
لَمْ یَلِدْ وَلَمْ یُوْلَدْ - ای لم یلد کما ولدت مریم علیها السلام ولم یولد
مثل عیسٰی علیه السلام - و سدّ لما قالت الکفرة کما قال مشرکوا
العرب الملائکة بنات الله و قالت الیهود انّ عزیرا ابن الله و قالت
النصاری المسیح ابن الله - الا انّه لم یکن من هذه الکفرة احد من یدّعی
انّ له والدا - فردهم الله تعالی لانّ هاتین الصفتین من خواص الاجسام
و کونه تعالٰی جسما و جسمانیا باطل فهاتان الصفتان بالنسبة الیه تعالٰی باطلتان
وَلَمْ یَکُنْ لَّهٗ کُفُوًا اَحَدٌ - الکفء والکفوء علی فعل و فعول والمصدر الکفاء
والکفاءة بالمدّ و القصر کما قال حسان بن ثابت رضی الله عنه

وَرُوْحُ الْقُدُسِ لَیْسَ لَهٗ کِفَاءُ

و معناه لانظیر له - قال الزجاج و فی الکفوء اربعة وجوه منها ثلاثة
کُفُوٌ بضم الکاف و الفاء و کُفْأٌ بضم و اسکان الفاء و کِفْأً بکسر الکاف
و سکون الفاء و قد قرئ بها و کِفَاءٌ بکسر الکاف و المدّ و لم یقرأ بها
و معناه لم یکن احد مثلا لله تعالٰی - و قرأ ابن کثیر ابن عامر
و ابو عمرو البصری و الکسائی و عاصم منقلا مهموزا - و قرأ حمزة کُفْأً
بسکون الفاء مهموزا و اذا وقف قرأ کُفَا - بغیر همزة و اختلف عن نافع
کُفُوًا مثل ابی عمرو و روی کفا مثل حمزة اعلم ان قوله تعالٰی احد جامع

للصفات السلبية كلها فهو يشتمل نفي التوالد و الكفو غيرهما و انما نص بنفي هاتين الصفتين لترديد اوهامهم الباطلة - و الكفو اذا اريد به المساوي في الذات و الصفات فهو باطل قطعاً لانه تعالى واجب بالذات و صفاته واجبة بها و اذا كان شيء مساوياً له لزم تعدد الواجب و هو باطل و اليه اشار الله تعالى ليس كمثله شيء اما الكفو لغة فهو يستعمل في الذوات الناس و الحيوانات و لو كان له تعالى كفو لكان جسماً و جسمانياً و هو باطل - و في اعراب هذه الآية وجهان الاولى ان قوله له خبر و كفواً منتصب على الحال - و الثاني ان له متعلق بقوله كفواً و الخبر كفواً او قدم الظرف اي الجار و المجرور و هو يلا لاهتمام لان الضمير في له يرجع الى الله تعالى قال صاحب الكشاف لان هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه و تعالى - هذا المعنى مصبه و مركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء و اعناه و احقه بالتقديم و احراه انتهى و هذا القول يدل على ان تقديم قوله له لاهتمام نفي المكافاة لا لكونه خبراً - لان الظرف اذا كان غير مستقر وجب تاخيره قال مكي ان سيبويه لم يمنع الغاء الظرف اذا تقدم - و انما اجاز ان يكون خبراً و ان لا يكون خبراً و يجوز ان يكون حالاً من النكرة و هي احد لما تقدم نعتها عليها فيكون له الخبر على مذهب سيبويه - انتهى و قال صاحب الكشاف ان الظرف اذا كان غير مستقر لا يجوز الا تاخيره و قد نص سيبويه على ذلك في كتابه فلا يجوز تقديمه على الخبرية فما ذهب اليه مكي غير صحيح هذا هو ملخص ما ذهب اليه الزمخشري و لم يبق لتقديم هذا الظرف وجه الا ما ذكر الزمخشري و هو اهتمام نفي المكافاة و المفسرين اختاروا قوله و لم يحققوا ما قال

سیبویه حتی ان احمد المنیر شنع علی سیبویه و قال انه سمع بعض الجفاة من العرب و جرت هذا الجزء علی عادته فی تقدیم الظرف لنفس المعنی لا لاجله بتقدیم الظرف مع الخبر علی الاسم وهذا المتشنع ایضا لم ینقل قول سیبویه و لم یراجع الی کتابه الا ان ابا حیان نقل هذه المسئلة و قائل فی قوله ثم یتنزل منه فانه قال سیبویه و قال ثم قال سیبویه تقول ما کان فیها احد خیرا منک و ما کان احد مثلك فیها و لیس احد فیها خیر منك اذا جعلت فیها مستقرا و لم تجعله علی قولك فیها زید قائم اجریت الصفة علی الاسم فان جعلته علی فیها زید قائم نصبت فیقول ما کان فیها احد خیرا منك و ما کان احد خیرا منك فیها الا انك اذا اردت الالغاء فکلما اخرت الملغی کان احسن و اذا اردت ان یکون مستقرا فکلما قدمته کان احسن و التقدیم و التاخیر و الالغاء و الاستقرار عربی جید کثیر قال الله تعالی و لم یکن له کفوا احد - و قال - ما دام فیهن فصیل حیا - انتهی قال ابو حیان و ما نقلناه ملخصا و هو بالفاظ سیبویه - انتهی قول ابی حیان - و بهذا القول یظهر ان الظرف اذا کان غیر مستقر یختار فی تقدیمه و تاخیره و کل ذلك احسن - فما ذهب الیه صاحب الکشاف ان الظرف اذا کان غیر مستقر لا یجوز تقدیمه مخالف لما ذهب الیه سیبویه - اما تشنیع محشی الکشاف علی سیبویه فهو مردود علیه و الظاهر مما ذهب الیه لا یحتاج الی سوال و لا جواب ذکرهما صاحب الکشاف و لا الی تاویل مکی - فینبغی ان یقال ان کفوا خبر لم یکن و له متعلق بکفو - و ان جعل له خبرا و یقال لم یکن له احد لا یصح الکلام - و کذا لو جعل کفوا صفة لاحد و له خبرا و یقال لم یکن له احد کفو لا یصح الکلام تم تفسیر هذه السورة

بعون الله الملك العليم والصلوة على نبيه والتسليم وعلى آله واصحابه الذين رشدوا الناس الى الدين القويم

سورة الفلق مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ - قال الفراء الفلق الصبح يقال هو ابين من فلق الصبح وفرق الصبح وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشى -

حَتّٰى اِذَا مَا انْجَلٰى عَنْ وَجْهِهٖ فَلَقٌ هَادِيْهِ فِيْ اُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ مُنْتَصِبٌ

وقال الزجاج الفلق بيان الصبح - وقال بعض العرب الفلق بسكون اللام الخلق وقد يقال بتحريكها الخلق كله ومنه قوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى - اي خالقهما - وقال الزجاج وفالق الاصباح يجوز ان يكون معناه خالق الاصباح والاصل فى الفلق هو الشق ويلزمه الظهور والبيان والخروج لانه اذا شق الشئ يظهر منه شئ ويخرج - فيكون المعنى على الاول قل اعوذ برب الصبح وعلى الثانى برب الفلق - واختلف فى شان نزولها - فقالت عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه ياتى النساء ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا - فقال يا عائشة أعلمت ان الله قد افتانى فيما استفتيته فيه اتانى رجلان فقعد احدهما عند راسى والآخر عند رجلى فقال الذي عند راسى للآخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد ابن اعصم رجل من بنى زريق

حليف ليهود كان منافقا - قال وفيم قال في مشط ومشاطة - قال واين قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان قالت فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التى اريتها وكان ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رؤوس الشياطين رواه البخاري قالت عائشة رضى الله عنها فقلت هل اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وروي عن زيد بن ارقم مثله - اقول دلت هذه الرواية على وقوع اثر الطب على الانبياء عليهم السلام ولا بأس به عند العقل لكن المعتزلة انكروا هذا القول لقوله تعالى - والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى - وتجويز اثر الطب عليهم يفضى الى القدح فى نبوتهم - لان الانسان اذا كان قادرا على اضرار النبي لعجز النبى فى مقابلته ومقاومته فكيف يحصل غرض البعثة - وهذا القول باطل - فجوابه ان هذه الرواية قد صحت عند اصحابنا فلا يجوز القدح فيها ويجوز تضرر النبي بامته على طريق النقل والعقل اما على طريق النقل فكما ذكر فى القرآن فى قصص نوح وابراهيم ولوط وعيسى وزكريا ويحيى عليهم الصلوة والسلام فان كل واحد منهم قد اذاه امته بل قتلت بعضهم مثل يحيى وزكريا وعليهما الصلوة والسلام - على ان الله تعالى - ذكر فى القرآن فلم تقتلون انبياء الله - فاى شئ اشد ضررا من القتل اما على طريق العقل فيجوز ان يعصم الله نبيه فى تبليغ شرائعه واحكامه من الجن والانس اما الاضرار ببدنه فهو ليس ببعيد كما قدمنا - واختلف فى ان الرقي بالقرآن بل هى تجوز ام لا فذهب ابن عباس وعلى وعثمان ابن العاص الثقفى وعائشة رضى الله عنهم ان الرقي بالقرآن جائز وذهب ابن مسعود وجابر رضى الله عنهما الى عدم جوازه واستدلا بقوله عليه الصلوة والسلام - ان لله عبادا لا يكتوون

لا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون - وايضا روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن الرقى - واجيب ان هذه الروايات لا تدل على نهي الرقى بالقرآن
بل تدل على نهي الرقى التي يسترقون بها الاعراب ولا مرية في كونها منهية
عنها - اما التوكل على الله فهو مرتبة فوق مرتبة التجويز فمن توكل على الله
في جميع الامور ولا يسترقي بالقرآن ايضا فهو اعلى وافضل ممن يسترقي به
اما اضافة الرب الى الفلق فمعناها انه رب الخلق كما قدمنا - مِن شَرِّ مَا خَلَقَ
قال عطاء عن ابن عباس المراد بالشر والشر قد يكون اختياريا ومنشاؤه الشعور
فيصدق هذا القسم على ابليس وجنوده وسائر الحيوانات المؤذية وقد يكون
لا اختياريا فهو اما ان يكون طبعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقد يكون
اضطراريا كقتل الانسان نفسه في وقت الحمية والانفة وكل ذلك شر
خبيث والشر الاختياري على قسمين الاول هو الذي منشاؤه شعور جزئي
وهو شرور الحيوانات كافتراس السباع ولدغ ذوات السموم والثاني هو
الذي منشاؤه شعور كلي كشرور الانسان والجن فالشر الطبعي والشر الذي
منشاؤه شعور جزئي خارجان من دائرة المجازاة اما الشر الذي منشاؤه شعور
كلي وان كان اضطراريا واقع تحت الجزاء - قراءة الجمهور من شر ما خلق باضافة
شر الى ما وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من مكلف وغير مكلف
مثل افتراس السباع والاحراق بالنار والاغراق بالبحر - وقرأ عمرو بن فائد
من شرٍ بالتنوين - وقال ابن عطية - وقرأ عمرو بن عبيد من شرٍ بالتنوين
وما خلق بالنفي - وهذه قراءة باطلة - لا اصل لها غير مرفوعة الى ائمة هذا
الفن - قالت المعتزلة ان الشر ليس بداخل تحت الخلق - وهو باطل نقلا
وعقلا اما الاول فلان الله تعالى قال في القرآن الحكيم الله خالق كل شيء فلعموم

فالشر داخل تحت الشئ فوجب أن يكون داخلاً تحت الخلق - اما الثاني فلان الشر لو لم يكن داخلاً تحت الخلق لوجب أن يكون اما واجباً و اما ممتنعاً وهما باطلان لانه لو كان واجباً لزم تعدد الواجب وهو باطل ولو كان ممتنعاً لكان معدوماً محضاً لا يظهر منه فعل ولا اثر والظاهر خلافه لان له آثاراً كثيرة في الخلق فلا يكون ممتنعاً فوجب أن يكون ممكناً وكل ممكن فهو محتاج في وجوده الى الجاعل فالشر وجب أن يكون محتاجاً في وجوده الى الجاعل - وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ - قيل الغاسق الليل وقال الحسن الغاسق اول الليل - قال الاخفش الغسق ظلمة الليل وقال الفراء اول ظلمته وقيل هو الفمر سمي به لانه يكسف فيغسق اى يذهب لونه ويسود ويظلم يقال غسق يغسق غسوقاً اذا اظلم وهو قول ابن قتيبة - قال ثعلب وجاء في الحديث ان عائشة رضي الله عنها قالت اخذ رسول الله صلى عليه وسلم بيدي لما طلع القمر فنظر اليه فقال هذا الغاسق اذا وقب فتعوذي بالله من شره اى من شره اذا كسف وروي عن ابي هريرة انه الثريا وقال الزجاج الغسق البرد والغاسق هو الليل لانه ابرد من النهار والغاسق البارد واستعيذ من شره لانه فيه تنبث الشياطين والهوام والحشرات واهل الفتك ومنه قول الشاعر

يَا طَيْفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَرَقًا ... إِذْ جِئْتَنَا طَارِقًا وَاللَّيْلُ قَدْ غَسَقَا

وقال ابن شهاب هو الشمس اذا غربت و ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الغاسق هو الليل وهو الصحيح وَقَبَ معناه اظلم - واقبل ظلامه - ومنه قول الشاعر

وَقَبَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّهُمْ ... لَحِقَتْهُمْ فَادُ السَّمُومِ فَأَحْصَدُوا

وَمِنْ شَرِّ النَّفّٰثٰتِ فِي الْعُقَدِ - النفث شبه النفخ دون تفل بريق - وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم - قال ان روح القدس نفث في روعي - النفاثات واللواتي السواحر حين ينفثن في العقد بدلالة قرأ الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وكذا قرأ ابن عمر والحسن في رواية يعقوب النافثات وابو الربيع النفثات بغير الف وكانت النسوة ينفثن على عقد يعقدن في الخيوط والمبالغة بالنظر الى شدة ولعهن في اثر ترتب سحرهن على من يردن كونه مسحورا - قيل انها بنات لبيد بن اعصم اليهودي - وقيل ان اليهود كانوا ساحرين - قال السحرة ان السحر من النساء اشد تأثيرا من السحر الرجال لانهن اشد اعتقادا في امثال هذه الامور من الرجال وذلك لجهلهن من العلوم الحقيقية وخلوهن من اليقينات فيكون السحر اوقع تأثيرا منهن - وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ - والمراد بالحاسد الحاسد المطلق سواء كان من الجن اي من الانس والاشبه ان يراد به الشيطان لانه اشد حسدا على الانسان من غيره لانه يسعى دائما في ازالة عبادات الانسان وحسناته ويغوي على اكتساب السيئات واقتراف المعاصي - قال عمر بن عبد العزيز رض لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد - روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخبره بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فنزحوا ماء البئر وانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأس وانسان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى السورتين اي المعوذتين فجعل كلما اقرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة

الاخيرة فقام كانما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين الله يشفيك تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد واله واصحابه اجمعين

سورة الناس ست آيات قيل هي ملية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس - قرأ الجمهور بترك الامالة وقرأ ابوعمرو البصري بها روى المنذري عن ابي الهيثم انه سأل عن الناس ما اصله فقال الاناس فالالف فيه اصلية ثم زيدت عليه اللام للتعريف واصل تلك اللام ابدا الا من احرف قليلة مثل الاسم والابن وما اشبههما من الالفات الوصلية فلما زادوها على اناس صار الاناس ثم كثرت في الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها فتركوها وصار الباقي الناس بتحريك اللام بالضمة فلما تحركت اللام والنون ادغموا اللام في النون فقالوا الناس فلما طرحوا الالف واللام ابتداء الاسم فقالوا ناس قال الازهري وهذا الذي قاله ابو الهيثم تعليل النحويين - والناس والانسان واحد والمراد به الكون الجامع الذي يحيط به جميع مراتب الوجود ومرات انوار الذات فليس في مخلوقه اعلى واشرف منه ولذلك قال برب الناس والملك وان كان اصفى خلقة واسنى فطرة منه الا انه ليس في

مرتبة الجمع کما هو محقق عند اهل البصيرة - ومعنى برب الناس مربيهم باقاضة مصالحهم الکونية وایصال منافعهم الالهية ثم تعليم التعوذ هذه آية جزيلة من الله لرجوع العبد من البعد الى القرب لان من اعاذه الله تعالى فقد قرب ومن قرب منه فقد وصل مَلِكِ النَّاسِ - اى مالکهم ومدبر امورهم سواء کانت دينية او دنياوية ولا يلزم من اضافته الى الناس بانه ليس ملك غيرهم - لان هذه الاضافة لاثبات کرامة الانسان وفضيلته على سائر مخلوقاته واذا کان الله عز اسمه ملك من هو اکرم المخلوق وافضلهم يجب ان يکون ملك من هو ليس منعوتا بهذه الخطة العظيمة وهو عطف بيان لرب الناس بمعنى ان تربيته اياهم ليست تربية اضافية بل هى تربية حقيقية لان تربية المالك عبده محيطة بکل ما لابد منه من اصلاح معيشته ومعاده - هذا اذا کان الملك بمعنى المالك اما اذا کان بمعنى المتصرف الکامل فى ملکه فهو ظاهر لان الله تعالى اذ کان جاعلهم ومحييهم ومميتهم ورازقهم فهو متصرف فيهم قطعا - إِلَٰهِ النَّاسِ - عطف بيان لقوله برب الناس اى معبودهم کما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان الاضافة ليست للاختصاص بل للشرف والکرامة کما بيناك اولا وهذا يدل على ان من کان رب الناس ملکهم بالقدرة التامة والارادة الکاملة هو اله الناس حقيقة فالرب والملك حقيقة هو الله تعالى وهذا البيان ترديد لاوهام الکفرة الذين اتخذوا اربابا من دون الله فهم جاهلون لانهم لا يعرفون بان الربوبية والملکية لا تصح الا لمن کان منعوتا بالالوهية - مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ - الاصل فى الوسوسة الصوت الخفى

من الريح - وقد يراد بالوسواس في الوسوسة حديث النفس يقال وسوست
اليه نفسه وسوسة ووسواسا والوسواس بكسر الواو المصدر هو قول
الفراء وبالفتح اسم له وقيل بالفتح هو الشيطان وقال الزجاج هو الشيطان
ومعناه ذو الوسواس وانما ذكر باسم المصدر لقصد المبالغة نحو
زيد عدل وهذا لكثرة وساوسه وتوفر خدائعه بالنسبة الى الانسان
ومزيد اغوائه بسعة رحمة الله او بتسويل ان له امتدادا في عمره
فيكون مجالا للتوبة وكل ذلك اغواء ومخادعة نعوذ بالله من شروره
ووساوسه فكان هاتين السورتين الكريمتين علتان دافعتان لوساوس
الباطلة فنزولهما لهذا المطلب الشريف نعمة جزيلة ومنحة جليلة
من الله تعالى - الخناس - وهو صفة الوسواس - روي ابو عبيد عن
الفراء والاموي خنس يخنس خنوسا اذا تاخر وانقبض ومنه قول البعيث

وصهباء من طول الكلال زجرتها وقد جعلت عنها الاخرة تخنس

والصهباء الناقة - اى تتاخر - قال الازهري وانشد لى ابو بكر الايادي
لشاعر قد مر على النبي صلى الله عليه وسلم فانشده من ابيات -

وان دحسوا بالشر فاعف تكرما وان خنسوا عنك الحديث فلا تسل

وجاء في الحديث الشيطان يوسوس في قلب العبد فاذا ذكر الله خنس
اى انقبض منه وتاخر قال الازهري وكذا قال الفراء - وقيل ان له
راسا كراس الحية يجثو على القلب فاذا ذكر الله تنحى وخنس واذا ترك
ذكر الله رجع الى القلب يوسوس نعوذ بالله منه فالخناس هو المتاخر
بالمبالغة اي يكثر في التاخر ثم يرجع الى الوسوسة مرة بعد اولى وكرة
بعد اخرى ويحوم حول قلب الانسان من خلفه وقدامه ويمينه و

يساده ليوسوسه ويرجعه الى الخيالات الفاسدة والخطرات تهيجه للسيّات بل يجري في بدن الانسان مجارى الدم لكونه من الاجسام الهوائية المارجيّة فلا مزحل منه الا بذكر الله تعالى - لانّه للوسوسة كالنار للحطب اليابس يجب على الذاكرين ان يبدءوا بهاتين السورتين وبالتعوذ قبل الذكر ليحصل له الامان من تسويلاته الكاذبة وخدائعه المهلكة

الَّذِيْ يُوَسْوِسُ فِيْ صُدُوْرِ النَّاسِ - صدر الشيء اعلاه وجمعه صدور ولا يكسّر على غير ذلك وهو مذكر وانّما انّثه بعض الشعراء بعدنا كونه مضافا الى المونث ومنه قول الاعشى -

وَتَشْرَقُ بِالْقَوْلِ الَّذِيْ قَدْ اَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

والصدور غير القلوب كما قال الله تعالى ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور لكن المراد بالصدور في هذا المقام هي القلب على طريق المجاز المرسل والضمير في يوسوس يرجع الى الشيطان وانّما يقدر على الاغواء والوسوسة لكونهم غافلين عن ذكر الله واشتغالهم في امورهم ولهوهم قال بعض العقلاء المراد بالوسواس هو القوة الوهميّة المخترعة لصور بديعة واشكال عجيبة وهو تاويل بارد موافق لمذهب الطبيعيين الاصح عند العلماء انّ الالفاظ تدلّ على معانيها الحقيقية عند التبادر وعدمها عن القرينة الصارفة عنها واذا وجدت قرينة صارفة عن المعنى الحقيقة او في ارادتها محال عقلي يخالفه الشرع يجوز ارادة المعنى المجازى الذي يطابقه نص امر اوحديث صحيح اسند الى رسول صلى الله عليه وسلم امّا التاويل العقلي الغير المطابق بنص كذا اوحديث كذا فهو مردود عند اهل الحق لانه خروج عن مذهب اهل السنّة فارادة القوة الوهميّة

بالوسواس باطل - و الذي في محل الجر او النصب بتقدير اذم او الرفع
اي هو الذي - مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ - بيان للوسواس او للذي ومتعلق
بقوله يوسوس اي من جهة الجنة والناس - و قال ابو حيان و من للتبعيض
اي كائنا من الجنة و الناس فهي موضع الحال اي ذلك الموسوس هو
بعض الجنة و بعض الناس - انتهى و المراد بالجنة ذرية ابليس فانهم
الموكلون بآ و لاد ادم عليه السلام فانه ما من احد من بني ادم الا وله
قرين يزين له الفواحش والا يا لو لا جهد في الخيال و هؤلاء القرناء كانوا
الانبياء عليه السلام الا انهم يطيعونهم كما قال الله و كذلك جعلنا
لكل نبي من شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
و اليه اشار النبي صلى الله عليه و سلم - حيث و انت يا رسول الله قال
نعم الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير - والمراد بشياطين
الانس هم الذين يحرضون الناس الى معصية و يزينونها في اعينهم
وهم قسيم لشياطين الجن - قال الامام الرازي ان المستعاذ منه في سورة
الفلق ثلثة انواع الغاسق و النفاثات والحاسد و المستعاذ به واحد
و هو الرب فكان الصفة الربوبية تكفي بنفسها للاستعاذة من هذه
الاشياء و في هذه السورة المستعاذ منه واحد وهو الموسوس والمستعاذ
به هو الله تعالى الا كنه ذكره بثلث صفات الربوبية و الملكية والالوهية
فذكر المستعاذ به بهذه الصفات الكاملة يدل على قوته و عظمته وكسر
المستعاذ منه و تذليله اقول و لا يخفى على الفطن المتدبر ان اول الكلام
في القرآن بسم الله اي اسم الله تعالى - و اخره والناس - فكان دائرة
الوحدة ابتدأت من نقطة الالوهية و امتدت حتى ختمت على نقطة

العبودية فليس في الوجود شيء الا هاتين نقطتين و نقطة العبودية وان كانت نقطة الاختتام الا انها منطوية في نقطة الالوهية فلا يرى الا دائرة الوحدة فالحمد لله الذي هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء محيط ۔ تم المجلد الرابع من تفسير لوامع البيان - فالحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان والصلوة والسلام على من ارسل الى كافة الانس والجان وعلى اله واصحابه الذين هم خير من نطق بالقران

خاتمة طبع تفسير لوامع البيان

الحمد لله الذي هو بارئ النسم وسابغ النعم - والصلوة والسلام على محمد سيد الانام الذي اتاه الله جوامع الكلم واله الاسياء على الامام الهمام هو امام الانام خليفة الله الملك العلام سيدنا محمد المهدي الموعود عليه الصلوة والسلام وعلى اصحابهما البررة الكرام

اما بعد فيقول المرتضى بن شريف الحسيني المهدوي

إنّ الله عز وجل خلق لهذا الدين رجالاً أخذوا كتاب الله الكريم وسنّة

رسوله الذي خلق على خلق عظيم حتى أصلحوا بهما أحوال الناس من

المعاش والمعاد وهدوهم إلى سبيل الرشاد فمنهم الإمام العلّامة الحبر الفهّامة العلّامة

بحر العلوم أشرف بن علي الحسيني المهدوي الحيدرآبادي فإنه صنّف كتباً كثيرة في فنون الدين لا

سيما سفر كبير مسمّى بلوامع البيانات في تفسير القرآن فإنه كشف فيه القناع عن وجوه الدلايل

وبالغ في توضيح نكاته على أساليب الأدباء مع حسن التفسير والتأويل ولما أصرّ فينا

جمع منّا إلى إشاعة الجزء الأخير منه اهتممنا في طبعه المطبع الكريمي صاحب الشرف و

الفضيلة الغرّاء المولوي [illegible] محمد بهادرخان سلّمه الله الكريم المنّان فقبل في طبعه ذلك

البحر بهمّته حتى كمل طبعه شاهداً ذلك في أواسط ربيع الأول من شهور ثمان وثمانين بعد الألف

وثلثمائة من الهجرة النبوية عليه ألف ألف صلاة وتحية فجاء بحمد الله بما يروق به الأوراق

ويضيء به عيون أرباب الأبصار فالمسؤول من الله تعالى أن يوفّقه في إعانته

أمور أرباب ويكشف على قلبه حقائق معاني القرآن فإنها أصل الدين واليقين

السيد مرتضى [illegible] سنة [illegible] الواقع [illegible] ربيع الأول سنة ١٣٢٨

كاتبه محمد عبد الرحمن الدهلوي

فہرست الجزء الثلاثون من تفسیر لوامع البیان فی تفسیر القرآن

(تمت)